بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـــة العـــدد

يصادف صدور هذا العدد وهو العدد الثاني من السنة السادسة صيف عام ١٩٨٨ من مجلة الاكليل موسم كشف الحساب وفصل الخطاب وفصل محصول الدثى والصراب واعطاء كل ذي حق حقه من الثناء والثواب .

قال الراوي ياسادة ياكرام مضت عشر من السنوات من تاريخ الشعب اليمني المجيد ومن عمر ثورته المديد كأنها الزمان حافلة بالخير والحب والأمان قادها فارس الفرسان قرة عين اليمن وأمينها المؤتمن الرئيس العقيد/ علي عبدالله صالح بجدارة ومهارة وصبر واحتمال حتى بلغت في المجد مداها وزادت لمواصلة السير قواها فحق علينا شكره على مابذل من أجل شعبه ووطنه وأمته ووجب علينا تخليد ذكره للاجيال القادمة من بعده علما من اعلامنا ورمزا من رموز نضالنا ولا غرو فقد راهنا في سباقنا مع الزمن على جواد كريم اغر الجبين مطلق الشمال (ومحجل اليمين فجلى في كل حلبه وشق غبار كل كربه واذا عجز البيان والتبيين فالله سبحانه ولى الاحسان للمحسنين ونحن عندما نتحدث عنه انما نتحدث عن عنصر هام وأساسي من تاريخنا المعاصر وعندما نشيد *بأعماله انما نشيد بانتصارنا بإجتياز مسافة الألف ميل في هذه الفترة الوجيزة .*

امنت ان الذي تصطفيه السماء لرسالتها . . هو من طينة ثانية /

أما قلت يوما لكم انه يارفاقي الذي سوف يأتي من الغيب من خلف حزن الزمان وصمت المكان وبؤس الوطن . .

علي ابن بجدتها ونبتة اكبادها شاهدته مثلما ليلة القدر وحدي . .

يضئ الوجود ويلمع في نفق الانكسار كجوهرة سقطت ذات يوم من عقد بلقيس قبل رحيل الحضارة . . خاتم الاسم يقدح حظا سعيدًا . .

يكلم في المهد مثل المسبح سكون المغاره . .

ومن يومها انقشعت عن عيوني الحجب

وياليتني كنت ألهمت اطلب من ليلة القدر شيئا تنبت صلعة رأسي . . مثلا . . مثلا هلاك المضلين والخائنين . . ذيول العمالة . . مثلا . . شنق المحاكم . . قطع القيادات . . رجم حصاة المثانة

أو اين يكمن تحت النفايات وكرالاريضه بهذا الزمان الردي الذي صار يدمن نخر القلوب وسلخ الجلود وجلد العقول وفسق الدعاية

ياليتني كنت الهمت اطلب من ليلة القدر تبديلنا أن نكون جميعا عليا

أن يفهم الحاكمون حديث الحجارة . .

هل أتاكم حديث الحجارة

ولكنها فرحة الطير بالماء وقت الهجير قد ادهشتني
فناديت ياقومنا ابشروا
وراهنت فيه السنين العجاف وغلف القلوب : علي بارق الغيم آت
انه قادم كالسحابة فيها ظلال وماء وزيت وتمر
وزهر وشعر وحب
فهزوا معا ولكم واخرجوا للعراء . اكشفوا عن صدوركم للندا
ينبجس في جوانحها الخير مثل الجداول
شمروا يابني شمر عن سواعدكم ثم هبوا
قوافلكم رجعت من متاه طويل لكأن نواقيسها تدق بأذني
وهذا الزفير لينشر طلحا وسدرا
انه قادم . .
من لوعة الارض من حر انفاسها يتصاعد كيما يواصل بين تباريحها وحنان السماء فكان العطاء
وكان النماء
وهاهو ذا قد تجاوز في فعله ذاته فغدا ملئ هذا *الفضاء*
آمنت ان الذي تصطفيه السما لرسالتها . . هو من طينة ثانية .
هاهو ذا اليوم يكتب تاريخ أمته من جديد على جبهة الشمس
الا فانظروا كيف ارخت جدايلها نحوه سلما للصعود
فصار الخلود وصار الضياء . .

فمن يعشق الارض حقا يغنيه بوح الحقول وتهفو له فاتنات السنابل
ومن غيره ياترى
ومن مثله اليوم البسها حللا من نسيج الاماني مطعمة ببريق القبل . .
«علي» عاشق الأرض محتظنا للسيول وملتحفا بالحقول تركض في صدره
مكنات المعامل . .
وكم تلتوي الطرقات مثل الافاعي على قدميه ومازال يمضي
أقسم ان لايقر ولا يستقر حتى يحط باثقاله ويضرب خيمته باب دار الحبيبة . .
في وادي الجنتين مابين منعطف الابلقين وصافر
آمنت ان الذي تصطفيه السماء لرسالتها هو من طينة ثانية
ومن غيره بل ومن مثله
«علي» الذي قرطت باسمه غانيات القصائد
«علي» الذي ذكره صار زاد المسافر
مصباح شعب تحدا الظلام وحكم الامام وحلف التآمر
وآلا على نفسه ان يفك القيود ويدك الحدود ليصنع وحدته
وحضارته من جديد
ويطوي الزمان الذي سامه الخسف طي السجل وينساه . . لا . .
ويلقي به في أتون الزباله
لأن جزاء الخبيث الوبال
وان جزاء الكريم الكرامه

علي بن علي صبره

تداعيات في:
الثقافة والحضارة العربية القديمة

علي بن علي صبره

صحيح القول الى حد ما ان مجرد وجود التشابه بين المفردات والمصطلحات في بعض اللغات لا يعني الدليل القطعي عن مدى العلاقة بينها . لأن ذلك يكمن في مجالات وأفاق التبادل الثقافي والحضاري الذي هو من سنن التاريخ البشري ولكن هذا التشابه مؤشر لا يستهان به الى تلك المجالات والآفاق المشتركة لتبادل وتواصل الثقافات والحضارات سيما اذا كان يجمعها بعد تاريخي وجغرافي واحد كالثقافة والحضارة العربية التي لا تنطبق عليها الصفات التعددية الاقليمية الا تواضعاً لأنها في الحقيقة ثقافة واحدة لا تتفارق تفارقاً بائنا الا في خصائصها الاقليمية لذلك فإن من الانسب عند الحديث عن اللقاءات الغربية القديمة ان نطلق عليها لهجات ومن هذا المنطلق وكمقدمة لتواصل البحث رأينا الخوض في ادراك هذه القواسم اللغوية ومقارنتها باللهجة اليمنية القديمة المسندية واللغة العربية الفصحى وأخيراً مقارنتها باللهجة اليمنية الدارجة حتى اليوم التي ما زالت - وأنا اؤكد على ما اقول - المفتاح الأول لتفسير النصوص اللغوية والاشكالات الثقافية والحضارية التاريخية لمعرفة دلالاتها سواء كانت اشكالات لغوية لفظية او تتعلق بالمضامين المعنوية وكذلك تفسير الطقوس الدينية والعادات والتقاليد والقوانين وغيرها من المعارف الانسانية .

من ذلك (خا ـ بار ـ أن) وهي تعني في البابلية مصطلح سري لعملية وصناعة الزجاج كما يقول (جورج كنتينو) وجاء بعد ذلك [آبا أن] كدلالة على الصخر . فالاولى تتطابق لفظياً وموسيقياً ومضمونياً مع (الخبائر) التي تعني في لغة القاموس الفصيحة وفي اللهجة اليمنية معاً (حفر)، ومنها حفر الفئران وفي اب منطقة اشتهرت باستخراج معدن النورة واستخلاص التراب الدقيق الخاص بصناعة الخزف اسمها (الخبائر) ومنها خبائر الفئران .

اذاً ليست مصطلحاً سرياً لاخفاء مناجم الزجاج السومرية والبابلية كما يقول (كنتينو) . واذا اعتبرنا الـ خا هاءً لاحتمال الخطأ في الترجمة فإنها اداة ابتداء او اشارة او تعريف ويبقى (بار أن) وهي تطابق المصطلح المسندي للحجارة التي جآت في كثير من النقوش اليمنية مثل قولهم (وبرأوا بيتهمو) وتعني وبنوا بيتهم بالحجارة تمييزاً عن البناء باللبن والطوب المحرق . والحجارة المبروءة في اللغة اليمنية القديمة هي المقطعة ومن الكلمة جميعها يأتي لنا اسم الوادي اليمني (هبران) بالتخفيف وهو واد يقوم بين جبلين تملوءه الحجارة المتحدرة بالسيول ويقع في منطقة بني سيف في بلاد يريم وتنبع فيه مياه معدنية حارة .

أما الثانية التي هي [آبا أن] والتي قال عنها الدكتور جورج كنتينو أنها تعني صناعة الزجاج

او ما يتعلق بدلك فيقابلها(أبان) و (أبانان) الذي جاء في النقوش اليمنية القديمة كجبلين يقمان في الجزيرة العربية ويمر من بينهما وادي الرمه كما ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب وحمد الجاسر في [سراة غامدوز هران] وكذلك كحاله في جغرافية شبه الجزيرة العربية .

وفي القاموس بريْ المريض اذا شفي من مرضه وبريْ المتهم اذا ثبتت براته من ذنب اتهم به وبرأ المزارع حقله اذا ازال منه الطفيليات وبرئ الرجل الغصن اذا هذبه وشذبه . وفي الاعراف القبلية البراء التجرد من بعض التبعات كالملامة واحتمال الحقوق . اذاً فالكلمة تعني التجرد من العلائق . وربما التبس على الدكتور جورج كنتينو البناء اللفظي بين (خا بار آن) و (آبا آن) فظن الاولى لغة سرية للتعمية حرصاً على المهنة واعتبر الثانية دالة على المهنة نفسها وهو غير وارد كما قد عرفنا . وربما آتى الالتباس من اختلاف اللهجات واختلاف المصادر .

ومعلوم تاريخياً ان مجتمع العراق القديم كان متكوناً من سومريين وأكاديين وأراميين حيث تختلف اللهجات من قبيلة الى اخرى كما هو قائم اليوم ، سيما اذاعرفنا ان اللغة السومرية الاكادية تنقسم الى ثلاث لهجات :ـ

أ ـ اللهجة الرسمية للتدوين المسماه «شان جو» بالجيم الحميرية المشبعة التي تلتبس على بعض المستشرقين والمترجمين بالقاف الصنعانية او الكاف .

ب ـ اللهجة المسماه إمي وهي لهجة العامة او الاميين ، اذ جاء في هذه اللغة (الإم)، بكسر الهمزة ما يفيد الجمع او اقتران اشياء بشيئ او شيئ بأشياء او شيئ بشيئ .

ج ـ لسان سليطي وتعني اللهجة المبتذلة ، لهجة النساء والسوقه ولهجة الشتائم .

فـ (شان جو) قد زعم أنها مشتقة عن الكلمة السومرية «سان غا» مع العلم ان الغين تعني في كثير من اللهجات السامية واللغات الأسوية «القاف» كما في الفهلوية القديمة والاخيرة . . ومهما يكن فالعبارة مشتقة من «الشنج» وهو المشي المنحرف او الكتابة المنحرفة عن اتساق السطور او الكلام الذي ليست له دلالة ولا يتطابق مع مقتضيات التخاطب . وكذلك الركوب على الدابه خلاف العادة . هذا في المصطلحات اللهجية اليمنية ويتطابق لفظاً ومعنى مع العبارة السومرية ودلالتها ، اذ الكتابة في الرقم الطينية المسمارية تأتي بانحراف وضع الرقيم والكتابة عمودياً من اعلى الى اسفل او من اسفل الى اعلى وقد اصطلح السومريون على هذا النوع من الكتابة بـ «شان جو» كما اطلقوها على عملية اعداد الرقم لتكون جاهزة للكتابة عليها . وكذلك صارت اسماً لأماكن التدريب على الكتابة الملحقة بالمعابد . وكانوا يذرون أو ينشرون على الرقم بعد الكتابة عليها شيئاً من التراب الدقيق لكي لا تختلط عند ان يحتفظ بها ، وهذه الطريقة ما نزال نسميها «الشنج» بكسر الشين وكسر النون وتعني الدقيق الذي يذر على كريات العجين المعدة للخبز كي لا يختلط او يلتصق العجين بيد الخبازة عند طرقه وخبزه . والسنغ يفيد التلاصق والتتابع ومنه الصمغ في لهجتنا بابدال النون ميماً وهذا وارد في اللهجات السامية ، و «السنق» كا (السمق) وهو الطول ، والسمق بالتحريك التملل واذا كان الكاف خاءً كالسنخ والسمخ وهو الصمغ . واشتق منها السومريون ايضاً عبارة (نزكو) وهو الاله المكرس في مجال التنجيم وعلم الفلك للاعداد وللاشياء ذات الاعداد كالنباتات مثل الشعير ونبات القنا الذي يكثر في الاهوار وتعمل منه الاقلام للكتابة .

ومن هذه العوامل المشتركة كلمة «تبشار» التي تطلق في السومرية الأكاديه على الذي يكتب على الألواح وتعني «المتبشر» الكاتب بالتبشور كما يكتب اليوم على السبورة بالطبشور ، كما اطلقت العبارة على الذين يتعلمون بمعاهد الكتابة الملحقة بالمعابد واذا علمنا ان الكتابة نشأت منذ البدء على يد الكهان لتسجيل البشارات الاهية لطالبيها من المتعبدين عرفنا مدى العلاقة الاشتقاقية للصيغة بتلك الحالة ، واستطعنا القول بأن المراد منها كان في البدء كتب البشارات ، واذا فككناالعبارة الى مقطعين هما ـ توب ـ شار ـ باماتة الكاف في اول الكلمة

سنجدها دالة على الكتب كما يوجد اليوم من الناس في اليمن من يقول لك تبلي عريضة او تبلى رسالة او يأمر غيره فيقول تب تب بمعنى اكتب . (وشار) اشارة الى الكتابة بمعنى الاشارات وهي اول طريقة استحدثت للكتابة عن الاشياء بالاشارات الدالة عليها إما برسمها او رسم بعضها او اصطلاح بعض الرموز المسمارية الخاصة بها ، وهذه خصائص اللغة المسمارية وغيرها من اللغات حيث تدرجت جيعهامن هذه المرحلة عند الكتابة مثل الهيروغليفة المصرية .

والهيروغليفة الحثية وكذلك الكريتية البيلوبونية . وكانت علامات الخط المسماري هذه تسمى لدى الاشوريين «الترقيش» وقد جاء في الشعر العربي الجاهلي تشبيه الوشم او جلد النمر او الاطلال المبعثرة في الصحراء بالخط اليماني المرقش والمرقم احياناً .

ووعاء الماء المقدس عند الاكاديين يطلق عليه «آ - غابو» وفي لهجتنا يقول التهامي انا غابو أي عاطش ظمآن وفي لهجة صنعاء يقال للذي يترب من اناء الماء الكبير غب ، يغب ، غباً . وجاء الماء في الاكادية السومرية وبعض اللهجات البابلية (بابو) وهي لغة الاطفال عندنا في الماء . وإذا اعتبرنا الغين قافا كالعادة صارت قابو - القبو - خزان الماء . «مسافر أضناه التعب والعطش» .

الخلق بالكلمة :-

اعتقد اسلافنا الاولون ان اطلاق الاسم يحقق سريرته والمثل عندنا يقول «سميه علي واصبري» وقيل للاعرابي لماذا تسمون ابناءكم بالوحوش والحيوانات مثل اسد ونمر وثعلب وكلب وتسمون عبيدكم بالأسماء الخيرة فقال له نسمي اولادنا لاعدائنا ونسمي عبيدنا لنا . مثل سرور وبشر ، سعد ونحو ذلك . وقال مجمع الآلهة لمردوخ الابن الاكبر المنتدب لمنازلة «تيامت» في الملحمة البابلية المعروفة بملحمة «اينوما ايلتش» «نأمرك بالخلق واعادة البناء» [توك] - دق - دك - طخ - تعني كلها اهدم ثم ابني وباضافة «مار» اليها تصير «ماردك» بمعنى رجل او سيد البناء الأوحد لأن «مارد» بالفهلوية تعني «الرجل الفرد» ودوك يطلق على نوع من القماش في بلادنا وهذه «اشارة الى العباءة التي خلعتها الآلهة على مردوخ . ودكمة اشتقاق مركب من دوك وتيامه التي هي العمأ الكوني وتعني في لهجتنا نوعاً من القماش الاسود الخاص بالنساء ولا تخفى هنا العلاقة بين توك وتيامه التي تركبت منها عبارة دكمه واذا اعتبرنا الكاف خاءً فيكون الاسم هكذا «ماردوخ» فمار الرجل السيد والدوخ المدوخ الذي دوخ تيامه كما في الملحمة البابلية . وهذا شائع في جميع اللهجات العربية الحالية (داخ - يدوخ) وعملية القلب والابدال والنحت والتصحيف واردة في جميع اللغات الانسانية ومنها اللهجات العربية القديمة والحديثة . ففي البابلية مثلاً - (لوجال) رجل و (جالو) الملك ومثل فرسك وفركس في لهجتنا الحالية وكذلك غسبار ورسباغ بالفارسية . والدك معروف «دك ، يدك ، دكاً ولذلك مدح هذا الاله «مردوخ» بأنه المدمر والعبارة في حد ذاتها منحوته بالقلب والتصحيف كما رأينا . وقد اشبع هذا الموضوع السيد (ج. دوسان) في بحث مستفيض عن براعة الاشتقاق والاقتباس لدى السومريين والاكاديين والاشوريين والبابليين . وقد فسر مقطع «مار» بالمكان او السيد او الرجل ومقطع (دوج ، دوك) بصاحب العباءة التي اختبر بها «مردوخ» من قبل الآلهة لكي يعرف قدرتها بها يشبه معنى «كن فكان» في التوحيد الاسلامي وقد مر لنا في الموضوع المنشور في العدد السابق ان (شرور ابي) إله سومري وربما حوري وحتى الذي يعني الثور الذي له علاقة بالمطر والرعد ونقول في لهجتنا اليوم - شرر الطفل اذا قذف ببوله الى بعيد . والاناء يشرر اذا بزغ منه الماء من خلال ثقب . وفي قصة الطوفان السومرية«جلجامش»أن نوحاً عليه السلام [اوتنابشتين] انذر قومه بأنهم سيمطرون [كبتو وكيقو] ويعني حزناً أو غماً من كبت يكبت ومن سوء الطالع والمصير واقول ان «كيقو» تعني «الكيخ» و «القيق» العامية اليمنية

الشائعة الدالة على القذا والقذر والكبت هو الهمد وكان يطلق في التاريخ البعيد على جبال همدان في بلاد فارس - جبال اكبتان - وهمدت وخمدت النار اذا كبتت فاكبتان بصيغة الجمع تعني الهمدان بالتحريك . وهمذان لغة في همدان ، وهمدان اليمن يقول النسابة العرب انه ابو قبيلة يمنية اسمه اوسله رفشان (دى - رفش) بالفارسية تعني الراية المزينة بالشمس والكواكب وعليه قول البحتري في سينيته :-

والمنايا مواثل ،وأنوشروان
يزجى الصفوف تحت الدرفسى

وهي القصيدة التي اشاد فيها باعانة الفرس لليمنيين على الأحباش ويصف فيها كسرى في العراق والصور المنقوشة على جدرانه فـ (دى) هي ذي الحميرية التي تفيد النسبة . ورفش تعني بالفهلوية (السماء - الملائكة - النجوم) وفي الادبيات الجاهلية العربية جاء ذكر الرب فراش منحوتا تصحيفياً من «رفش» ومنها تكون الاب الاسطوري البشري «ارفش خذ وارفخشيد» وكذلك الاب الاسطوري للاشكانيين الاخمينيين اما الآلهات البابلية الارامية (تراعات) فيقابلها في النقوش اليمنية ما جاء في سياق التوسل منها (تالب بعل ترعت) و (عثر بعل ترعت) مما يدل ان تالب ريام الصق به اسم مكانه وهو ريام الجبل اليمني الذي يقع فيه المعبد الخاص بتالب وقد جاء في اللغة الاكادية السومرية للادبيات القبورية (الفخت) وتعنى ضوء القمر وتفسير اشتقاقها من نشل الطباخ القدرة من القدر ومنها ، جاء وصف الغراب بالعربية الفصحى بالفاخت وليس ذلك لسواده كما جاء في القواميس قياسا بالقدر وإنما ايضا لشهرته بالخطف ، والفخت هو الفخط - البخش - الخدش - الشخط في لهجتنا اليمنية بنفس الدلالة السومرية كأن القمر عند طلوعه يفخط السماء او يفخط الظلام .

وجاء في ملحمة «جلجامش» اسم بطل الطوفان «اوثانا بشتيم» وترجمتها باليمنية اوسان الذي له علاقة بالماء بالبحر و (بشتيم) تعني اما رقما عدديا أناضوليا وهو بيش وبيشه التى هي خمسة أو الخامس وقد قيل أنه الملك السومري الخامس قبل الطوفات وهذه دلالة على التمازج الأناضولي الرافدي .

وباللهجة اليمنية تعني «الباشت» ومعناها الحاذق ، الشاطر ، الفاهم ، سريع الحركة والادراك وكل اوصاف الاتقان . ولهذا التعليل علاقة بسرعة فهم «نوح» بصناعة السفينة وحدوث الطوفان وكذلك باتقانه لصناعة تلك السفينة التي استوعبت من كل زوجين اثنين من الحيوان وحافظت على بذرة الحياة . او تعنى بالاناضولية الباش او الباشا ، الباشه وهو لقب يعني الاول المتقدم على غيره ونلاحظ ان مردوخ قد اطلق عليه فالق جمجمة النسر السارق وقد انذر «نوح» عليه السلام قومه حسب رواية التورات والانجيل والقرآن بأن غضب الاله قد حان عليهم وفي ملحمة (جلجامش) ان الاله «آن ليل» سيجعل [كاكو - وكبتو] كما سبق يمطران عليهم مطر السوء وقد فسرهما العلامة «كنتينو» بأن «كاكو» صوّت الجبوب عند الطحن وأن (كبتو) تعني الحبوب والاسى وهو يريد بهذا التفسير «حالة الحبوب اثناء الطحن» وعندي ان «كاكو» قد اختصر من «كاوي كاوى» التي تعني الثور وهو الاله الكوني عندهم ذو العلاقة بالعواصف والامطار والرعود كما سبق . ومعناها الكلى «انكم ستمطرون مطراً غير عادي» «مطر غضب لا مطر رحمة» كما نقول في اليمن وبالنسبة لعلاقة كبتو بأكبتان كما مر لنا والتي تعني «همدان»

يجدر بنا أن نعرج على الاسطورة اليمنية التي ذكرت خروج القبائل اليمانية في زمن قديم غير محدد ولكنه موغل في القدم كما يفهم منها وذلك الى وادي السند وبناءهم هنالك مدينة «هارابا» المعبر عنها في الأسطورة «الرابة» ومعلوم تاريخيا أن حضارة السند قد عرفت بحضارة هرابه وهمنجوري» وذلك قبل الاختلاط الهند اوربي في حوالي الالف الثاني قبل الميلاد وأن اليمنيين انتقلوا منها الى الصين والتبت . والادب الجاهلي والاسلامي مشبع بهذه الاسطورة كشعر علقمة ذي جدن ، ودعبل الخزاعي والسيد الحميري وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين . ومن هنالك

انطلقوا الى بلاد ذوي الوجوه العريضة ومعلوم في التاريخ ان الاخائيين اليونانيين وبعض قبائل تركمان والقفقاس والمغول في آسيا الوسطى والصغرى قد ميزوا بالرؤوس المستديرة والوجوه العريضة ومنها الى البلاد التي لا يستوي فيها الليل والنهار وتختلف فيها المنازل الفلكية بالنسبة لمدار الشمس ثم قفلوا راجعين عبر الاناضول وبلاد فارس الى شمال وادي الرافدين حيث انتشروا في العراق وسوريا الكبرى ومنها عبر سيناء الى مصر والمغرب العربي الى ما سمي في الاسطورة بحر الظلمات ونصبوا هنالك شواهد لمدى ما بلغوا اليه سميت بالاعمدة التي يقابلها في الاساطير اليونانية اعمدة «هرقل» وكان هذا الانتشار السكاني بقيادة «شمر» الذي لا ندري اي الشمريين هو . وبقيادة «ذو الاذعار» و «ذو الرياش» الذي جاء ذكره بين اسماء ملوك الشرق الادنى القدماء . هذا ما رواه عبيد بن شريه وابن هشام ووهب ابن منبه وعنهم أخذ المؤرخون الكلاسيكيون الاسلاميون مثل الطبري والمسعودي والهمداني ونشوان ابن سعيد الحميري . وعلى كل فلن نأخذ بالرواية الاسطورية كحقيقة تاريخية مسلمه ولكن كدلاله بيانية ربما تشكل رأس خيط للباحث عن مصداقيتها بالوثائق التاريخية المعتمدة في مناهج البحث التاريخية العلمية .

هذا وينسب الخبير الجيولوجي «جاك دي ميرغان» وهو العالم الفرنسي الطبيعي الذي رأس البعثة الاثرية الفرنسية التي بدأت التنقيب في مدينة سوسه عاصمة الفرس الاخمينيين وذلك سنة ١٩٠٢م والذي عثر هنالك على مسلة «حمورابي» التي دونت فيها شريعته المشهورة ونقلها الى متحف «اللوفر» الفرنسي وهي التي كانت ضمن المنهوبات العيلامية من ارض الرافدين بعد اجتياحهم الرهيب لها عام ١١٥٧ قبل الميلاد .

والغريب ان «آشور باني بال» لم يسترجعها ضمن ما استرجعه من الآلهات الاشورية وذلك بعد عدة قرون (القرن السادس قبل الميلاد) . . ينسب هذا العالم الطوفان الى فيضان حدث في آخر عصر خليدي ويرجع تاريخه الى عام ٨٠٠٠ قبل الميلاد - وفي هذا المدى التاريخي بالذات كانت اليمن والجزيرة العربية تمر بفترة جفاف شديدة ربما حدثت موجات الهجرات البشرية بسببها مما يدفع بالاسطورة السالفة نحو مصداقيتها . كما تشير الدراسات الجيولوجية التي قام بها الخبير الانجليزي المبعوث من قبل صندوق التنمية الكويتي للقيام بالبحوث المتعلقة بمشروع وادي رماع الذي مونه الصندوق بأن الغزو الجليدي الاخير لم يشمل اليمن فيما شمله من الارض مما يشير الى ان هجرة اليمنيين كانت بسبب الجفاف .

وتسترسل بنا هذه التداعيات الى ذكر القبائل اليمنية فيما بين الرافدين الذي انتشرت فيه منذ زمن بعيد للاسباب آنفة الذكر وكان لها فيه الدور الحضاري والثقافي البارز حيث عرفت بالمدونات القديمة السومرية الاكادية والاشورية البابلية بـ (تيمنا) و (ايامينا) اي اليمنيين سكان الجنوب . ولو كنا لم نعثر على هذه الصيغة في مدونات وسط وجنوب العراق لظنناها تعني سكان جنوب العراق . وهذه القبائل قالت عنها النقوش العراقية القديمة أنها اكثر وأقوى القبائل التي كان يتشكل منها مجتمع وادي الرافدين . بحيث كانت تجوب فيه من جنوبه الى شماله ومن غربه الى شرقه دون أن تقف في وجهها حدود الممالك او ممالك المدن المختلفة .

ومن هذه المجموعة عدة فصائل قبلية عرفت بكلاب وكشد وكلد وأكد ، ويرجعها النسابون الى قضاعة وكنده ، سيما وقد ميزتها هذه المدونات عن غيرها بتمييز القبائل غير اليمنية بأسمائها مثل «دورو بكر» و «دورو معدان» التي هي قبائل معد «ربيعه ومضر . ومعهما قبائل «السوتو» واظنها «السيث» التي خرجت من جنوب روسيا . و «الحون» واظنها «الهون» وهي قبائل قفقاسية وقال الاستاذ «جوستاف لوبون» في كتابه حضارة العرب وكذلك (الاب انستاس الكرمني في مجلته لغة العرب بأن اللهجات السامية ومنها الاكادية والبابلية واليمنية القديمة (المسندية) تميت النون الساكنة اذا جاءت في وسط الكلمة مثل

بنت فيكتبونها بت وكنده يكتبونها «كده» أو يبدلون النون بأقرب الحروف اليها والينها استعمالا مثل اللام والسين فيقولون في كنده «كلده» أو كسد في صيغة الجمع . واقول بأن كلده وكساد وكلزه قبائل من كنده ما تزال منها بطون وافخاذ في جنوب اليمن «الشطر الجنوبي» وكان لبعضها دور في التاريخ السياسي في حضرموت حتى بداية الاستعمار البريطاني في الشطر الجنوبي من الوطن . كما ان لكنده دوراً سياسياً معروفاً في محاولة توحيد الامة العربية والوطن العربي اثناء الصراع الامبراطوري بين كل من الفرس والرومان قبل الميلاد وكانت في عهد ازدهار دولة سبأ وذي ريدان قبل الميلاد وبعده وكذلك في عصر التبابعة اللاحق

تابعة لليمن يتوج ملوكها من قبل الملوك السبائيين والتبابعة . وقد اشتهرت في النقوش اليمنية المسنديه بكدت ال ثور» ولعل لذلك علاقة بالثور الالهي البشري الذي خلقته الالهة لينازل البطل السومرى الاسطوري «جلجامش» وهو ما عرف بـ«أن كنيدوا» ثم خفف فصار «أن كيدو» واذا فككنا الاسم الى مقاطعة السومرية الأصلية فـ«آن» دلالة اللقب المقدس التى تسبق الأسماء المقدسة ويبقى لنا كيدو أو

«كندو» وهو الاسم الاصلي . واذا حذفنا النون والياء الساكتين على الطريقة السامية فيبقى لنا من الاسم «كدو» واذا نطقنا الاسم بصفة الجمع لمن يتتبون اليه قلنا «كدت» سيما إذا عرفنا ان كل الدراسات السومرية قد اشارت الى أن كل الاساطير والملاحم والمدونات السومرية الاكادية سواء كانت عما قبل الطوفان او بعده لم تشر اطلاقاً الى ان الاكاديين قبيلة او امة غالبة او اجنبية مما فسر سهولة التمازج الثقافي والحضاري وسيادة اللغة الاكادية اذ كان هؤلاء في العصور الاولى لتكون سومر قد انتشروا في جميع مناطق شمال العراق وكذلك في سوريا الى حران وحلب واطنه واسيا الصغرى واشتغلوا بالزراعة منذ عصر متقدم أي قبل الألف الثالث قبل الميلاد وعليه فإن

تحديد زمن النفوذ الاكدي على وادي الرافدين بسرجون الاول يجانبه الصواب . ومن «بده» هذه ينتسب الفيلسوف اليوناني الروماني «بو زيدون» بوسيدونس الذي ولد ونشأ في مقاطعة «اباميا» على نهر العاصي وهو الذي نبحث عنه «كدنو - سيدناس - سوديوس» العالم الفلكي المشهور الذي نقل علم الفلك والتنجيم الى اليونان والرومان وسنبسط الحديث عنه في بحثنا عن عوامل التواصل الثقافي والحضاري بين العرب واوربا . وانما جاءت هذه الصيغ المختلفة لمسمى واحد عن طريق رواية استرابون الذي عاش في ٤٦ قبل الميلاد الى ١٩ - ٢٢ بعد الميلاد ومعروف عنه نقله عمن سبقه او عاصره مثل «بيلينوس» او «اغاثر سيدس» الامر الذي احدث في روايته بعض التضارب كما فعل في روايته عن غزوة اليوس جاليوس لليمن عام ٢٥ قبل الميلاد بالرغم من انها حدثت في زمنه .

ومرة اخرى نجد «د. جورج رو» يتعرض لذكر الفلكي [كدينو] الذي ذكره سترابو بـ[سيديناس] ويحدد نشاطه بأواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي الامر الذي يجعلني أجزم بأن الزمن السابق الذي حدده في كتابه هذا لهذا العالم بقبل الميلاد «القرن الثالث والثاني قبل الميلاد» ليس الا من قبيل الخطأ إما في الترجمة أو في النقل او في الطباعة وكثيرا مايحدث مثل هذا وليس هذا فحسب بل جاء في صفحة ٥٥٩ من الكتاب نفسه قوله «ان الاغريق اهتموا كثيرا بنقل الآثار العلمية الكلدانية حيث ترجم [سيدوناس] البابلي في القرنين الثاني والثالث الميلادي مؤلفات [كلدينو] وغيره من كبار المنجمين والفلكيين الى اللغة اليونانية» .

فهو هنا اعتبر «سودنياس» بالصيغة اليونانية عالما بابليا غير «كدينو» ونسي انه قال لنا في كتابة ذاته في مكان سابق بأن [سوديناس] هذا هو «كدنو» الكلداني وإنما

استرابون هو الذي اطلق عليه [سيدناس] وقد سبقت لنا الاشارة الى ان سترابون عند ذكره لهذين العالمين الفلكيين [ريهان ذخزفر و [كدنو] اطلق عليهما لقبهما فالاول جاء [نابو اريانوس] والثاني [سيدناس] . .

ومثل الدكتور «جورج رو» فعل الدكتور «جورج كنتينو» في كتابه «الحياة اليومية في بلاد بابل واشور» ترجمة الاستاذ/ سليم طه التكريتي اذ جاء في صفحة ٢٨١ قوله «أن آخر ما تمخضت عنه أحدث الابحاث في مسألة علم الفلك البابلي هو الاعتراف ببعض الفضل للاكتشافات التي توصل اليها الفلكيون الكلدانيون ويبدو أن الرواد الحقيقيين في هذا الحقل كانوا جماعة من فلكي القرن الثالث قبل الميلاد وكان من بينهم الفلكي [سودنيس] من بلاد الكلدان والذي كان يعيش في بلاط «بيرجاموم»
- سماها «بير غانم» عام ٢٣٩ ق٠م ثم [نابو اريانوس] والذي لاتعرف عنه شيئا سوى اسمه» .

ونلاحظ هنا وضعه لنابو اريانوس في زمن متأخر عن زميله الكلداني ثم يعود فيكرر في مكان آخر من الكتاب دون ان يدري فيقول:
«ثم [كدينو] وهو مؤلف القوانين القمرية ويعرف باليونانية باسم [كدناس] ولا ادري كيف غاب هذا الخلط والتكرار على مترجم الكتاب الاستاذ/ سليم التكريتي المعروف بسعة اطلاعه وقدرته في مجال الترجمة والنقل والكتابة سيما فيما يتعلق بتاريخ العراق القديم فلم يشر إلى هذا الخلط مجرد الاشارة في الهامش .

وللعلم فإن الذي نقل اعمال الفلكيين من البابلية الى اليونانية انما هو «بيروسس» كبير كهنة بابل اواخر الاحتلال الاغريقي وهو الذي وضع تاريخ بابل مفصلا في ثلاثة أجزاء نشر باليونانية وقد ضاعت مؤلفاته وبقيت منها فصول او شذرات في مؤلفات كل من «يوسفوس» و «أميانوس» اليونانيين وعنهما نقل «سترابون» في زمن مابعد الميلاد حوالي اوائل القرن الاول .

قلنا ان الخلط حدث عند النقل او الترجمة من البابلية الى اليونانية ثم الى اللاتينية فالايطالية والفرنسية والانكليزية فالعربية فلا يبعد انه جاء نتيجة اعتبار حرف S- من الاسم انه - C - فقرىء الحرف - C - كما يقرأ الحرف - K - دون النظر عند ذلك لشروط قواعد اللغات المنقول عنها ومنها الانكليزية في قراءة - C - K - سواء من حيث مكانه في الجملة او من حيث توابعه من الحروف التي تسوغ احدى القراءتين فتوهم المؤلف او المترجم ان [سودناس] هو غير [كدناس] او [كدنو] .

كما توهم الناقل الاول عن اللغة الام ان حرف - O - الذي جاء بعد حرف S - - أو - C - حرفا اصليا في الكلمة مما جعله يفرق بين [كدنو - كدناس] وبين [سيدوناس] بينما الواقع وكما هو في قواعد اللغة البابلية المنقول عنها ان حروف المد دائما تعني الحركات الاعرابية الثلاث الرفع والنصب والجر وهذه ظاهرة لازمة في كثير من اللهجات السامية ومنها اليمنية القديمة مثل «رضو» - رضا ومقاو - مقا اذ لاتقرأ واوا وإنما يستعان بها لتضخيم ما قبلها وهو الالف . .

أما عبارة المؤلف «من بلاد الكلدان» فتوحي بأنه يجهل ان بلاد الكلدان هي

بابل ذاتها اذا فحركة الترجمة قد واكبت انتعاش هذا العلم إبان الاحتلال الاغريقي ولم تكن في بدايته بالطبع اذ لابد من زمن كافٍ حتى تترسخ عوامل الاستقرار ومن ثم يحدث الازدهار في العلوم والفنون والمعارف وبالرجوع الى تاريخ الفترة المحتملة هذه نجد ان قسما كبيرا منها كان حافلا بالويلات والحروب بين خلفاء الاسكندر وهم قادة جيشه بحيث حفلت الوثائق والادبيات الدينية والتاريخية عن هذه الفترة بتكرار البكاء والحزن وذكر الدمار والخراب الذي لحق بالمدن والقرى البابلية نتيجة لتلك الحروب التي دارت رحاها سواء بين الاغريق والفرس او بين خلفاء الاسكندر انفسهم وما إن حل عام ٢٠٠ ق٠م حتى خسر السلوقيون جميع مملكتهم الممتدة فيما وراء سلسلتي جبال طوروس وزاكروس وبعد الاحتلال الفرثي لبلاد بابل لم يبق لهم غير دويلة صغيرة الى الشمال من سوريا مزقتها هي الاخرى التناحرات السلوقية حتى سقطت في ايدي الرومان عام ٦٣ ق٠م هذا بالاضافة الى تناحر السلوقيين مع البطالسة في مصر وانتقال مركز التأثير من جنوب العراق وأواسطه الى سوريا وفلسطين ومنطقة حوض البحر المتوسط مما شل كل مقومات الازدهار واحتمالاته بحيث اصبحت المدن التي اقامها المقدونيون في العراق خاوية على عروشها . .

وهكذا يبالغ المستشرقون في بسط الاثر الهليني على المنطقة والواقع انه لم يحدث الا في مجال المنشآت العمرانية ولو كان التأثير شاملا ما انكفأ المثقفون البابليون ورجال الدين في تجميع ما تبعثر من موروثهم الحضاري والثقافي ومنه علم الفلك الذي اعتبره المثقفون اليونان كما يقول المؤلف نفسه «نوعا من الهوس اللاعقلاني الذي يتنافى والاتجاه العام العقلاني للهللينية الحافلة بكبار الفلاسفة العالميين» اي مثل سقراط وافلاطون ونحوهما فإذا كان زعم المؤلف هذا صحيحا فلماذا اذن يهتم الاغريق بنقل علوم البابليين ومنها بالذات علم الفلك .

ان الذي حدث بالضبط هو ركود الثقافة والحضارة البابلية تحت وطئة الحروب والاحتلال الاغريقي في بيات جنيني كما حدث كذلك اثناء الاحتلال الاخميني من قبل مع العلم بأن كثيرا من المستشرقين الاوروبيين ومنهم دكتور/ جورج روقد بالغوا في وصف الحالة التي سادت بلاد بابل اثناء الاحتلال الاخميني لكي يمهدوا الذهن لاستقبال المسيح المخلص الذي هو في نظرهم الاحتلال المقدوني الاغريقي حيث قال في كتابه المشار اليه آنفا وفي صفحة ٥٩٦ - [وهكذا فقد اصبح من المتعذر على مواطني وادي الرافدين قراءة وكتابة اللغتين الاكدية والسومرية بخطهما المسماري ماعدا كهنة المعابد ونخبة من المثقفين] . ثم ينسى هذا الكلام فيقول بعد ذلك في نفس الصفحة .

«وتثبت لنا النصوص الادبية والدينية والتاريخية العديدة المستنسخة خلال الفترة الاخمينية بالاضافة الى اعمال المنجمين الرائعة امثال [نابوريماني وكدنو] أن مظاهر الحضارة التقليدية لوادي الرافدين كانت ماتزال حية تماما] .

ولكي لايكون متناقضا مع نفسه قال محددا «في تلك الدوائر المحدودة» فكيف جاز له ان يقول هذا الكلام وان يحدد مجال حيوية مظاهر حضارة وادي الرافدين وقد

سبق وان قال في صفحة اخرى أنه في زمن ٥٥٠ق٠م لم يكن بوسع اي من اللغات المحلية فرض نفسها كلسان عام لكل هذا الخليط من الناس باستثناء اللغة الارامية السامية التي كانت واسعة الانتشار في غربي «آسياكله» . مستطردا بقوله ان داريوس الأخميني تبنى نشرها وجعلها اللغة الرسمية في طول البلاد الخاضعة له وعرضها وهذا القول يعني ان الاخمينيين الغالبين قد تبنوا لغة وثقافة البابليين المغلوبين .

ومن الطبيعي جدا وبحسب قانون التطور ان ترقى بعد ذلك اللغة الارامية السائدة الى مستوى التدوين الثقافي والديني وان تشيع لهجة تخاطب عامية تأخذ سبيلها في التطور لتخلف سابقتها وهو ماحدث اثناء الاحتلال الاغريقي فلو كانت الثقافة والحضارة البابلية قد انطمست لسادت لغة وحضارة المحتلين الاجانب ولكن الذي حدث هو العكس اي تأثر المحتلين بثقافة وحضارة المغلوبين ولكنها الاهواء ، والاغراض المسبقة . .

ان تصحيح مثل هذه الاوهام ودحضها مسؤلية تقع على عاتق اتحاد المؤرخين العرب كذلك والمثقفين .

اذن ليس هنالك استقرار بالمعنى الشامل من شأنه ان يخصب ازدهارا شاملا بما في ذلك في حقلي الثقافة والمعرفة لا في العصر الاخميني بأستثناء عهد كورش وشيء من عهد داريوس العظيم . . .

ولا في العهد الاغريقي الحافل بالحروب والثورات من مفهوم ومنطوق الدكتور/ جورج رو بل نجده يوحي لنا بأن العصر الفرثي كان عصر التمازج والانتاج لان الفرثين متأثرون بالحضارة الهللينية وعرفوا بـ(الفيلبيين) اي محبي الاغريق وانه عصر إحياء القرى والمدن البابلية التي ظلت كما يقول مئات من السنين مهجورة ومندثرة بحيث اكتشف اثر الفرثيين فوق انقاظ تلك القرى والمدن في كل موقع اثري في جنوب العراق وخصوصا مدن - بابل - وكيش - ونفر - وأوروك وحتى مدينة لكش المنسية منذ دهور هكذا كما انتعشت من جديد مدن شمال العراق الآشورية حتى اصبحت أحسن مما كانت عليه مثل مدينة - نوزي - وكالزو - وشيبانيبا واعيد بناء مدينة آشور نفسها بشوارع منظمة مستقيمة مبنية بالطوب بدلا عن اللبن .

وانه تعايش في ظل هذا الاستقرار والازدهار مستوطنون من مختلف الجنسيات الا اليونانيين الذين ظلوا يشكلون اقلية محافظة معزولة عن الاختلاط بغيرهم بالرغم من رعاية الحكام الجدد لهم انتهى.اذن من اين سيأتي تأثير الهللينين على بلاد بابل ياصاحبي . .

ثم يؤكد المؤلف بعد هذا ان المدالارامي والعربي الجارف المستمر الجديد لم يكن يوازيه مجموع هذا الاختلاط المتنافر من الجنسيات الاخرى في القدر والفعل والتأثير وهنا كفانا مؤنة فقد ايد ماذهبنا اليه من دون ان يشعر وناقض نفسه بنفسه مضيفا بأن المستوطنين الايرانيين الجدد القادمين بأعداد كبيرة قد امتزجوا بالسكان الاوائل بسهولة أكبر كما يقول باعتبارهم من اصل شرقي او سامي ويتكلمون بلسان واحد مصرا على العلاقة العرقية والاقليمية لاضعاف الاثر الثقافي المتمثل في اللغة الواحدة والسائدة في عملية هذا الامتزاج ويضيف بأن المدن العراقية وبالاخص الجديدة منها كانت حافلة بعدة معابد لعدة آلهات لعدة ديانات

لعدة أقوام هكذا ولكنها كما يقول بالنص «كانت تتمحور حول معبد الشمس او ديانة الشمس الالهية المعبودة من قبل جميع الساميين.»..

وبدلا من ان يستنتج من هذا السياق المتجاني المتظافر قوة فعالية الثقافة والحضارة العربية التي ترسخت لدى مختلف الجنسيات الوافدة والمستوطنة لبلاد الرافدين - اتخذ من ذلك دليلا على «انسحاق الثقافة والحضارة البابلية» ولا ادري اي منطق هذا واي منهج في البحث التاريخي وذلك بقوله «وهكذا فقد غير هذا السيل البشري كلما تبقى من الحضارة السومرية الاكدية ولاتزيد النصوص المسمارية التي نمتلكها عن تلك الفترة على مجموعة من العقود التجارية وحوالي مائتي نص فلكي او تنجيمي - هكذا - واخرها تقويم كتب عام ٧٤-٧٥م ومن المحتمل تماما ان يكون الكهنة والمنجمون البابليون قد استمروا لعدة أجيال في الكتابة على الرفوف والبرشمانات باللغة الارامية».

ثم ينتبه فجأة فيقول« ولكن من غير المحتمل ان يتم اكتشاف اعمال من هذا النوع» ولم يقل لنا لماذا نفى أخيرا هذا الاحتمال وذلك لسبب بسيط هو انه لايريد ان يقول ذلك لانه يكتب بنوازع واغراض مستمدة ومسخرة من مركزية اوروبية استعمارية لكي يمهد على طريقته الى حدوث تدهور شامل في المنطقة لم ينقذها منه الا الرومان والفرس ونسي كيف امتزج الفرس بالسكان الاصليين قبل قليل ونسي كيف فصل لنا النتائج الوخيمة التي لحقت ببلاد الرافدين من جراء الحروب الطاحنة بين العملاقين المتصارعين طيلة اربعة قرون وعليه فإن الفترة القرنية هي مظهة الاستقرار والازدهار في تاريخ بلاد الرافدين بعد الميلاد والصالحة للبحث خلالها عن زمن تواجد العالم اليمني في العراق فالنجرب

- يتبـــــع -



الموظّف والدّبلوماسي السّبئي

بقلم/ المستعرب السوفيتي أ. ج. لوندين

ترجمة د/ قائد محمد طربوش

مراجعة د/ محمد احمد علي

اضحى نقش SH 31 معلوما من قبل اقل من عشر سنوات مضت ، غير ان له تاريخا متشعبا للغاية ، وقد اكتشف النقش اثناء قيام الامركيين بالتنقيب عن الاثار في معبد رب القمر ، المقة ، او ام بهارب . لم يستنسخه المشاركون في بعثة الاثار الامريكية او يصوروه فبقى في مكان تنصيب الاثار ، بقدر غير معروف للعلم ، كما كان سابقا حيث بقي مطمورا تحت طبقة سميكة من الرمل ، والاكثر من ذلك ان جمعا كبيرا من الرحالة الذين اهتموا باليمن القديمة قد وصلوا في العشرين سنة الاخيرة الى مكان تنقيب الاثار ولم يلحظوا هذا النقش رغم ان سفراتهم قد حملت معلومات عن كثير من النقوش التي لم ينقب الامريكيون عنها . .

بيد ان العالم اليمني احمد شرف الدين الذي اختص في التحقيق بالعربية الجنوبية بنشاط ونجاح . . قد نشر عام ١٩٦١ صورة هذا النقش دون حل لرموزه او ترجمته «١» وبصرف النظر عن النوعية الرديئة لتصوير النقش فقد استدعى النقش اهتماما ملحوظا لقد استخدم ويسمان هذا النقش بتوسع عام ١٩٦٤ «٢» بناء على قراءة جـ . ر . ريكمانس الاولية له والتي لم تطبع ، وبحث ف . التهيم ود . شتيل من جديد المعلومات التي اتى بها جـ ويسمان بسرعة«٣» . .

اعتمد النشر الاول للنقش على الصورة التي جاء بها احمد شرف الدين عام ١٩٦١م وقدمه ١ جام«٤» كان قد توفق في فك رموز الثمانية عشر سطرا الاولى فقط . وقد قدم جـ . ريكمانس طبعة باكتمال اكثر قرأ فيها ٢٦ سطرا ، ذيل بها مقالة خاصة كتبها جـ ويسمان«٥» وهي مكرسة لتحليل المعلومات الجغرافية التي وردت في النقش . .

وفي عام ١٩٦٨ حصل كاتب هذه المقالة على صورتين لنقشين سبئيين من ا . ي . ميخائيلوفا الباحثة العلمية بمعهد الاستشراق . اكاديمية العلوم السوفيتية فرع لنينجراد كانت الاخيرة قد اشترتهما من مصور في الشارع

بصنعاء وقد اقر بسرعة ان هذه الصورة مشابهة للصورة التي اتى بها الاخير ، وبفضل الصورة الجديدة حالفنا النجاح في فك رموز بعض الاسطر ايضا واستيضاح قراءة عدد من الاسماء المختلف عليها، يعتبر النقش كاملا من الناحية العلمية في الوقت الحاضر ، واذا كان به فراغ صغير في السطور ٢٧ - ٣٢ ، وعلى الرغم من انه لم ينصاع لاسترجاع الذاكرة فانه لايتضمن معلومات جديدة مهمة بوضوح الى حد ما كما ان سطرين - ثلاثة اسطر فقط في بداية النقش مفقودة ، وتحتوي هذه الاسطر على اسم المؤلف الكامل ولقبه . .

يعتبر النقش الذي نبحثه اعتياديا بالنسبة للقرنين الثاني - الثالث الميلادي ، اهدى النص الى معبد - المقة - بمأرب ويضم صيغ معيارية بالكامل تقريبا ، بتحول الى نوع ثابت «او يتغير حدها الادنى» من نقش الى نقش او تمتزج في كل نص بشكل آخر فقط ، ينعدم فيه التكرار نوعا ما بالنسبة للنقوش المشابهة ، «بالنص الزائد» التي تندرج فيها جزئيا K.R.RI الخ«٧» . .

لقد اعطى كاتب النقش رحابة كبيرة للتحليل ، وهو ما سهل تفسير النقش الى حد ما الى درجة ظن جـ . ريكمانس ان ترجمته كاملة فزود طبعتها بافراط . .

واذا اخذنا بعين الاعتبار ان بحوزة المكتبة السوفييتية عددا قليلا فقط من نقوش العربية الجنوبية ، المنشورة او تنعدم نصوصها عموما فقد قرر كاتب هذه السطور القيام بترجمة كاملة للنقش دون عمل حاشية عامة مقتصرا على وضع هوامش في الحالات الضرورية القصوى فقط . .

«قدم للمقة ثهوان سيد»

«اوام ، تمثال من البرونز ، وعد به» عرفانا على منحه العودة . .

من ذي سحره بالسلامة والنصر «٨» .
والغنائم والقبائل التي رافقته في كل حملاته التي ناصر فيها -
سيده شمر يرعش
ملك سبأ - وذي
ريدان وحضر موت ويمنات
والعرفان على
عودته بالسلامة
حيث ارسله «٩» سيده
شمر يرعش ،
الى مالك ، ابن كعب «١٠» ملك اسد وقام برحلتين .
وواصل المسيرة الى القطيف ، وكوك بمملكة فارس
وحتى ارض
تنوخ ومنحه
المقة ، العودة بالسلامة والامان (١١)،
من كل «البعثات » التي ارسله فيها سيده
والعرفان على
عودته بالسلامة من مدينة صعده .
بارض خولان ، حيث عينه سيده ،
شمر يرعش ليديرها اربع
سنوات ومنحه المقة موسم خصيب «١٢»
والسلم في كل السنين التي
حكم فيها من اجل ان يواصل المقة خفظ وحراسة «١٣»
عبده ريهان ذو حزفر .
وعنان ،
من الشر والكرب ، والمرض المضني ومن عين الحسد،
ومن اجل ان يمنح «المقة» الاحسان والاكرام سيدهم .
ملك سبأ ، و
ذو ريدان ، وان يعود من
ذي ريدان وان يعود بالقراريط من الحملة (١٤).
في سبعة وعشرين شهرا ومن الحملة
في ثلاثين شهرا وكان محروسا من . . .
. . . قبل هذا وبعده . . و
. . . . عاد
بالسلامة ومن اجل ان يمنحه
(المقة) ثمرات وفواكه (طيبة)
. . ، المقة ، سيد ، اوام ،

صافر ....
... وتشعبهم كلهم ، وبأ
.سم ❊

ونقش SH 31 كما نرى انه قد بحث اكثر من مرة ، كشفت هذه الابحاث عن معلومات غنية في تاريخ وسط وجنوب شبه جزيرة العرب وتاريخها الجغرافي بدقة وكمال عما تضمنه هذا النقش بقدر كافي وتؤكد قراءتنا للنقش تسميات جغرافية مشابهة لما اقترحه جـ. ويسمان فقط ، وانحصار هذه التسميات في موضع البحرين حاليا «١٥» ..

كما يؤيد استنتاج ويسمان الهام عن موضع قيام « مملكة» اسد، مملكة قبائل شمال شبه جزيرة العرب ووجودها في القرن الثالث الميلادي.

بيد ان الاحداث التي شرحها نقش SH 31 قد مثلت شكل آخر بعد ان نشر JAG 110 «١٦» نص هذا النقش الذي ظهر بعد بعثة ا لاثار الاميركية ، فأصاب، اوام، مصير يشابه مصير نقش SH 31 ، الذي اضحى معروفا للعلم عام ١٩٦٨ فقط ، حين اخذ شخص مجهول الحجر مع النقش الى متحف عدن ..

لقد اشار Ja2110 عن بعثة كهذه الى ملك اسد الحارث بن كعب «١٧» ومن غير المشكوك فيه انه شقيق مالك بن كعب ، المذكور في نقش Sh31 ، لقد ارسل الملك السبئي ال شرح يحصب واخيه يازل بين بعثة الى شمر يرعش المعاصر لهما ومنافسهما «١٨» . لا تعتبر هذه المعلومات حاسمة لتواريخ نقش Sh31 فقط ، بل ولفهم كثير من الاحداث المعقدة ، والاوضاع السياسية المنسية بالعربية الجنوبية في القرنين الثاني ـ الثالث الميلادي واصبح من الواضح قبل كل شيئ انه قد ذكر شمر يرعش «ملك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنات» في نقش Sh31 الا انه لاينبغي مطابقته بشمر الثاني «الثالث» ، الذي حكم في نهاية القرن الثالث «١٩» وانما بشمر الاول «الثاني» معاصرا ال شرح ويازل ، وتؤكد الفرضية بالتالي القول ، بان شمر الاول «الثاني» قد حمل «اللقب الطويل » «٢٠» لقد اكتشفت جـ برين مؤخرا بحثا بليوغرافيا نقش شمر الاول «الثاني» وشمر «الثاني» «الثالث» «٢١» واستشهدت به في استنتاج مماثل انتقته واتفقت به مع جـ . ويسمان حيث شهد نقش CIH3531 على ان شمر الاول ، شمر الثاني قد عاصر ال شرح «فيج A'5 » وشمر الثالث الذي حكم في نهاية القرن الثالث «فيج E'5 » ـ وفوق هذا ـ شمر اخر قد حمل «لقبا قصيرا» في البداية ثم لقبا طويلا فيما بعد «فيج B5 » غير انها قد ابقت المسألة مفتوحة بالنسبة للاخير بجواز امكانية مشابهته بشمر الثاني بينما انحصر التوكيد على عدم امكانية مطابقته بشمر الثالث فقط « ٢٢ » ونحن نرى ان مطابقة شمر الاول / الثاني/ الثالث المذكورين في نقوش جماعة أ ، ب تؤكد بما ليس فيه مجال للشك الأسماء السلالية الجامعة في نقوش CIH430 «جماعة ب » و Ja563 «٢٣» ..

وعلى هذا الاساس يتضح ان جميع النقوش التي في معبد مأرب تعود الى شمر الاول «الثاني» بصرف النظر عن لقبه ومعاصرته ال شرح ، بينما لايذكر شمر الثاني «الثالث» عموما في اي من نقوش مأرب المعروفة لنا ، والاكثر من ذلك ان شمر الثاني «الثالث» لايحمل اللقب «الطويل» في اي من النقوش المعروفة لنا ، ذلك اللقب الذي اتخذه شمر الاول «الثاني» . قبل سبعين سنة منه ، ويشهد نقش المثنى الذي نشره جارنين قبل فترة وجيزة على ان الملك الحميري ثاران يعب يهنعم قد حمل اللقب «القصير » ملك سبأ وذي ريدان سنة ٣٢٠ «٢٤» واستخدمه الملوك السبائيون والحميريون مدة اكثر من مائة سنة ، ومثل الانتقال من اللقب «القصير» الى اللقب «الطويل» عملية معقدة بذلك القدر الذي مثل فيه الانتقال من لقب «ملك سبأ» الى لقب ملك سبأ وذي ريدان» في القرنين الاول والثاني م ..

توجد بحوزتنا المعلومات التالية عن احداث فترة حكم الملك شمر الاول «الثاني » . هو الذي نحى عن مأرب شعر أوتار ملك سبأ وذي ريدان فيما بين ٢٠٦ و٢٠٩م، وطرده من هناك ال شرح الثاني ويازل بين ٢٠٩ و٢١٢ م «لعله ٢١٢» على الرغم من ان شعر قد استمر ملكا حتى ٢١٦ كحد ادنى «٢٥» ..

تبين ابحاث جـ برين ونقش Sh31 ان شمر قد اتخذ اللقب «الطويل» في ذلك الوقت الذي حكم فيه مأرب ، وقد وجدت في مأرب عدد من نقوش شمر باللقب «الطويل» و «القصير» بتقارب مماثل ويمكن بالتالي توريخ اتخاذه اللقب «الطويل» في اواسط حكمه لمارب فيما يقارب ٢١٩م وعلى هذا الاساس يمكن توريخ كتابة نقش Sh31 في حدود مقاربة جدا من ٢١٠ و٢١٢ م ، من المهم الاشارة الى ان القاب الحكام قد كانت حتى تلك اللحظة فقط تتدرج دون ان تعكس الحجم الواقعي للسلطة وهكذا اتخذ شمر الاول «الثاني» اللقب الطويل ملك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنات «٢٦» الذي يعني ادعاءه بالسلطة على كل

العربية الجنوبية ربما قد كان ذلك بعد نجاح مؤقت غير انه لم يكن في مرحلة قد وجدت فيها دولة حضر موت المستقلة فقط ، بل وكان داخل دولة سبأ نفسها صراع عنيف ، قام به شمر ضد ال شرح ويازل على الزعامة وحتى الاستيلاء على مأرب العاصمة التقليدية ، وحرم فيه شمر بعد سنتين او ثلاث سنوات من جزء ، كبير من ممتلكاته وسلطته الا انه احتفظ باللقب ، ولعل دعوته قد ارتبطت بذلك في الوقت الذي اقتنع فيه المنتصر ان ال شرح ويازل باللقب المتواضع ، ملك سبأ وذي ريدان ، واذا قارنا نقش Sh31 ونقش Ja2110 تنفتح امامنا صفحة ذات اهمية استثنائية ايضا في الصراع بين الشرح وشمر ، لم ينحصر هذا الصراع على ارض العربية الجنوبية ، وانما انتشر الى الشمال الشرقي من شبه جزيرة العرب الى حد ما وانجذبت في دائرته قبائل العرب الشمالية ، التي اعار الطرفان المتصارعان انتباههما لها ، ولعل الطرفين تطلعا الى الحصول على دعم هذه القبائل او شل امكانية خطر العدوان عليهما ومن غير المشكوك فيه ان يؤدي النزاع في التحليل الاخير الى التأثير والرقابة على الطرق التجارية الهامة التي تربط العربية الجنوبية وما بين النهرين عبر البحرين والقطيف

تمثل سفرات ريمان ونتائجها امامنا ليس حدثا وحيدا معزولا ولا بعثة نادرة الى مناطق بعيدة ومجهولة بل وثيقة دبلوماسية عادية من ذلك الصنف الذي يشابهها ولم يكن عبثا ان يقوم بها ريمان الذي ربما قام برحلتين في وقت قصير كهذا وهو ما يشهد بمعرفة شعوب العربية الجنوبية الجيدة ليس بمناطق وسكان شمال شرق شبه جزيرة العرب ، بل وربما المناطق المتاخمة لايران الساسانية ، وتدل على معرفة الاوضاع السياسية الملموسة في تلك المناطق واندفاع الصلات بينها بشدة . .

ولايمكن ان يكون اتصال وثيق كهذا احادي الجانب ، بل ربما كانت قبائل وسكان واحات شمال شبه جزيرة العرب ، تعرف جيدا مناطق العربية الجنوبية وعلى صلات وثيقة بها بالعلاقات التجارية والسياسية ، وتتحدث عن هذا بالذات الاشارات كثيرة العدد فتذكر نقوش حضر موت في «عقله» ليس افراد قبيلة اسد فقط (Ja939,957,962) بل وربما افراد قبيلة قريش «Ja919» «٢٧» . . .

وربما يسمح انتعاش العلاقات هذه بوضع السؤوال من جديد حول العلاقات الاجتماعية في شمال شبه جزيرة العرب في تلك المرحلة ، والمعروف لنا الان وجود الاستقرار في هذه المناطق بالاتحاد السياسي لكل من «اسد كنده ومذحج وتنوخ» في نهاية القرن الثاني - بداية القرن الثالث والذي استمر حتى القرن الخامس - السادس الميلادي ولعله جدير بتسمية الدول ، وبتمايز اجتماعي ما داخل هذه الدول «Ry535 , Ja576,2» وجيه كنده » اي انها كانت في مستوى Kbrt/Kbe ، اكثر سموا الى حد ما في العلاقات الاجتماعية ومنظماتها اكثر من الفرضيات التي وردت حتى الان وفقا للاثار الثقافة المكتوبة زمن الاسلام عن شمال شبه جزيرة العرب من الواضح ان مصادر العربية الشمالية رديئة جدا في معرفتها لاحداث تلك المرحلة حيث انها لم تتوفق في العثور على ذكر ملك اسد مالك بن كعب ولا اخيه الحارث بن كعب ، ولا ملك كنده ، مالك بن بدا ، ولا غيرهم من الشخصيات الاخرى في تاريخ عرب الشمال في القرنين الثاني - الثالث المعروفة لنا حاليا من نقوش العربية الجنوبية ولعل وضع الادب العربي في القرن الثامن قد جعلهم يسجلون اساطير واشعار البدو كنموذج «نقي» للغة العربية مما ادى الى ان تظل اساطير وملاحم سكان مناطق ، شمال ووسط شبه جزيرة العرب سكان الواحات والمدن الاكثر تطورا اقتصاديا واجتماعيا مختفية عن انظارهم . .

لقد شوه الباحثون المهتمون بشمال ووسط شبه جزيرة العرب هذه اللوحة بقوة ولا يزال رسمها حتى الان كما لو انها كانت اكثر تخلفا وهجرا قبل الاسلام مما كانت عليه في الواقع ، . .

يعطي نقش SH 31 مادة غنية لدراسة مسألة هامة تاريخ ثقافة اليمن القديم - ويصفها كاتب النقش من جميع الجهات ، الموظفين النموذجيين للملك وممثلي وجاهات سبأ في بداية القرن الثالث الميلادي ، وان لم يكن قد بحث النص من وجهة النظر هذه من الناحية العملية ، وتبقى للاسف الاسطر الاولى من النقش غير معلومة والتي تحتوي على اسم كاتبه ولقبه ، والذي كان بمقدوره وصف وضع كاتب النقش كاملا في جهاز الدولة ومرتبته الاجتماعية اذ لم يعرف سوى اسمه الاول

وانتمائه العشائري . . «ريهان ذو حزفر وعنان» وينتمي بالتالي الى وجهاء عشيرة حزفر السبئية المسجلة في النقوش السبئية القديمة ، حيث انها احدى ثلاث عشائر سبئية تجمعها السلالة وتزعمها قبيلة خليل من قديم الزمن واحدى العشائر السبئية الممثلة بمجلس وجهاء القبائل في الدولة السبئية «٢٨» نعم لم يعد مجلس وجهاء قبائل سبأ يمارس وظيفته في القرن الثالث وقد فقد مجلس القبائل اهميته القديمة منذ زمن حيث ترشحت لذلك قبائل جديدة سخيم ، همدان بتع . . . الخ . . فبدأت تلعب دورا في تاريخ سبأ في القرن الاول ـ الثاني للميلاد . وبناء على ما تقدم يمكن الحديث عن وجاهة ريهان وان بقيت درجة غنائه وقوته السياسية غير واضحة . . يظل لقب ريهان مجهولا وان كان يمكن تفسير وضعه الشخصي بفعل gb الذي يعني . . «حكم ، اذاك» والمستخدم لاهمية نشاطه في مدينة صعده حيث يقابل المصطلح في الغالب في نقوش القرنين الثاني ـ الثالث الميلادي بما فيه الكفاية ووفقا لمقتضى حال مدينة صعده (ja 2109,6-7) ونجران (ja 577,10,13) او نشق (ja 619,2-3) اي في مدن العربية الجنوبية الضخمة ، وهذا يعني في جميع الحالات حاكما عينته السلطة المركزية «الملك» وانه تابع له ، يبين نقش SH 31 ان الملك قد عين هؤلاء الحكام لفترات غير محددة وعزلهم ، ولعل نظام الادارة هذا قد كان متتشرا في الدولة الحميرية بشكل واسع وفي مناطقها الشمالية بالذات . .

اشار جـ.ريكمانس الى ان هذا اللقب الذي حمله حاكم نجران «قد كان في الوقت نفسه وراثيا» حتى عهد النبي محمد «٢٥» اي بعد عشرات السنين من افول الدولة الحميرية ، يمكن اعتبار منصب حاكم صعده الذي شغله ريهان رفيعا للغاية ويلائم وجاهة اصله ، وهكذا نحي ريهان في عهد حكم ال شرح الثاني وتعين شخص اسمه ربيب نصرم أحفش من قبيلة بتع في هذا المنصب ja 2109» وهو وجيه احد القبائل الضخمة والقوية في العربية الجنوبية انذاك حيث وقد اصبح وجهائها ملوكا سبئيين دائمين وكان ربيب نصرم نفسه يملك موظفين خصوصيين (mqkwy-ja 2113) ولعل ريهان قد قام بتنفيذ توجيهات اخرى . .

يسمح لنا انتماء ريهان القبلي بتحديد موقع اصله . وهو منطقة ارحب (٣١) او خولان . ويحتمل ان تكون المنطقة التي استمر شمر يرعش الاول (الثاني) في حكمها بعد ان طرد من مأرب وسنرى فيما بعد احتمال ان يكون شمر قد ملك هذه المنطقة في ذلك الوقت، الذي كان شعر اوتار السابق له يحكم مارب ، وهذا يسمح لنا بالحديث عن العلاقات القديمة الوثيقة بين ريهان و شعر وان كانت هذه العلاقات غير واضحة . .

وبنفس القدر الذي يمكن فيه الحكم على نشاط ريهان الحقيقي فانه لم يكن مرتبطاً بالمنطقة التي انحدر منها ، حيث كانت مواضع خدمته متنوعة جدا ، لقد كانت ارادة الملك والمهام الوظيفية تلقى به في منطقة ذي سحارم ثم في ساحل البحر الاحمر (٣٣) حيث وقعت فيها الحرب بين شمر والملك . ال شرح يحصب ويازل بين آنذاك او في شرق شبه جزيرة العرب البعيدة بلاد تنوخ وواحة القطيف او هناك مدينة صعدة بأرض خولان جنوب غرب نجران ويحتمل ان يكون قد القت به في مناطق اخرى ايضا لم تذكر في النقش نعم لقد وضع النقش في مأرب وليس في ارحب منطقة ريهان الاصلية . .

لقد مثل لنا ريهان موظف نموذجي يتبع الملك بشكل مطلق وينفذ جميع مراسيمه واوامره . .

اختلفت الوظيفة التي قام بها ريهان انذاك اختلافا كبيرا ومتنوعا : هذه وظيفة عسكرية ـ تمثلت في اشتراكه في حملة الملك، وتلك بعثة دبلوماسية الى ملك وشيخ شرق شبه جزيرة العرب وثالثه مسئولية ادارية ـ حاكم لصعده ورحلات اخرى لم توضح لنا بالكامل (m/wt) وربما كانت مسئولية الحاكم كبيرة بما فيه الكفاية تشمل المحافظة على المحصول ومسئولية الدفاع عن المنطقة ودعم النظام فيها والولاء للملك وربما جمع الضرائب وارسال البواخر . .

اعطى النقش وضعا كاملا لحياة ريهان . . اربع سنوات في ادارة صعده ، وبعثتين غير واضحتين مدتها ستتين ونصف وبعثتين دبلوماسيتين قصيرتين الى شرق جزيرة العرب لم تذكر مدتها (وان كان من غير المشكوك فيه انها قد تطلبتا وقتا معيناً) . . واخيرا حملات الملك التي يشير اليها النقش بشكل عابر وقد تعقدت الاحداث المذكورة على العموم فمن المحتمل انها قد احتلت مالا يقل عن ١٥ سنة ، ابتدأت خدمة ريهان على هذه الشاكلة في حدود ١٩٠ ـ ١٩٥ سنة ميلادية وربما كان من اللازم اعادة بداية حكم شمر الاول (الثاني) الى ذلك الوقت قد كان شمر قبلها مالايقل عن ١٠-١٥ سنة ملك قبيلة فقط يخضع للملك شعر اوتار ملك سبأ في مأرب وليس من الواضح للاسف هل التزم ريهان بالتتابع الزمني للاحداث في نقشه : المعارك الحربية في ذي سحرتم الذي ابتدأ بها نص النقش ولعله من غير المرجح ان يعود الى بداية حكم شعر . .

لقد القت بريمان سفراته وتكليفاته الدائمة لسنوات طوال وابعدته عن وطنه، فهل كان بمقدوره ان يكون ملكية خاصة يمكننا الافتراض انه بصرف النظر عن وضع ريمان ذو حزفر الرفيع واصله النبيل، لم يملك اراض معينة ولعل مصدر دخله الاساسي قد كان من هبات الملك له واعاشته وليس ملكيته الخاصة (٣٤) ويحتمل ان غياب ملكية الارض الضخمة الكافية لدى ريمان قد جعلته تابعاً للملك بالكامل ويتحدث التوسل الذي ادرجه في النقش عن هذا الخضوع: (اكرام واحسان سيدهم ملك سبأ وذي ريدان (الاسطر ٢٢ - ٢٤) النادر في النص الى حد ما (٣٥) ويسمح هذا ان نعمل استنتاج مفاده وجود فئة الوجهاء الموظفين بالعربية الجنوبية في القرن الثاني - الرابع الميلادي اولئك الموظفين الذين ارتبطوا بالملك وخضعوا له بالكامل ولعل هؤلاء الوجهاء كانوا الركيزة المباشرة للملك..

كانت المسئوليات التي قام ريمان بتنفيذها شاقة جدا، وكانت ببساطة خطيرة في الغالب هكذا وضعها نقش (Ja 2110) انه من اجل الوفاء بالعهد الذي اعطاه الى ملك اسد اثناء قيامه ببعثة دبلوماسية مشابهة حين تأثر كاتب النقش بالعطش مدة (ثلاثة ايام وليلتين (٣٦) وفي نقش (Ja 2109) زفت زوجة ريمان الشكر لله على عودة زوجها من ادارة صعدة بالسلامة ويمكن الاشارة الى ان ريمان ذو حزفر عاش كل حياته متجولا مهموما - حياة حرمان وخطر كامل، ولعله لم يحس نحوها بميل صغير، ولم يكن عبثا ان لايتحدث عن اشتراكه في الحروب (عدى حملة معيارية حقيقية حول عودته بالسلامة والنصر والغنائم) لقد حسب ريمان بدقة للغاية مدة سفراته - ٢٧ شهراً وليس ستتان واربعة اشهر، وحتى ٣٠ شهرا وليس ستين ونصف كما لم يكن عبثا ان يتحدث عن ادارته فأشار بارتياح الى ان المدة كلها قد مرت بالسلامة والطمأنينة بدون حرب وتعقيد الاحداث التي ربما كانت من النادر للغاية في فترة صراع ضار بين عدد من الاسر المالكة واللحظة الثانية التي اختارها ريمان موسم المحصول (brq/sdq m) تحمل طابعا سلبيا في الواقع ايضا..

تنعدم الانفصالية بالكامل في نص النقش الذي نبحث فيه بمعياريته وايجازه وترسم الادوات اليسيرة جدا شخصية كاتبه الحية بجلاء يقف امامنا ريمان ذو حزفر بوضوح - انسان مسالم وصاحب عناية، وموظف قديم كرس حياته لخدمة الملك دون امتناع (على الرغم من انه كان يقوم بها من غير رغبة وبتذمر) سحب حبله الى حيث ترمي بها اوامر الملك رغما عنه، ولعل كل هذه السفرات غير المنتهية حملات وسفرات ومخاطر عسكرية ومشاق سفر لم تكن تخطر بباله كان ريمان هذه الشخصية الواضحة الفريدة لكنه الموظف النموذجي للملك في نفس الوقت..

كان رمز الموظف النبيل في الدولة السبئية نهاية القرن الثاني بداية القرن الثالث الميلادي، يمكن ان نحصل على هذه المعلومات الحية المباشرة من المصادر الرسمية الجافة حتى قبل نطاق الاثار الايبوغرافية المعيارية في ظل الاهتمام الضروري بمسائل تاريخ - الثقافة ومصير كاتب النقش..



* اما ترجمة الاستاذ احمد شرف الدين للنقش، فقد وردت في تاريخ اليمن الثقافي كما يلي :-

١ - ريمان ذو حزفر وعنان قدم تقريبا لهيكل المقة شهوان بعل او ام تمثالا من الذهب حيث جاد عليه بالنصر والمغنم في كل جملة ناصر فيها سيده شمر يرعش ملك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنات

٢ - ابن ياسر ينعم ملك سبأ وذو ريدان وحمدا حيث وصل في حملاته الى «قط وصف» و «كوك بمملكة «فارس» وارض «تنوخ»، حيث جاد عليه المقة بالنصر والظفر وتذليل الصعاب..

٣ - وحمدا على عودته مارا بمدينة «صعدة» وارض «خولان» ويرجو لسيده شمر يرعش المزيد من العمر الذي يطيل بقاءه عاملا اربعين عاما من اعوام الرخاء والسلم وان يحرس ويمنع عنه ريمان ذي حزفر وعنان «المترجم»..

١ - احمد شرف الدين واليمن عبر التاريخ ١٩٦١ صفحة ٤٤ وقد اصدر الكاتب السالف الذكر النقش مع ترجمته عام ١٩٦٧ وحاشيته عليه في كتابه تاريخ اليمن الثقافي الجزء الثالث تعز صفحة ٨٧-٨٨

٢- H.VON. WISSMAN. ZUR GESCHICHTE UNDLANDESKUNDE ON ALT-SUDARABIEN SAMMLUNG E. GLASER, 111, SBAW,246, WILN, 1964, P. 191-194

٣- F. ALTHEIM UND R. STIEHL DIE ARABER IN DER ALTEN WELT, IV.BERLIN, 1967, S. 279-283

٤- A. JAMME. APROPOS DES ROISHA DRAMOUTIGUES DE AL. UQLAH WASHINGTON 1965, P.50 - 52.

٥- H. VON WISSMANN ZUR KENNTNISS VON OSTARABIEN, BESONDERSAL QATIL, O, IM ALTERTUM, LE MUSEON, BO, 1967, P. 489-508, APPENDICE, PAR . RYCKMANS, P. 508-512.

٦ - ومن غير المشكوك فيه ان الطبقة من تلك الصورة وتنقص الطبقة التي بحوزتنا ٣-٤ علامات بشكل اكثر في الزاوية العليا من الصورة التي نشرها احمد شرف الدين..

٧ - راجع ياجر وتنفست الفمل في لغة العربية الجنوبية لبنجراد ١٩٦٦ صفحة ٥.

EPIGRAPHIC SOUTH ARABIAN.

A.F.L. BESTON, ADESCRIPTIVE GRAMMAR OF EPIGRAPHIC

جا. م. باور لغة العربية المكتوبة ، موسكو ١٩٦٦ صفحة ٤٤ من الجذع HRG SOUTH ARABIAN. GONDON, 1962,P.28

«قتل» بمعنى (قتل ، معركة) من «النصر» المقبل فيا بعد ، الذي نستنتجه بوضوح من سياق النقش قارن ترجمة ريكمانس PY 538, 18, GRYCKMANS INSCRIPTIONS SUD MASSACRE, 14 SERIE-LE MUSEON "69" 1956, p.375

وجام - WAR TROPHYC A. JAMME SABAEN INSCRIPTIONS FROMMOHRAM BILQIS. BALTIMORE, 1962, P.439)

٩ - بحث ج. د ريكمانس هذا الجزء بالتفصيل او بين باقناع ، ان الحديث لا يدور عن الحملة الحربية ، وانما عن بعثة دبلوماسية سلمية . J. RYCKMANS APPENDICE, P. 510-512

١٠ - تسمح الصورة التي بين ايدينا ان نقرأ بعثة ولاة الملك كعب - ولد اسد وبالتالي التسمية الجغرافية QTWF القطيف و KWK, كوك ، التي اثارت اختلافات وشكوك كثيرة (قارن H.WISSMANN. ZUR-KENNTNISS P.89-490)

١١ - يقابل فعل HFSH في النقوش الحضرمية فقط او RE S 50.36, قرينة الحديث بغير وضوح . اشتقاقه غير واضح ايضا ولم يعط كل من اجام وريكمانس أي شرح لهذه الكلمة HFSH ومن ناحية قرينة الحديث ترادف WFYM «السلامة» وعليه فقد ترجمناها ترجمة افتراضية (امان)

١٢ - يعني مصطلح BRQ «اوقات السنة ، فصل» والفصل المطر بالدرجة الاولى الذي يعتبر ذو اهمية للمزارعين في SDQ «الصائب العادل» تقصد جميع هذه التعابير فصول المطر والاوقات التي ينزل فيه المطر بما فيه الكفاية ، وتضمن بذلك محصولا جيدا قارن ترجمة جـ. ريكمانس .

"BONNES PLUIES ORAGEUSES" C.J.RYCKmans. HIMYARITICA 11,LE MUSEON, 79, 1966, P.479).

١٣ - هذه الصيغة هذه نادرة للغاية في النقوش راجع : JA 644,12,751,5,10-11 RES, 1397

١٤ - يعني جذع MTW في اللغات السامية الاخرى «قدم ، وصل» راجع :

W.W. MULLER, DIE WURZELN MEDIAE UND TERTIAEY / WLMALTSUDARA BISCHEN - TUBINGEN, 1962,S,102)

وقد نتج هذا الجذر من مصطلح SB الممزوج DB «قام بحملة» قام بالحرب .

راجع (CIH397, RES 4138, JA635) ولعل MTWT اجراء ماذ وصيفة عسكرية وان كانت الفكرة الدقيقة للمصطلح غير واضحة .

١٥ - راجع - H.WISSMAN. ZUR KENTNISS, P.489 508

١٦ - D.B. DOEAND A. JAMME NEW SABAEAN INSCRIPTIONS FROM SOUTH ARABIA. JRAS, 1968. P.15-16

١٧ - في هذا النقش وصف ممتع للغاية للاوضاع السياسية في شمال شبه جزيرة العرب في منتصف القرن الثالث :

BKN/HBLT/B'BR/'MLK/S'MT/'THRT/ BN/K'BM/MLK'SD/WMLKM/BN/BD/MLK/ KDT/WMDHGM/WDBN/'RBN.

«حتى بعثه سفيرا الى ملك الشمال - الحارث ابن كعب ملك اسد ومالك ابن بدا ملك كنده ومذحج و (بعض) الاعراب ، ولعل كلمة DBN لا تتعلق بلقب مالك بن بدا وانما تعني شيوخ العرب الصغار الذين وقعوا في نطاق مهمة بعثته ، وعلى هذا الاساس ، تشير الى قيام دولتين كبيرتين في شرق شبه جزيرة العرب «مملكة اسد» و «مملكة كنده» ومذحج وقبائل صغيرة تابعة = وتناقض قرينة الكلام توكيد ا جام .

(DOC S.B. AND A. JAMME. NEWSABAE-ANTNSCRIPTIONS P.16)

وتبين جليا ان مصطلح SMT يعني «شمال» في نقوش العربية الجنوبية . (منشأ اللغات السامية الاخرى) ، كما يعني ان مناطق وسط شبه جزيرة العرب وشمالها ، لم تدخل في منطقة انتشار الحضارة اليمنية القديمة ، ولا يدع النقش مجالا للشك في محاولة مشابهة كنده ومذحج وأسد لقبائل شمال العربية المعرفة .

١٨ - راجع على سبيل المثال آ. جـ لوندين : اضافات الى قائمة ابو نيموف السبئية السياسية ربيع التاريخ القديم ، ١٩٦٦ العدد ٣ صفحة ٨٨-٩١ .

J.RYCKMANS, LACHRCNOLOGIE DES ROISDE SABA ET DU - RAYDANN, STANBUL, 1964, P. 16-22, JPIRENNE DE LA CHRONOLOGE DES INSCRIPTIONS SUD-ARABES APRES LAFOILLE DUTEMPLE DE MARIB - BIOR, XXV1, 1969, P. 306309.

ويفصل ريكمانس شمر الاول عن شمر الثاني ، اما جـ. وسمان و جـ يرين يسمون هؤلاء الحكام بتطابق مع شمر الثاني وشمر الثالث .

١٩ - راجع على سبيل المثال :

J.RYCKMANS LA CHRONOLOGIE, P.19
H.VON WISSMANN, ZUR AREHAOLOGIE UND ANTIKEN GEOGRAPHIE VON SUDARABIEN. ISTANBUL, 1968,P.13.

٢٠ - راجع : أ. جـ . لوندين ، ربيع التاريخ القديم ، العدد ٢٣ ، ١٩٦٥ صفحة ٢٠٥

٢١ - J.PIPENNE DELA CHRONOLOGIE P.303-311

٢٢ - المرجع السابق صفحة ٣٠٩

٢٣ - لا يعطي جـ. يرين للاسف تحديدا بيلوغرافيا للنص الاخير ، الا انه يرجع من حيث اللقب الى قيام دولتين كبيرتين في شرق شبه جزيرة العرب «مملكة اسد» و مملكة كنده ومذحج وقبائل صغيرة تابعة = وتناقض قرينة الكلام توكيد ، ا. جام

(DOC S.B. AND A. JAMME. NEWSABAE-ANTNSCRIPTIONS, P.16)

٢٤ - على الرغم من احتمال ملكية ريهان لارض ماء ، وفي كل الاحوال يحتوي النقش على توسل محصول طيب من الثمرات والفواكه (في السطرين ٢٩-٣٠)

٢٥ - قارن JA 569,733,736,747,753 جميع هذه النقوش تقريبا تستخدم تعبير MLK,I SBWDRYDN M/K/SB كما هو في النقش الذي نعالجه .

٢٦ - D.B. DOC AND A.JAMME NEW SABAEAN INSCRIPTION, P.15

من أبحاث الندوة القومية لكتابة التاريخ:

التفسير الحضاري وكتابة تاريخ الأمة العربية

دكتور/ هاشم يحيى الملاح
جامعة الموصل - العراق

المفهوم المعاصر للتفسير الحضاري

ان الحضارة هي مجموع المنجزات التي حققها ابناء مجتمع من المجتمعات عبر الزمن من اجل تحسين مستوى معيشته سواء اكانت تلك المنجزات ذات طابع مادي او معنوي . فالحضارة وفقا لهذا المفهوم ترتبط بالتاريخ ارتباطا وثيقا لانها ثمرات الجهود الانسانية المتراكمة عبر الزمن في استثمار الطبيعة واستغلالها لصالح بني الانسان

وقد لوحظ ان اهم ما يميز المجتمعات الانسانية عن غيرها تمتعها بقسط معين من الحضارة او الثقافة لانها احد مظاهر العقل الانساني القادر على اكتشاف حلول متجددة لتلبية احتياجات بني الانسان . غير ان المجتمعات الانسانية تتفاوت في مدى تكيفها ونجاحها في تطوير مستوى حياتها مما يجعل بعض المجتمعات تحقق درجات متقدمة في سلم الحضارة في الوقت الذي تبقى فيه مجتمعات اخرى في مستويات حضارية دنيا ..

ومن اجل الكشف عن مدى نجاح العقل الانساني في تطوير المجتمعات وتكوين الحضارات فقد دعا فولتير «١٦٩٤ - ١٧٧٨م» منذ منتصف القرن الثامن عشر الى دراسة التاريخ وفقا «للمنهج الحضاري من خلال التركيز على المظاهر والمعطيات الاقتصادية والاجتماعية والادبية والفنية ، وعدم الاقتصار على النواحي السياسية في حياة المجتمعات وذلك لان «اخبار السياسة والحرب لاتفصح عن العقل الانساني خلال العصور يقول فولتير ان بعض المؤرخين يهتم بالحروب والمعاهدات ولكني بعد قراءة وصف ما بين ثلاثة آلاف واربعة آلاف معركة وبضع مئات من المعاهدات لم اجد نفسي اكثر حكمة مما كنت قبلها ، حيث لم اتعرف الا على مجرى حوادث لاتستحق عناء المعرفة(١)

وقد لقيت هذه الدعوة الى كتابة التاريخ وفقا للمنهج الحضاري ترحيبا واسعا لدى المؤرخين في الغرب فكتب ماكولي سنة ١٨٢٨ ان المؤرخ الكامل «يظهر نا على البلاط ، والمعسكر ومجلس الشيوخ ، ولكنه يرينا ايضا الامة وهو لايعتبر اية نادرة او اية عادة او اي قول مأثور اتفه من ان يلتفت اليه لانه ليس تافها ان يوضح كيف يعمل القانون او الدين ، او كيف تعمل التربية، ولا ان يشير الى تقدم العقل البشري» (٢) .

لقد ترتب على اتجاه المؤرخين نحو استخدام المنهج الحضاري في كتابة التاريخ الى

توسـع الميـادين التي ينبغي على المـؤرخ ارتيـادها وتنوع العلوم التي يحتاج اليها لمسـاعـدته في دراساته لان دراسة حياة الجماعة من جميع جوانبها اصعب بكثير من دراستهـا كمـا تبدو في السياسةوالحرب(٣)لهذا اخذ المؤرخون بالاستعانة في دراساتهم لتـاريخ الحضارات بعلوم الاجتماع والاقتصاد والنفس وغيرها من اجل فهم القوانين التي تحرك الجماعات وتحكم مسيرة تطورها وكذلك اخذت الدراسات الحضارية للتاريخ تقترن بدراسة فلسفة التاريخ على امل الوصول الى قوانين عامة تفسر حركة التاريخ في كل زمان ومكان ..

وهكـذا فقد وجد المؤرخ نفسه وهو يحاول دراسة التاريخ على اساس حضاري ان يوسع ميدان عمله فلا يقتصر على دراسة تاريخ وطنه او أمته . بل يتجاوز ذلك حتى يصل الى دراسة تاريخ العالم بكل شعوبه وقومياته وحضاراته كما وجد ان الموضوعية تقتضي الا يدرس تاريخ العالم وحضاراته من خلال منظوره الحضاري الغربي وانما عليه ان يتجرد من انحيازه لقيم حضارته فيدرس تاريخ الحضارات على اساس مقارن يقوم على النظر الى الحضارات باعتبارها متساوية في الاهمية والقيمة من الناحية المبدئية وقد عبر عن هذه النظرة «اشبنكلر بصورة قوية حينما اوضح ان الوهم والغرور قد دفع المؤرخ الغربي الى دراسة تاريخ «كتاريخ مصر» الذي امتد الى اكثر من ثلاثة آلاف سنة في عدة صفحات بينما انتفخ تاريخ كتاريخ نابليون الذي لم يمتد لاكثر من عشر سنوات ليشمل مجلدات .. واذا كان لايحق لمؤرخ صيني ان يكتب تاريخـا للعالم يتجاهل فيه عصر النهضـة او الحمـلات الصليبيـة فكذلك ليس من حق المؤرخ الاوروبي ان يتخذ من حضارته محورا ثابتا يدور حوله التاريخ «٤» ..

وقـد حاول اشبنكلر ان يجسـد المفهـوم الآنف الذكر في كتابة «تدهور الحضارة الغربية» الذي صدر جزؤه الاول في عام ١٩٢٠ وجزؤه الثاني عام ١٩٢٢ «٥» وتابعه في منـطلقاته الاساسية «آرنولد وتوينبي» في موسوعته الضخمة «دراسة في التاريخ التي صدرت في اثنى عشر جزءاً خلال الفترة من عام ١٩٣٠ ـ ١٩٦١ «٦»..

ورغم ان هذا البحث لايتسع فيه المجال لتقويم اعمال هذين المؤرخين الكبيرين الا انه لابد من توضيح ان الهدف المرجو من دراستهما وهو تقديم دراسة موضوعية محايدة ـ عن مختلف حضارات العالم لم يتحقق ، اذ ان كلا من اشبنكلر وتوينبي قد درسا تاريخ الحضارات بدافع الحرص والاشفاق على مستقبل الحضارة الغربية من السقوط ..«٧»

كما انهما قد استخدما المفهوم العضوي في دراسة الحضارات وتوصلا من خلاله الى ان جميع حضارات العالم ـ عدا الحضارة الغربية ـ قد ماتت او انها في سبيلها الى الموت . ومن ثم فإن على ابناء هذه الحضارات وقد توقفت حضاراتهم عن النمو والعطاء أن يلتحقوا في ركب الحضارة الغربية ويندمجوا في اطارها كي يضمنوا لانفسهم البقاء(٨)

لقد اوضحت العديد من الدراسات جوانب الخطأ في المنظور العضوي للحضارات الذي اوصـل كل من اشبنكلر ،وتوينبي الى هذه النتـائـج المجحفـة بحق الحضارات الانسانية وذلك لان الحضارات هي ليست كائنات عضوية حية كالانسان والنبات كي تولدوتموت وانما هي «منتظمات ثقافية ـ اجتماعية» كما اوضح «سوروكن» ومن ثم فلا يصح تطبيق قوانين علوم الحياة عليها «٩»

ان ما تقدم يشير الى ان دراسة تاريخ حضارات العالم على اساس مقارن وبصورة موضوعية محايدة مازالت امنية لم تتحقق وربما كان امر تحقيقها على يد مؤرخ واحد مسـألة اقرب الى المستحيل لذافإن من الافضل ان تتبنى مثل هذا المشروع المنظمات

الثقافية الدولية كاليونسكو، فتشكل لجانا من المؤرخين الذين يمثلون جميع حضارات العالم كل بقدر تعلق الامر باختصاصه والحضارة التي ينتمي اليها .. ثم تخضع اعمالهم للتقويم والمناقشة قبل اقرارها . ان مثل هذه الخطة لو قدر لها ان تطبق بروح علمية موضوعية ربما تساعد على تقديم موسوعة لتاريخ حضارات العالم تتسم بأكبر قدر ممكن من الصحة والموضوعية (١٠) .

اما على المستوى القومي فان النسبية التي تتصف بها الدراسات التاريخية وحقائقها يجعل من الضروري ان يتولى مؤرخوا ابناء كل امة كتابة تاريخهم وحضارتهم لانهم اقدر على فهم احداث واوضاع امتهم وبخاصة اذا حرصوا على الالتزام بالدقة والموضوعية التي تفرضها قواعد البحث العلمي . ان ما تقدم لايعني مصادرة حرية البحث بالنسبة للاخرين او منعهم من المشاركة في كتابة تاريخ الامم الاخرى، وانما يعني ان مسئولية كتابة التاريخ القومي لاي امة يقع بالدرجة الاولى على عاتق ابنائها(١١).

المؤرخون العرب والتدوين الحضاري

ان نشأة التدوين التاريخي عند العرب، والاتجاهات التي اتخذها في مساره قد تأثرت بعاملين رئيسيين هما :-

● اولا: رسالة الاسلام . المستمدة من «القرآن الكريم وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم» وذلك لان القرآن الكريم قد تضمن مجموعة من العقائد الدينية والقيم الأخلاقية ، اضافة الى تعاليم اقتصادية واجتماعية وسياسية ، كما حوى طائفة من أخبار الأنبياء السابقين والأمم التى أرسلوا اليها . أما السنة ، فقد تضمنت بشكل أساسي أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - الموضحة لتعاليم القرآن . ووصفا لجهوده وأعماله في تكوين المجتمع العربي الإسلامي في أوقات السلم والحرب (المغازى) .

● ثانيا: نشأة الدولة العربية الإسلامية وتوسعها من خلال حروب التحرير (الفتوح) ، وما ترتب على ذلك من تنظيمات سياسية وإدارية واقتصادية قام بها الخلفاء والولاة وغيرهم ، وما كان لها من آثار ايجابية أو سلبية على حياة الناس وموقفهم منها .

لقد ترتب على تفاعل هذين العاملين المركزيين في تدوين التاريخ ، أن اتسمت كتابات المؤرخين العرب بطابع (حضاري - سياسي) ، وربما كان عنوان كتاب التاريخ الذي الفه الطبري (تاريخ الرسل والملوك) دليلا على تقديم الجانب الحضاري في الأهمية على الجانب السياسي ، عند المؤرخين العرب (١٢) ٪.

ومع ذلك فإن من الباحثين المعاصرين من لاحظ قلة عناية التاريخ العربي في العصور الوسطى «بدراسة المجتمع والنظم وسير الادارة الحكومية والمرافق العامة وسائر النواحي الاجتماعية والاقتصادية والمالية والزراعية والصناعية التى نستطيع أن نتبين منها أحوال الشعوب الإسلامية .

حتى لتيبادر الى الذهن أن المؤرخين كانوا لايظنون أن مثل هذه الدراسات من أهداف الكتابة في التاريخ . ولعل للمؤرخين بعض العذر في هذا ، لأن التطور في أحوال المجتمع ونظمه في ديار الإسلام في العصور الوسطى كان بطيئا «فكانت هذه الأحوال والنظم ملموسة للقارئ في ذلك الحين» (١٣) .

ورغم أن هذه الملاحظة صحيحة في مجملها بالنسبة لكتب التاريخ العام ، إلا أن مراجعة مجموع ماكتبه المؤرخون وغيرهم عن أحوال المجتمع والدولة توضح مقدار عناية المؤرخين وغيرهم من رجال الفكر بالنواحي الحضارية ،نذكر على سبيل المثال كتب

الجغرافية التى وصفت مختلف البلدان من حيث طبيعتها وسكانها . وكتب (الخطط) التى تكلمت عن المدن واسوارها وعمائرها وأحوال سكانها المعاشية والحضارية .
وكتب (الطبقات) التى تحدثت عن أخبار فئات اجتماعية متنوعة كالفقهاء والمحدثين والأطباء والحكماء (الفلاسفة) والشعراء واللغويين والنحاة والقضاة ، وغيرهم . وكتب الفقه بأنواعها المختلفة (الخراج ، الأحكام السلطانية ، الحسبة ، الأموال ، الفتاوى ، وغيرها) ، وقد حوت معلومات ثمينة عن النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، اضافة الى توضيحها لجوانب من أحوال الناس وعاداتهم ، كما أن كتب الأدب بأنواعها المختلفة قد صورت جانبا «واسعا» من حياة الناس الثقافية والاجتماعية(١٤) .

إن الأهمية الكبيرة التى نالتها دراسات المجتمع والحضارة في التاريخ العربي الإسلامي لم تؤدبالمؤرخين الى التوصل الى صياغة نظرية محددة لدراسة التاريخ وفقا «لمنهج حضاري ، حتى جاء ابن خلدون: ٧٣٢-٨٠٨هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦م» الذي أفلح في توظيف نتائج أعمال المؤرخين وغيرهم من أعلام الثقافة العربية الذين سبقوه ، في صياغة مثل هذه النظرية ، في مقدمته(١٥) ، التى شكلت الجزء الأول من كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(١٦) » .

إن ظروف العصر الذى عاش فيه ابن خلدون وتجربته الشخصية القاسية حملته على اعادة قراءة التاريخ من أجل فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل(١٧) . وقد وجد ابن خلدون وهو يقوم بهذه المراجعة أن المؤرخين بحاجة الى معايير وقواعد جديدة لاستخدامها في نقد الأخبار وتمييز الصحيح من الزائف منها(١٨) . وقد عكف ابن خلدون حوالي أربع سنوات «٧٧٦-٧٨٠هـ» في قلعة ابن سلامة «في مقاطعة وهران في الجزائر» من أجل تحقيق هذا الهدف حيث ألف كتابه في التاريخ وأتبعه بمقدمته التى أنجز كتابتها في الخمسة أشهر الأخيرة من عزلته العلمية(١٩) . التى توصل فيها الى القواعد التى تساعد المؤرخ على فهم الحقيقة والتى أسماها بقواعد «علم العمران» أو ماقد سموه الآن بـ«علم الاجتماع» .

وقد أوضح ابن خلدون في مقدمته أن هذا العلم الذى توصل الى وضع قواعده من أجل دراسة وفهم التاريخ هو «علم مستنبط النشأة»(٢٠) لم يقف «على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة»(٢١) ، فهو قد توصل اليه بنفسه «من غير تعليم أرسطو ولا إفادة موبذان»(٢٢) على حد تعبيره .

وقد أثبتت الدراسات العلمية صحة ماذكره ابن خلدون وإن كان ثمة خلاف بين الباحثين في تصنيف مسائل هذا العلم ، هل تقع في اطار علم الاجتماع أم في اطار فلسفة التاريخ ، أم أنها تقع في اطارهما معا» . وقد عبر الجابري عن هذه الحيرة في وصف هذا العلم حين قرر أن «من الصعب ايجاد مكان مناسب لعلم العمران الخلدوني في اطار الدراسات الاجتماعية الحديثة ، فهو كما رأينا يقع بين علم الاجتماع وفلسفة التاريخ . فهل هو نوع جديد من هذه الدراسات ، يمكن أن يطلق عليه مثلا اسم سوسيولوجيا التاريخ؟»(٢٣) .

ومهما تكن طبيعة العلم الذى توصل اليه ابن خلدون ، فإن له الفضل في وضع أسس ومعالم المنهج الحضاري في كتابة التاريخ ، قبل أن تظهر الدعوة الى استخدام مثل هذا المنهج في دراسة التاريخ في أوربا بحوالي أربعة قرون .

لقد مهد ابن خلدون لمقدمته بعرض وتقويم مكثف لجهود من سبقه من المؤرخين

واشار الى ماشاب أعمالهم من وجود النقص والتقصير ، ثم دعا الى اتباع قواعد علم العمران في تقييم وفهم الأخبار التاريخية من أجل الوصول الى الحقيقة . ويتكون ماعرضه ابن خلدون من قواعد في علم العمران من مباحث في ضرورة الاجتماع الانساني ومدى تأثير البيئة الجغرافية على هذا الاجتماع ، وأنواع المجتمعات الانسانية من بدو وحضر ، وعلاقة كل ذلك بالسلطة والملك «الوازع» والعصبية . ثم قدم ابن خلدون في مقدمته مباحث عن أحوال الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية ، عرض بعدها مباحث حول البلدان والأمصار وسائر العمران تكلم فيها عن «نشأة المدن والأمصار ومواطن التجمع الانساني ، وما تمتاز به المدن عن غيرها من مختلف الوجوه العمرانية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية»(٢٤) ، ثم قدم بعد ذلك مباحث «في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال» حيث قدم فيها عرضا «لمختلف فروع العلوم والفنون والآداب ونظم التربية والتعليم وما إلى ذلك ...»(٢٥) .

إن المفردات التى حوتها المقدمة لم تكن مفردات سائبة وإنما كان يجمعها الى بعضها نظام فكري متماسك يستند الى تعليل وتحليل فلسفي لمختلف الظواهر الاجتماعية مما جعلها جديرة بصفة علم حسب مفاهيم ذلك العصر .

ورغم أن هنالك ستة قرون تفصل بين ابن خلدون وبيننا في الوقت الحاضر فإن مقدمة ابن خلدون مازالت تستهوينا ، بل لعلنا لانبالغ - على حد تعبير الجابري :

«إذا قلنا أن - المقدمة - تكاد تكون المؤلف العربي الوحيد الذي تحس عند مطالعته بانه يتحدث فعلا الينا . وبانه فعلا منا والينا ، وبالتالي نشعر بانه أكثر معاصرة منا لانفسنا وواقعنا . وبعبارة أخرى أننا عندما نقرأ المقدمة» نشعر باننا نقرأ فعلا مالم نكتبه بعد ، ونسمع فعلا مالم نقله بعد . أننا نكتشف فيها ماهو بمثابة - اللهو - الحضاري بالنسبة الى وجودنا الحاضر ...»(٢٦) .

إن السبب في انجذابنا الى «المقدمة» وتجاوبنا معها كما يوضح الجابري يرجع الى أن الظواهر الاجتماعية التى عرضها ابن خلدون في مقدمته كالبداوة والحضارة والعصبية ، وانتقال ابناء البادية الى حياة الحضارة من خلال الدولة ، وما يترتب على كل ذلك من آثار «مازالت امتداداتها قائمة في مجتمعنا المعاصر ، ومن ثم فإن الاشكالية النظرية التى عالجها ابن خلدون تحت ضغط ذلك الواقع .. مازالت تعيش بصورة من الصور داخل اشكاليتنا الفكرية الراهنة»(٢٧) .

إن ماتقدم يجعل من الضروري طرح التساؤل الأتي ، هل يمكن اتخاذ «علم العمران» الذي عرضه ابن خلدون في مقدمته أساسا لبناء منهج حضاري عربي أصيل لدراسة التاريخ ؟

إن من الضروري عند الاجابة عن هذا التساؤل التمييز بين الظواهر الاجتماعية والحضارية التى شخصها ابن خلدون في مقدمته وبين فهمه للأسباب والعوامل التى تقف وراءها .

إن بامكاننا أن ناخذ الظواهر التى عرضها ابن خلدون باعتبارها هيكلا للأوضاع الاجتماعية والحضارية التى كانت سائدة في عصره ونعمل على تحليلها وفهمها وفقا لمعطيات العلم في عصرنا ، وأن نتجاوز المفاهيم التى عرضها ابن خلدون لتفسير هذه الظواهر . لأن ابن خلدون كان محكوما في هذا المجال بمفاهيم عصره الفلسفية (الأرسطية) التى لم تعد موضع قبول في الوقت الحاضر(٢٨) . كما أن بامكاننا أن نستنير عند تحديد ودراسة الاشكاليات الاجتماعية والحضارية التى تواجهها أمتنا في الوقت الحاضر

بالاشكاليات المشابهة التى عرضها ابن خلدون للتعرف على مدى التشابه والاختلاف بعد مرور ستة قرون .

مشروع كتابة تاريخ حضاري للأمة العربية :

إن ماتقدم ، يجعل من الضروري أن نقف كما وقف ابن خلدون لنعيد قراءة الماضي الحضاري للأمة العربية على ضوء معطيات الحاضر ، لنصل ماانطقع من تطور في كتابة التاريخ العربي ، ولتجاوز الثغرات والأخطاء والهفوات التى وقع فيها المؤرخون الأقدمون ، ربما بسبب ظروف العصر التى أحاطت بهم أو الامكانيات العلمية والتقنية التى كانت تحكم نشاطهم .

لقد أكدت العديد من الدعوات والكتابات ضرورة اعادة كتابة تاريخ الأمة العربية وهي ضرورة حتمية ، فلسفية ، وقومية ، ليست موضع شك أو خلاف بين المؤرخين(٢٩) ، ولكن الخلاف يظهر عند مناقشة فلسفة أو منهج وأسلوب إعادة كتابة التاريخ (٣٠) .

مما يتطلب تواصل المناقشة والحوار في هذا الموضوع بين الباحثين للوصل الى فهم مشترك بالنسبة للمحاور الأساسية على الأقل .

وسنعرض في أدناه النقاط الأساسيةالتى نقترح اعتمادها عند الشروع في كتابة تاريخ شامل للأمة العربية :

١ـ لاتوجد فلسفة متفق عليها بين أغلبية أبناء الأمة العربية في الوقت الحاضر . لذا فإن اعتماد فلسفة معينة في كتابة التاريخ ستجعل تلك الكتابة لاتحظى إلا برضى اتباع تلك الفلسفة .

ومن ثم فإن من الأفضل اعتماد منظورعلمي عام متفق عليه بين الغالبية العظمى من أبناء الأمة لكتابة تاريخها كالتزام المؤرخ بقول الحقيقة التاريخية ،ومراعاة قانون التطور عند دراسة الماضي وعدم محاولة تفسير التاريخ بعامل واحد كالعامل المادي أو الروحي ، والانطلاق في دراسة تاريخ الأمة من الايمان بوجودها وقدرتها على العطاء الحضاري ، والصمود في وجه مختلف أنواع التحديات ، ومحافظتها على سمات وخصائص متميزة عبر مراحل التاريخ المختلفة .

٢ـ إن دراسة التراث العربي تشير الى اتفاق توجهات المؤرخين العرب مع المنهج الحضاري في دراسة التاريخ كما أن هذا المنهج يتفق مع الاتجاهات الحديثة التى أخذت في الانتشار بين أوساط المؤرخين في الغرب وبقية أنحاء العالم منذ منتصف القرن الثامن عشر . وهو بالاضافة الى ذلك ، يساعد المؤرخ على ابراز المنجزات الحضارية للأمة العربية وخدمتها للانسانية منذ أقدم العصور التاريخية وحتى مطلع العصر الحديث .

لذا فإن من الضروري الأخذ بهذا المنهج في كتابة تاريخ الأمة العربية من خلال الاهتمام بدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية وتقديمها على الأوضاع السياسية لأن هذه الجوانب هي الأكثر ثباتا وإشراقا وتمثيلا لشخصية الأمة عبر مراحل التاريخ المختلفة .

٣ـ أن موقع الوطن العربي (الوسط) بين بقية أنحاء العالم ، ودوره الحضاري المؤثر من أقدم العصور ، جعل العربي يشعر بقوة انتمائه الى مجموع النوع الانساني منذ التاريخ . لذا حرص المؤرخون العرب منذ بداية حركة التدوين على دراسة تاريخ الأمة

في اطار تاريخ الانسانية . ومن ثم فقد قدموا لتاريخ الأمة بدراسة تاريخ العالم بحدود المعلومات التي توفرت لهم فتحدثوا عن تكوين العالم ، وخلق آدم أبي البشر .. ثم عرضوا لظهور الأنبياء والأمم التى أرسلوا اليها وتكلموا عن الأمم المجاورة للعرب كالروم والأحباش والفرس وغيرهم وعلاقتهم ببعضهم وبالعرب ، ثم كرسوا بعد ذلك جهودهم لمتابعة تاريخ العرب وخاصة بعد ظهور رسالة الإسلام(٣١) .

إن متابعة هذا التوجه وفق أحدث ماتوصل اليه العلم ودراسات التاريخ والآثار مسألة ضرورية في ضوء التطورات المعاصرة التى قربت المسافات بين مختلف الأمم والأوطان بفضل وسائل المواصلات الحديثة وثورة التكنولوجيا في مجال جمع وتبادل المعلومات .

٤- إن دراسة تاريخ الأمة العربية تنطلق من الحاضر باتجاه دراسة الماضي ، وليس العكس ، ومن ثم فإن متابعة حياة وأعمال وعلاقات أبناء الوطن العربي من المحيط الى الخليج منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر باعتبارهم يشكلون في الوقت الحاضر أبناءوطن واحد وأمةواحدة ينبغي أن تشكل المحور المركزي الذي تدور حوله الدراسة . صحيح أن أبناء الأمة العربية المعاصرة لم يكونوا هكذا على مدار التاريخ من حيث المكونات والسمات العامة المشتركة .

كما أن الوطن العربي الحالي لم يكن ثابتا بهذه الحدود عبر حقب التاريخ المختلفة ، غير أن ذلك لايمنع من دراسة التطورات التى شهدها والمؤثرات التى تعرض لها حتى انتهى الى ماهو عليه في الوقت الحاضر .

٥- وبناء على ماتقدم فإن جميع الأقوام التي عاشت في أي جزء من الوطن العربي واندمجت بأبنائه واكتسبت ثقافته في أية حقبة من حقب التاريخ ينبغي أن تدرس باعتبارها جزءا أو رافدا من الروافد التى ساهمت في تكوين الأمة العربية بصورتها المعاصرة وذلك لأن مفهوم العروبة (الإسلامي والمعاصر) يقوم على أساس الثقافة والسجايا والانتماء وليس على أساس النسب أو العنصر . كما أن الثقافات والحضارات كافة التى نشأت على أرض الوطن العربي في أية حقبة من الحقب التاريخية هي جزء من التراث الحضاري العربي ، وينبغي على الباحثين دراستها ومحاولة التعرف على مكوناتها وعوامل التأثر والتأثير بينها وبين بقية حضارات الوطن العربي للتوصل الى فهم أفضل لطبيعة الحضارة العربية الإسلامية التى استوعبت وتمثلت معطياتها التى كانت بعض جوانبها مازالت قائمة عند ظهور الإسلام .

٦- إن مفهوم الأمة قد تغير وتطور عبر التاريخ سواء أكان ذلك من حيث المقومات الواجب توافرها في الأمة أو من حيث السمات التي تحملها ، طبقا للمرحلة التاريخية التى مرت بها كل أمة وحسب الظروف والأحوال التى اكتنفت حياتها . ومن ثم فإنه ليس من المفيد عند دراسة نشأة الأمة وتطورها أن نعتمد تعريفا عصريا جامدا ليكون اساسا للدراسة .

٧- تؤكد الدراسات التاريخية ان العراق ومصر والشام كانت موطن أقدم الحضارات الإسلامية . وليس ثمة حاجة للتأكيد على أن الحضارات الكبرى لايمكن أن تصنعها إلا أمم عظيمة مبدعة . غير أن من المؤسف أن كثيرا من الدراسات تؤكد على «الآثار» الحضارية لهذه المنطقة وتهمل دراسة حياة الأمة التى أبدعت تلك الآثار . بل إن من الباحثين في تاريخ الحضارات من ذهب الى أن الأمة هي نتاج الحضارة وليس العكس - كما فعل اشبنكلر -(٣٢) . وهذا منتهى الاجحاف في حق الأمة صاحبة الحضارة .

إن إن من الضروري أن يتم الربط عند كتابة التاريخ الشامل للأمة ، بين الأمة والحضارات التى انتجتها ، مع إعطاء اهمية

خاصة لدراسة العلاقات بين الأقوام والشعوب التى تكونت منها الامة ، سواء اكانت تلك الأقوام تقيم في شبه جزيرة العرب أو في بلاد وادي الرافدين أو بلاد الشام أو وادي النيل أو غيرها .

كما أن من المفيد لتأكيد الوحدة الحضارية للأمة دراسة الحضارات التى قامت في الوطن العربي على أساس مقارن ، وإبراز جوانب التشابه والتاثير والتأثر فيما بينها .

٨ـ لقد درج المؤرخون على دراسة المعطيات الحضارية للأمة في اطار الحياة السياسية للدولة أو الدول التى تحكم الأمة .

والحقيقة ، أن الظاهرة الحضارية أوسع مدى واعمق تأثيرا من أن يتسع لها اطار الدولة الزماني والمكاني . فكثيرا ماتنشأ الحضارة قبل نشوء الدولة وتستمر بعد زوالها لفترة طويلة . بل إن العديد من الدول تنشأ وتزول في اطار الحضارة الواحدة . بل ان الموطن الذى تنشأ عليه الحضارة والأقاليم التى تمد اليها تأثيرها ، يتجاوز في كثير من الأحيان حدود أية دولة من الدول .

وقد لاحظ توينبي هذه الحقيقة ، فعمل على دراسة الحضارات في اطار المجتمعات التى ظهرت وانتشرت فيها وليس في اطار الدولة أو الدول(٣٣) .

إن ماتقدم يشير الى ضرورة دراسة الظاهرة السياسية في اطار الظاهرة الحضارية وليس العكس . إن اتباع هذا المنهج في دراسة التاريخ العربي بجميع مراحله سيساعدنا على تجاوز كثير من الاشكاليات التى نجمت عن ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في الوطن العربي ، الذي تمثل في ظاهرة قيام الدول وسقوطها خلال فترات قصيرة ، أو انقسام الدولة الواحدة على نفسها الى عدة دول مع بقاء الأمة وحضارتها موحدة كما حصل في ظل الحضارة العربية الإسلامية .

اشكاليات كتابة تاريخ الأمة الحضاري :

في الوقت الذي يساعد المنهج الحضاري على حل كثير من اشكاليات تاريخ الأمة العربية ويحقق العديد من المزايا التى تساعد على ابراز وحدة الأمة ومعطياتها الحضارية ، فإن تطبيقه يضعنا أمام العديد من الصعوبات والاشكاليات التى تحتاج الى معالجة علمية متأنية ، نعرض فيما يأتي أهمها :

١ـ إن تقسيم التاريخ إلى قديم ووسيط وحديث ، تقسيم غربي يستند إلى دراسة التاريخ الأوروبي على أساس سياسي . ومن ثم ، فهو لايصلح لدراسة التاريخ وفقا للمنهج الحضاري . كما أن هذا التقسيم غير مناسب لدراسة تاريخ الامم الأخرى لأن هذا التقسيم وضع في الأصل لدراسة التاريخ الأوروبي ومن ثم فإن استخدام الأوروبيين له لدراسة تاريخ العالم يعبر عن أحساسهم بأن أوروبا هي مركز الكون وأن جميع أمم وحضارات العالم هي توابع تدور في فلكها .

لذا نلاحظ أن بعض مؤرخي الحضارة الغربيين وعلى رأسهم اشبنكلر وتوينبي ينتقدون هذا التقسيم ويحاولون دراسة الحضارات استنادا الى تقسيمات جديدة تنسجم مع طبيعة المنهج الحضاري(٣٤) .

إن ماتقدم ، يجعل مسألة التخلي عن هذا التقسيم عند دراسة تاريخنا مسألة ملحة من زاوية نظر منهجية وسياسية . فهل نستطيع تقديم البديل ؟

لقد حاول رواد المنهج الحضاري في دراسة التاريخ ، ابن خلدون(٣٥) واشبنكلر(٣٦) وتوينبي(٣٧) تقسيم المراحل التي تمر بها كل حضارة استنادا الى دورة

حياتها الداخلية الخاصة من ولادة وشباب وشيخوخة وموت أو من شتاء وربيع وصيف وخريف إلا أن هذا التقسيم والفهم "العضوي" للحضارات ، جعل منهجهم يتعرض لنقد شديد لأن الحضارات هي مجرد منتظمات ثقافية ـ اجتماعية فلا يصح تطبيق قوانين الحياة العضويه عليها من ولادة وشباب وشيخوخة وموت (٣٨) .

فإذا استبعدنا التقسيم الحيوي من مجال البحث ، فما هو التقسيم الأمثل لدراسة تاريخ أمتنا الحضاري؟ ربما كان من المناسب اعتماد تقسيم يقوم على عنصرين أساسيين هما :

أ ـ تقسيم التاريخ العربي الى حقب زمنية استنادا الى النظام الحولي في دراسة التاريخ .

ب ـ استخدام بعض الأحداث السياسية ذات الدلالة الحضارية العميقة لتحديد بداية ونهاية كل حقبة زمنية (٣٩)

٢ـ الوحدة والتنوع في الحضارة :

إن فكرة الوحدة والتنوع في الحضارة التي يطرحها علماء الانثربولوجيا ، تحاول تفسير العلاقة بين الحضارة الكبرى والحضارات المحلية التى يسمونها ثقافات أو تقاليد .

إن الحضارة الكبرى في فترة نموها وانتشارها تملك القدرة على احتواء الثقافات المحلية في اطارها . فتمنح تلك الثقافات هويتها ومفاهيمها العامة مع السماح لاتباع تلك الثقافات بممارسة تقاليدهم والعيش وفق قيمهم الحضارية القديمة بشرط عدم تصادمها مع الأطر والمفاهيم العامة للحضارة الكبرى . وهكذا يتسنى للحضارة أن تحافظ على وحدتها العامة مع السماح بقدر من التنوع الثقافي في داخلها .

لقد حاول العديد من الباحثين استخدام هذه الفكرة في دراسة تاريخ الحضارات الكبرى ومنها حضارات الوطن العربي (٤٠) .

ورغم أن هذه الدراسات مازالت حديثة ويمكن تاثير الكثير من المآخذ والملاحظات حولها ، خاصة وأنها مكتوبة من قبل مستشرقين ، إلا ان دراستها بعقلية نقدية قد تفيد في التوصل الى معالم خطة طموحة لدراسة مدى التواصل بين حضارات الوطن العربي القديمة وبين الحضارات العربية الإسلامية ، ولتحديد ابعاد التفاعل بين هذه الحضارة والثقافات التى عاشت في اطارها كالثقافة اليونانية والفارسية والهندية وغيرها .

٣ـ أصالة العرب الحضارية :

في اطار حملة التشكيك بأصالة الأمة العربية وقدرتها على العطاء الحضاري ، فقد ظهر الكثير من الكتابات في الغرب والشرق ، تتناول الحضارة العربية الإسلامية بالدروس والتحليل ، والمقارنة بين مكونات هذه الحضارة والحضارات غير العربية بروح من الشك يتجاوز في حدود ، الشك المنهجي المعترف به علميا .

إن كثيرا من هذه الكتابات تستهدف تحقيق الأمور الآتية :

أ ـ التشكيك في حقيقة وجود حضارة عربية من خلال تسمية معطيات هذه الحضارة الى حضارات أخرى .

ب ـ التشكيك في الانتماء العربي للمجددين الذين قدموا مساهمات حضارية من خلال تبني مفهوم عصري لايعترف بصفة العروبة إلا لمن كان يحمل نسبا عربيا صحيحا ، وهو أمر لاينسجم مع مفهوم العرب والمنتسبين للعروبة كما قدمنا .
ج ـ التقليل من دور العرب في مجال العطاء الحضاري ومحاولة حصره بأضيق الحدود ، إن لم يكن الغاءه نهائيا .

إن أية كتابة لتاريخ الأمة الحضاري لابد أن تتصدى لمثل هذه المحاولات التشكيكية بأسلوب علمي هادئ ، يحاول اعطاء كل ذي حق حقه .

٤ ـ مصير الحضارة العربية الإسلامية ومستقبلها :

إن من يدرس تاريخ الحضارة العربية الإسلامية لايملك أن يتجاهل بعض الأمور التى طرحت حول مستقبل ومصير هذه الحضارة والتى تتلخص في موقفين رئيسيين
ا ـ أصحاب النظرية العضوية للحضارة ، وهم يرون أن الحضارة كأي كائن عضوي تولد وتنضج وتشيخ وتموت وكان من أبرز القائلين بهذه النظرية اشبنكلر وتوينبي .
فقد ذهب اشبنكلر رغم إشادته بمعطيات الحضارة العربية ودروها في التاريخ الى أن هذه الحضارة قد ماتت منذ غزو المغول لبغداد في سنة ١٢٥٨م . ومن ثم فلم يعد لها دور تؤديه على مسرح الحياة منذ ذلك التاريخ(٤١) . أما توينبي فإنه يرى أن الحضارة العربية الإسلامية قد توقفت عن النمو من الداخل منذ الغزو المغولي لبغداد . وهي تمر منذ ذلك الوقت بدور الانحلال الذي سينتهي بالموت(٤٢) . ومن ثم ، فقد كان الواجب على أبناء هذه الحضارة المسارعة الى الالتحاق بركب الحضارة الغربية منذ زمن بعيد (منذ القرن السابع عشر على الأقل)(٤٣) .
ب ـ أصحاب نظرية الحوار الحضاري: يرى أصحاب هذه النظرية أن الحضارات لاتشكل كائنات عضوية حية كي تطبق عليها المفاهيم آنفة الذكر ، وإنما هي منتظمات ثقافية (تتواجد فيها معا عناصر عديدة من الأنظمة والتكتلات الاجتماعية ـ الثقافية ، الكبيرة والصغيرة ، تتواجد منسجمة في جانب منها ومتجاورة أو متباينة في الجانب الآخر)(٤٤) . إن هذه المنتظمات الثقافية الاجتماعية التى تتكون منها الحضارة لاتعيش منعزلة عن المجتمع الذي يحملها ، بل انها تنمو بنموه وتتطور بتطوره .

لقد التقت حركة الثورة العربية المعاصرة في موقفها من التراث ، مع أصحاب هذه النظرية ، فرفضت الموقف المتحلل من التراث والموقف الجامد منه ، لأن الأول يهجر التراث كما لو انه عبء فيفقد الأمة هويتها الحضارية وأما الثاني فانه يأخذ التراث بشكل تكرار للماضي فيحكم على الأمة المتمسكة بتراثها بالجمود والتحجر(٤٥) .

إن مبعث التراث الحضاري للأمة يتم من خلال قراءة جديدة للماضي على ضوء معطيات المرحلة التاريخية الراهنة ومتطلبات النهضة العربية ، ويتم ذلك من خلال الخطوات الآتية :
أ ـ استيعاب دقيق لواقع الامة العربية ومتطلبات النهوض بهذا الواقع
ب ـ فهم التراث على ضوء هذا الواقع والاستفادة المبدعة من خبرات وتجارب في شتى الحقول مع ضرورة التركيز على المبادئ والقيم الاصيلة دون الجوانب الشكلية والقيم التي جاورها الزمن
ج ـ الانفتاح على الحضارات الاخرى ومحاولة الاستفادة من تجاربها وعلى الاخص الحضارة الغربية المعاصرة (٤٦) . .

إن مفهوم الثورة العربية المعاصرة للتراث والحضارة يلتقي كما قدمنا مع دعوات بعض الكتاب التي تعترف بقيمة ومكانة جميع الحضارات وتدعو الى التفاعل بينها من خلال الحوار لصنع مستقبل أفضل لبني الانسان . بقول روجي جارودي: «إن ابتكار مستقبل حقيقي للانسانية يقتضي، (العثور مجددا) على جميع أبعاد الانسان التي نمت في الحضارات والثقافات اللاغربية»(٤٧) والدخول معها في حوار لأن حوار الحضارات هو وحده الذي «يمكن ان يولد مشروعا كونيا يتسق مع اختراع المستقبل . وذلك ابتغاء ان يخترع الجميع مستقبل الجميع»(٤٨) .

وقد دعت منظمة اليونسكو الى العمل في خطتها متوسطة الأجل (١٩٧٧ - ١٩٨٢م) الى «المحافظة على الثقافة والعلم والتقنية والمؤسسات في طابعها الوطني الأصيل الذي يغني التـراث البشري بالتعـدد المتبـادل للشعوب والحضارات دون مقاومة صيرورة التحديث والتعميم التى التزمت بها عميقا حضارة العالم»(٤٩) .

إن التـطور الحـديث قد تجاوز مرحلة تسلط الحضارة الغربية على العالم منذ انتهاء الحرب العالمية ، واتجهت الجهود نحو بناء حضارة العالم من خلال مساهمة أبناء جميع الحضارات الانسانية . إن أبناء الأمة العربية الذين ساهموا على مدار التاريخ في تقدم الانسانية من خلال عطائهم الحضاري المتميزة لابد أن يكون لهم دورهم في بناء وتطور العالم المعاصر .

** الهـــوامش **

١ـ صبحي ، د.احمد محمود ، في فلسفة التاريخ ، الاسكندرية ص١٨٠ـ١٨١ .

٢ـ جونسون ، هنري ، تدريس التاريخ ، ترجمة د.ابو الفتوح رضوان القاهرة ١٩٦٥ ، ص٢٥٥ .

٣ـ المرجع ، نفسه ص ٢٥٧ـ٢٥٩ .

٤ـ صبحي ، في فلسفة التاريخ ص٢٤٥ اشبنكلر، اوزولد ، تدهور الحضارة الغربية . ترجمة احمد الشيباني ، بيروت ١٩٦٤ ، ج١ ص٦٢ـ٦٣ .

٥ـ اشبنكلر ، المصدر نفسه ج١ ص٣٣ .

٦ـ خطاب ، صدقي عبدالله ، آرنولد توينبي مجلة عالم الفكر الكويت ١٩٧٤ ، المجلد الخامس ، ص٢٩٢ـ٢٩٦ .

٧ـ توينبي ، مختصر في دراسة التاريخ ، ترجمة فؤاد محمد شبل ، القاهرة ١٩٦٦ ج٤١ ص١٥٢، ٢٤١ .

٨ـ اشبنكلر، تدهـور الحضـارة الغربية ج١ ص٦٨ـ٦٩ ، ص٢١٧، ٣٢٩ ، توينبي ، العالم والغرب ، ترجمة عبدالواحد الانبابي مصر ، ص٢٣ـ٢٤ ، ٦١ـ٦٧ ، خوري ، منح ، التاريخ الحضاري عند توينبي ، بيروت ٩٦٠ ص٨٠ـ٨١ .

٩ـ خوري ، التاريخ الحضاري ص١٠٨ـ١٠٩ ، زريق ، مطالب المستقبل العربي ، بيروت ١٩٨٣ ص١٥٦ـ١٥٧ .

١٠ـ ان منظمة اليونسكو تولي مثل هذه الدراسات اهمية كبيرة ولكنها لم تصل الى مرحلة تبني مثل هذا المشروع المتكامل لدراسة تاريخ وحضارة العالم .

١١ـ العلي ، د.صالح ، مقالته في كتاب حول كتابة التاريخ بغداد ١٩٧٩ ص٦٥ـ٦٦ .

١٢ـ إن السخاوي في كتابه «الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» يقدم مواضيع التاريخ الحضارية في الاهمية والترتيب على المواضيع السياسية . راجع روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة د.صالح العلي ، ص٤٠٠ .

١٣ـ كاشف ، د.سيدة إسماعيل ، مصادر التاريخ الإسلامي ، مصر ، ١٩٦٠ ص٥٣ .

١٤ـ المرجع نفسه ص٦٤ـ٨٠ .

١٥ـ الجابري ، محمد عابد ، العصبية والدولة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص١٨ .

١٦ـ ابن خلدون ، المقدمة ، بيروت (دار إحياء التراث العربي) ط٣ .

١٧ـ الجابري ، العصبية والدولة ص١٨ .

١٨ـ ابن خلدون ، المقدمة ص٦٠٣ .

١٩- وافي ، الدكتور/ علي عبدالواحد ، عبدالرحمن بن خلدون ، مصر ،اعلام العرب ٤، ص٧٩-٨٣ .
٢٠- ابن خلدون ، المقدمة ، ص٣٨ .
٢١- المصدر نفسه ص٣٨ .
٢٢- المصدر نفسه ص٤٠ .
٢٣- الجابري ، العصبية والدولة ص١٩٧ .
٢٤- وافي ، عبدالرحمن بن خلدون ص١٣٨ .
٢٥- المرجع نفسه ص١٣٩ .
٢٦- الجابري ، د.محمد عابد ، نحن والتراث ، بيروت ١٩٨٠ ص٣٩٢ .
٢٧- المرجع نفسه ص٣٩٢ .
٢٨- المرجع نفسه ص٣٧٥-٤٠٤ .
٢٩- تراجع على سبيل المثال احاديث الرئيس القائد/ صدام حسين ، حول كتابة التاريخ ، وتعقيبات وبحوث العديد من المؤرخين المنشورة في كتاب حول كتابة التاريخ ، بغداد ١٩٧٩ .
٣٠- جونسون ، تدريس التاريخ ، ص١-٣٥ .
٣١- راجع على سبيل المثال الطبري تاريخ الرسل والملوك ، مصر ١٩٦٧ ج١ - ج٢ .
٣٢- اشبنكلر ، تدهور الحضارة الغربية ج٢ ص٤٨٣ .
٣٣- توينبي ، مختصر دراسة التاريخ ج١ ص١٩ ، ٥٩ .
٣٤- اشبنكلر ، تدهور الحضارة الغربية ، ج١ ص٥٩-٦٣ ، توينبي ، مختصر دراسة التاريخ ج١ ص٥٩-٦٥ .
٣٥- ابن خلدون ، المقدمة ص١٧٠-١٧١ .
٣٦- اشبنكلر ، تدهور الحضارة الغربية ج١ ص٢١٨ .
٣٧- توينبى ، العالم والغرب ، ص٢٣-٢٤ ، ٦١-٦٧ .
٣٨- خورى ، التاريخ الحضاري عند توينبي ، ص٨٠-٨١ .
٣٩- من اوضح الأمثلة على الأحداث السياسيةذات البعد الحضاري العميق هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة لذا فقد اتخذه عمر [رضي الله عنه] بداية للتاريخ الهجري ..
٤٠- راجع الدراسات التى نشرها كرونباوم ، الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية ، ترجمة د.صدقي حمدي ، بغداد ١٩٦٦ ، وكذلك اشبنكلر ، تدهور الحضارة الغربية ، توينبي ، مختصر دراسة التاريخ .
٤١- اشبنكلر ، تدهور الحضارة الغربية ج٣ ، الجداول الملحقة ، صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص٢٤٥ .
٤٢- توينبي ، بحث في التاريخ ، ترجمة طه باقر ، بغداد ١٩٥٥م ج١ ص٢٢-٢٣ .
٤٣- توينبي ، العالم والغرب ، ص٢٤ .
٤٤- خوري ، التاريخ الحضاري عند توينبي ، ص١٠٨-١٠٩ .
٤٥- فرح ، د.الياس ، في الثقافة والحضارة ، بغداد ١٩٧٩ ص٨٧-٨٨ .
٤٦- فرح ، د.الياس ، مقدمة في دراسة المجتمع العربي ص٢٦ .
٤٧- غارودى ، حوار الحضارات ، ترجمة د.عادل الصوا ، بيروت ١٩٨٢ ص٩ .
٤٨- المرجع نفسه ص٩ .
٤٩- سعدي ، التنمية الثقافية في الدول العربية ، في كتاب التنمية الثقافية تجارب اقليمية ترجمة سليم مكسور بيروت ١٩٨٣ ص٢٩٠-٢٩١ .



مع عمرو بن معديكرب الزبيدي

بقلم / الدكتور ابراهيم السامرائي

جامعة صنعاء

لن اتحدث عن عمرو فاعرض لسيرته واخباره فذاك امر معروف في مصادر الادب والتاريخ كما ان الذي بسطه كل من ناشري ديوانه في ذلك كله ، فيه مقنع ومن شاء ان يعرض لشيء من ذلك فانه سيجد نفسه مكررا وليس له ان يأتي بجديد . .

ولكني اقول : انه ابو ثور «٢» كما ان كنية زوجه ام ثور ، ولعلها تلك التي اقترن بها من قبيلة «جعفي» اليمنية وهذه الكنية تشريف ولم تكن الكنية لغير التشريف قال الشاعر :

اكنيه حين اناديه لاكرمه   ولا القبه ، والسوءة اللقب

ومن هنا كانت دلالة «الثور» في العربية هي السيد «٣» ومن الغريب ان معاني «ثور» «٤» كلها ذهبت وامحت في العربية المعاصرة ولم يبق فيها الا الثور الحيوان المعروف . .

ولا اريد أن عرض لشعر عمرو فقد عرض له ناشرا الديوان كما عرض له مؤرخوا الادب القديم ، ولكني اقف فيه على «خصوصيته» اليمنية فأين اجدها . .

من غير شك ان الخصوصية اليمنية تبدو في شعره تبدو في اشارات الشاعر الى «الايام» التي عرفتها قبيلته «زبيد» ثم التجمع الكبير في «مذحج وقد تغنى الشاعر بذلك كله . .

غير ان شعر عمرو لم يشر الى مظاهر الحضارة اليمنية التي عرفها اليمنيون والتي تبتعد عن البداوة «٥» السائدة في بلاد العرب. ومن هذا معرفتهم وحذقهم في الزراعة وكذلك الحياكه والدباغة «٦» .

وعرفت اليمن معاصر الخمر واستخراج الملح وصنع الاصباغ «٧» وكانوا على معرفة بتعدين الحديد فصنعوا السيوف التي نسبت اليها فكان السيف اليماني «٨»

وقد اشتهر اليمنيون بالتجارة وركوب البحر والى هذا اشار امرؤ القيس :

والقى بصحراء الغبيط بعاعه
نزول اليماني ذي العياب المحمل

«الديوان ط السندوبي ص ١٣٧»

وعرف اليمنيون الكتابة قبل غيرهم من العرب في الجزيرة قال الشاعر :

أوزبر حمير أخبارها
بالحميرية في عبب ذابل

الجهرة لابن دريد / زبر

وقال ابو ذؤيب الهذلي :

عرفت الديار كرقم الدواة
يزبرها الكاتب الحميري

«ديوان الهذليين ١/ ٦٤»
وقال امرؤ القيس :
لمن طلل ابصرته فشجاني
كخط الزبور في العسيب اليماني
«شرح الديوان للبطليوسي ص١٠٩»
اقول لم اجد اي اشارة من هذا في شعر عمرو، وكأني اصل الى ان عمرا كسائر الشعراء أنف من مظاهر الحضارة وعد البداوة مما يجب ان ينوه بها الشعراء وانها موطن الشعر وان الحرف والصناعات مما يمارسه غير الخالصة من العرب وبعد ظهور الاسلام كانت هذه مما يعرف لدى الموالي .
ولم نجد اي اشارة الى كلمة يمنية في شعره، وهي التي دعاها العرب «الحميرية» وكأن عصر عمرو عرف انحسار التراث اللغوي اليمني، وربما ادرك هذا المستشرقون فذهبوا الى ان عربية اهل الشمال «الحجاز» بدأت تنتشر في شمالي اليمن حالة محل اللغات اليمنية «السبئية والمعينية والقتبانية . . منذ القرن السادس الميلادي وقال : ان اهل اليمن ـ عدا مقاطعات قليلة كانوا عام ٦٠٠م يتكلمون العربية «٩»
ومن هنا كان شعر عمرو بالعربية التي نراها لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين . . ويشير الهمداني «المتوفي سنة ٣٣٤هـ» في «صفة جزيرة العرب» الى الخارطة اللغوية في اليمن في نهاية القرن الثالث الهجري الى اللغة الحميرية التى بدأت تضعف وتحل محلها العربية الشمالية «١٠»
وقال : ان اللغة الحميرية القحة المتعقدة كانت سائدة بعد في المنطقة الممتدة من حقل قتاب الى ذمار . وقد كانت هذه هي المنطقة المحيطة بظفار عاصمة دولة الحميريين القديمة اما في العاصمة الجديدة وهي صنعاء ففي اهلها بقايا من العربية المحضة ونبذ من كلام حمير «١١» . .
وصنعاء تختلف فيها اللغات واللهجات فلكل بقعة منها لغة لانها كانت مدينة مهمة اذ ذاك وعلى النقيض من ذلك ففي غربي صنعاء تسود الحميرية بين شبام اقيان عبر سلسلة جبال المصانع حتى جبل «يخلي» «١٢» .
والذي استطيع تلخيصه مما ذكره الهمداني ان نهاية القرن الثالث التي شهدت انحسار اللغة اليمنية امام عربية اهل الشمال كانت مع ذلك التاريخ الذي شهد توزيعا لغويا عريضا فقد عرفت فيها اللهجات اليمنية التي تعود الى انماط مختلفة من الحميرية . .
وهو يعد اهل حضرموت غير فصحاء وربما وجد فيهم الفصيح، وافصحهم كندة وهمدان «١٣» ولكنه يرى في اللهجات التي يتكلم بها في سرو ومذحج ومأرب وبيحان وحريب فصيحة . «١٤» . .

اقول : بعد هذه المقدمة الموجزة في التراث اللغوي اليمني اعود الى عمرو فأقول :
لايهمني من هذا اليمني الا ما ورثه من خصوصية يمنية تتصل بأبيه «معد يكرب» واشتهر هذا الاب بابنه الفارس الشجاع «ابو ثور عمرو بن معد يكرب» وفيه يصح ان ننشد :
وكم اب قد علا بابن ذرى شرف
كما علا برسول الله عدنان
لقد عرض النحاة واللغويون لـ «معد يكرب» فذهبوا الى انه مركب تركيبا مزجيا مثل بعلبك وحضرموت وبختنصر. وبحث اللغويون في «معديكرب» وفي اشتقاق «معد» فانتهوا الى ادراجه في مادة «عدو» وعرض الدكتور هاشم الطعان فرفض رأي اللغويين وجعل الاصل الاشتقاقي مادة «معد» . .

اقول وليس كل الذي ذهبوا اليه بالصحيح ولو انهم الموا بالاصول السبئية القديمة لادركوا ان الاصل «عدد» وليس في اليمنية اصل «معد» ولا هو من مادة «عدو»«١٥»
ونأتي الى الاصل السبئي «عدد» فنجد اصحاب المعجم «١٦» قد اثبتوا فيه انه «فترة من الزمن او مهلة» «١٧» اقول : وفي العربية «عدان» الشيء و «عدانه» زمانه وعهده واوله وافضله . ولو اتيح للمختصين بلغات اليمن ان يجدوا نصوصا اخرى لوقفوا من غير شك على «عدد» الذي فيه «العدد» والاحصاء . .
وبشيء من لطف النظر يمكننا ان نقرب

بين «المدة» او المهلة» وبين «العدد» الذي يعني الاحصـاء ، ذلـك ان «المدة» مما يقاس امدها وموعدها ، ويوصل الى ذلك بالاحصاء وهو «العدد» . .

واذا كان لنا ان نفترض وجود الاحصاء في مادة «عدد» السبئية ، امكننا ان نصل الى كل ماهو داخل في الاحصاء اي الشيء الكثير . . ومن هنا لابد ان نفترض ان قد كان في السبئية شيء مثل «العِدِّ» في العربية . وهو الماء الجاري الذي لاتنقطع له مادة كماء العين

اقول والذي اراه ان «الميم» في «معد» زائدة تزاد في الصيغـة لصوغ اسم الفـاعـل واسم المفعـول والمصدر الميمي، واسمي الـزمـان والمكان، وكذلك اسم الآلة ، وعلى هذا افترض في «معد» معنى الزيادة والكثير وقد يكون «الذي يعمل» كالفلاح ونحو ذلك . .

ومن هنا يكون العلم «مَعَدّ» في عربية اهل الحجاز شيئا مما لحقها من العربية الجنوبية . .

ولم يعرف اللغويون العرب مصطلح السبئية او المعينيـة «١٨» ولكنهم عرفوا «الحـميريـة» ووصفوا كل كلمة من اليمن او خصوصية يمنية بكونها «حميرية» و «حمير» مثل درهم غربي صنعاء وابن سبأ بن يشجب أبو قبيلة . . «١٩»

وحكى اللغـويون في اخبارهم ما يشعر ان اللغة اليمنية مما لا يفهمه العرب في الشمال «٢٠» ولذلك قالوا : مالغة حمير بلغتنا . .

واذا انتهينـا الى ما وصـل اليـه اجتهادنا في «معدّ» فينبغي لنا ان نقول : ان «ذو معدي بن بريم» من أقيال اليمن، يدخل فيها بسطناه من معنى «معد» ايضا . .

وارى ان العلم «معـد يكـرب» ليس مركبا مزجيـا كما اجتهد النحاة العرب، بل هو شيء يقرب مما نسميه مركبا اسناديا نحو : جاد الحق وجاد المولى ونحو ذلك ، فاذا قبلنا هذا فعلينا ان لانرسم العلم كما نجد في بعض الكتب «معدي كرب» . .

ومن هنا لابد ان نتوجه الى «يكرب» فنقول انه فعل على «يفعل» «٢١» و «يكرب» اي يحرث وانا افترض وجوده في السبئية وان خلا المعجم السبئي منه، وخلو المعجم يعود الى النقص في النقوش التي اعتمدت في التقاط الكلم . .

اقـول : افـترض وجوده معتمـدا «كرب» KERB الذي يعني «البركة» «٢٢» اي النعمة والفضـل . وعنـدي ان «الـبركـة» من المعاني العقليـة وهي لابـد ان تؤخـذ من اصل حسي يتوسع فيه فيأتي معنى البركة . والاصل الحسي هو «الكراب» اي الحراثة اي الزرع «٢٣»

واللغة السبئية مما يندرج في لغات العرب التي هي من اللغـات السـاميـة وخصـائصهـا خصائص العربية، ثم هي بعد ذلك خصائص سامية . .

ومن ابرز خصائص اللغات السامية المكان الذي يحتله فيها «الفعل» من حيث كونه حدثا «٢٤»

واذا كانت العـربية الشمالية قد احتفلت بالفعـل ، فكـانت الجملة العـربية جملة فعلية اصـالـة «٢٥» فان اللغـة السبئية او قل لغات اليمن كانت اشد احتفالا بالفعل فقد دل الفعل فيها على الحدث، وتجاوز هذا الحد حتى غلب على الاسم . الا ترى ان طائفة من بناء « يفعل» قد اعير في اللغات اليمنية الى الاسم فاكتسب الاسمية مع احتفاظه بها يومئ الى الحدث . .

وربـما اعارت اللغات اليمنية هذه الظاهرة اللغوية العربية الحجازية فمن ذلك مثلا : يحيى بن «يعمر» العدواني، وهو من عدوان بن قيس بن مضر .

على ان هذا كثير في اليمن ونبدأ هذه السلسلة تاريخيـا بـ«يشجب بن يعـرب بن قحطان «٢٦»ولا يختص هذا باسماء العاقلين بل تجاوزه الى اسماء المـواضـع ولنستقر هذه السلسلة كما وردت في «معجم البلدان» وغيره من كتب البلدان . . وقد نجد من هذه الاسماء طائفة في غير بلاد اليمن، وهذا يعني ان اهلها يمنيون، وحسبك ان تعرف ان اغلب العناصر العربية في بلاد الشام عامة من اصـول يمنيـة وكـذلـك سائر الغازية في مصر والشـمالي الافـريقي والاندلس ،ولا نقصد ان

عرب الشمال لم يكن لهم نصيب في هذه النقلة البشرية بل نذهب الى ان اهل اليمن كان لهم حضور بارز في هذه البلاد التي شملتها دعوة الاسلام «٢٧»

ودونك هذه الطائفة من اسماء المواضع والامكنة «٢٨»

تَبْشع : بلد بالحجاز في ديار فهم
تبغر : موضع . ولم يتبين ياقوت في اي جهة ، وهذا من جملة ما التقطه من الشعر وغيره .
تُبْنَى : بلدة بحوران من اعمال دمشق .
تبوك : بلدة بين وادي القرى والشام .
ولا ادري : اصحيح من «البوك» كما زعموا ام من شيء آخر . . والبوك في العربية ان تدخل اليد في شيء وتحركه «٢٩»
تُجيب : اسم قبيلة من كنده .
تُختُم : جبل في بلاد بلحارث بن كعب .
تَدمُر : مدينة قديمة في برية الشام.
ترقف : قال ياقوت : اظنه من نواحي البندنيجين .
اقول : من المعلوم ان القبائل القحطانية عرفت العراق، واستقرت فيه ولاسيما في شماله وفي الموصل موطن لجماعة طائية .
تَرِيم : احدى مدن حضرموت .
تِرْيَم : اسم واد بين المضايق ووادي ينبع ، واضاف ابن السكيت : انه قريب من مدين .
تُضارع : ويروى بكسر الراء ، جبل بتهامة لبني كنانه .
تَضرع أو تضرع : جبل لكنانة قرب مكة .
تعاهن : مَوضع ذكره ابن قيس الرقيات في شعره .
تعز : قلعة عظيمة من قلاع اليمن .
تَعْشَر موضع باليمامة .
تَعْكُرُ : قلعة حصينة مكينة باليمن من مخلاف جعفر .
تَعْنَق : قرية قرب خيبر .
تِعْهن : اسم عين ماء بين مكة والمدينة .
تغوث : موضع بالحجاز .
تقتد : زكية من مياه بني سعد بن بكر بنهوازم
توضح : كثبان حمر بالدهناء .

يبرين : من اصقاع البحرين ، في كتاب نصر .
يَنْمَبَم : موضع قرب تبالة .
يِبنى : بليد قرب الرملة .
يبوس : جبل بالشام .
يتيب : من جبال المدينة .
يَثْرِب : اسم مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .
يَحصِبْ : مخلاف فيه قصر ريدان .
يَحير : اسم بلدة نسب اليها بطن من كندة، وبطن من حمير .
يدوم : ورد في شعر ابي جندب الهذلي .
يديع : ناحية بين فدك وخيبر .
يَذْبُل : جبل ورد فى شعر امرئ القيس
يَرْبَغ : موضع في ديار بني تميم .
يرثم : جبل في ديار بني سليم .
يَرْنا : واد بالحجاز .
يَريض : موضع بالشام، ذكره امرؤ القيس
يزن «٣٠» واد باليمن .
يسنم : موضع باليمن .
يَسوم : جبل في هذيل .
يعمر : موضع في شعر لبيد .
يَعُوق : اسم صنم كان لهمدان وخولان .
يغوث : اسم صنم .
يَفور : من حصون حمير .
يَقاع : رمل في ديار كلب .
يقن «ذويقن» : ماء .
يَلْبَن : جبل قرب المدينة .
يَلَمْلَمْ : موضع على ليلتين من مكة، وهو ميقات اهل اليمن .
يَلْيَل : قرية بالمدينة .
يمن : قالوا : انما سميت «اليمن» لتيامنهم اليها، وفي المعجم السبئي : ايمن وتيامن ، كان في اتجاه الجنوب «٣١»
يَمَن : ماء لغطفان .
يَنابع : موضع او جبل في بلاد هذيل .
يَنْبَع : من ارض تهامة غزاها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

ينجا : واد في شعر قيس بن العيزارة .
ينعب : بأرض مهره بأقصى اليمن .
ينكف : موضع .
يَنوف : اسم هضبة .
ينوفه : ماءة .
ينوق : جبل لكلاب
يَهْرَع : موضع و «ذويهرع» «٣٢».
وقد يكون لي ان اضيف الى هذه الطائفة ماكان على «تفعول» و «يفعول» «٣٣» من اسماء المواضع وانا اميل الى انها يمنية وان وجد بعضها بعيدا عن اليمن :
تَضْرُوع : موضع عقر فيه عامر بن الطفيل فرسه .
يَحطوط : واد
يحمول : قرية في حلب .
يحموم : جبل بمصر
يرموك : واد بناحية الشام ، وفيه المعركة المشهورة.
يسنوم موضع .
يعمون : موضع باليمن من منازل همدان .
ينخوب : موضع ذكره الاعشى .
ينسوع : موضع في طريق البصرية .
ينصوبة : مكان في شعر عدي بن زيد .
ينكوب : موضع .
ولعلي اضيف الى هذا «يفعان» وهو حصن باليمن .

خاتمة :

اقول : هذه نبذة يسيرة وجدتني اتفسح فيها مُتخذا من «معد يكرب» في اسم الشاعر الزبيدي «اليمني» «عمرو بن معد يكرب» آمل ان اكون قد قدمت جديدا للدارسين .

الهوامش :

١ ـ نشر الدكتور هاشم الطعان ـ رحمه الله ـ ديوان عمرو في بغداد «من منشورات وزارة الثقافة دون تاريخ» ولم يكن بين يديه اصول مخطوطة فعمد الى جمع اشعاره من مصادر الادب والتاريخ والبلدان . فكان له من ذلك قدر كاف وقد قدم بين يدي الديوان مقدمة دلت على حذق في الصنعة تناول من سيرته واخباره وماصاحب ذلك من نقد تاريخي ماجعل منها مبحثا علميا موفقا . ثم عرض لاشعاره مؤرخا وصولها رواية وسندا . ثم نشر الديوان ثانية «في دمشق في مطبوعات مجمع اللغة العربية سنة ١٣٩٤ هـ» وكان الجامع له مطاع الطرابيشي . وقد كان للجامع مقدمة مفيدة فيه ، ومن هنا كانت النشرتان مفيدتين في معرفة الشاعر وشعره ثم انهما اشتملتا على طائفة وافية من المصادر والمراجع .

٢ ـ لم يشر الناشران الى دلالة الكنية ، ويبسطا الكلام فيها .

٣ ـ اقول ان هذه الدلالة تؤمئ الى «الثور» الحيوان المعروف قد حظي بمكانة اسطورية لدى القدماء من الامم السامية كالبابليين والاشوريين فقد كان للاشوريين إله القوة ممثلا بالحيوان المعروف وجعلوه مجنحا لمنحه قدرة خارقة . وهكذا اكتسب «الثور» الحيوان معنى القوة والهيجان . . ومن هنا كان اثيرا عندهم . وقد نجد في الاثار اليمنية هذا الثور ولكنه غير مجنح وهو كذلك يرمز الى مارمز اليه الثور الآشوري و «ثور الوحش» في الشعر العربي القديم كشعر ذي الرمة وغيره حيوان اثير يحظى بتقديرهم وكأن ذا الرمة ورث هذا النظر من التراث الجاهلي الذي كان للثور فيه مقام خاص تفرضه القوة والسطوة فليس عجيبا ان يكون من معاني الثور في العربية «السيد» والسيد في العربية عظيم زعيم ، والزعيم لابد ان يكون فيه جماع الخصال الحسنة لديهم .

٤ ـ يدل «الثور» في العربية على : الحيوان المعروف ، وانا اضع هذه الدلالة في مقدمة المعاني وذلك لاني المح الحيوان ، وهو الاصل الحسي الذي نذهب منه الى الدلالة المعنوية وهي : الهيجان والوثب والسطوع ونهوض القطا والجراد وظهور الدم والقطعة العظيمة من الاقط . وهذه الدلالة الاخيرة هي حسيه وقد تكون مما وصل اليها عن طريق التشبيه ، ثم نصل الى الفعل : ثار يثور . واثار واستثار ، ومن دلالة الهيجان جاء المجنون والاحمق ، ومن دلالة العظمة والقوة جاء السيد ، وليس في الامر تضاد .

وقد سمي بـ «ثور» مواضع منها جبل ثور وفيه غار حراء . وثور ابو قبيلة كنده والدلالة هنا على السيد ، ومن اجل ذلك سمي به ومن ذلك حميد بن ثور الهلالي ، وسفيان الثوري منسوبا الى القبيلة . .

٥ ـ وكأن الشاعر القطامي قد ادرك الفرق بين الحضارة التي انف منها من طبع على البداوة فقال :

ومن تكن الحضارة اعجبته
فأي رجال بادية ترانا

٦ ـ المقدسي ، احسن التقاسيم ص ٩٨ ومعجم البلدان «اليمن» بلوغ الارب ١/ ٣١١ قال خالد بن صفوان

يخاطب اليمنيين « فما منكم الا دابغ جلد، او ناسج برد ، او سائس قرد او راكب عرد ، وانظر صفة جزيرة العرب ص ١٩٩ و ٢٠١

٧ ـ احسن التقاسيم ٩٨ وشمس العلوم ١/ ١٠٨ وتاريخ بغداد ٣/ ٧٣ .

٨ ـ في تفسير القرطبي ١٧/ ١٧١ قال امية بن خلف يخاطب حسان بن ثابت :

يمانيا يظل يشد كيرا   وينفخ دائما لهب الشواظ

وانظر «سير اعلام النبلاء ٣/ ٣٤٢» : ان يزيد بن مفرغ الحميري كان ابوه زياد حدادا وقيل : شعابا بتبالة . والازمنة للمرزوقي ١/ ١٦٤ وملوك حمير ٩٣

٩ ـ ولفنون تاريخ اللغات السامية ص ٢٠٥ وانظر اللغات السامية لفولدكه ص٩٤ .

١٠ ـ صفة جزيرة العرب من ١٣٤-١٣٦ « اختصار يوهان فك ، العربية ص ١٥٤» .

١١ ـ المصدر السابق ص ١٣٥ س ٢٥

١٢ ـ المصدر السابق ص ١٣٦

١٣ ـ المصدر السابق ص ١٣٤

١٤ ـ المصدر السابق .

١٥ ـ لسان العرب «عدو»

١٦ ـ المعجم السبئي «عدد» ص ١٢

١٧ ـ ومن اوهام اصحاب المعاجم العربية انهم ادرجوا في مادة «عدد» المعيدي وقالوا هو تصغير «المعدي» ومن اوهامهم انهم ادرجوا فيه «معدّ» بن عدنان ابو العرب وقد رأينا انهم ذكروا «معد» في مادة «عدو» . وقالوا ايضا ان الميم في معد على رأي بعضهم اصلية ولذلك ادرجوا هذا في مادة «مَعَدَ» وجعلوا فيه شاهدا الحديث الشريف : «تمعددوا واخشوشنوا» .

١٨ ـ لابد ان تكون مدينة «معين» مدينة الخير والماء الوفير والزرع ومن هنا كان «المعين» في العربية الماء الصافي الثر . وارى انه من «معن» وليس من مادة «عون» كما توهم اللغويون العرب .

١٩ـ انظر القاموس المحيط «حمر» .

٢٠ـ لسان العرب «حمر» .

٢١ـ اقول : «يفعل» ولا ادعوه «المضارع» هربا من هذا المصطلح الذي عثا فيه النحاة العرب وعندي ان بناء يفعل يدل على الفعل في دلالته على الحدث ، واما دلالته على الزمن فهو امر مبهم ولذلك كان «يفعل» دالا على مطلق الزمن الدائم ابتداء من الزمن الماضي فالحاضر فالمستقبل . . ولو عدنا الى العربية لوجدنا ايضا ان الزمن لايقصد لذاته في الفعل «كان» كقوله تعالى : «وكان الله غفورا رحيما» فالمراد هو «الكون» وليس من حاجة الى بيان الزمن . ورب قائل يقول : كان ذلك لعلاقة الكون بالله ولكني اقول ان الفعل «كان» حتى في استعمال المعربين مقصود به الحدث كقولك : «كان الجواب واضحا» . واما «كان» التامة التي تكتفي بالفاعل فهي تومئ الى الحدث وكينونته واما الزمن فمستفاد عرضا .

٢٢ـ المعجم السبئي ص ٧٩

٢٣ـ اقول : لابد ان تكون دلالة البركة قد جاءت من «كرب» بمعنى الحرث والزرع في العربية وقد يلجأ الى قلب الكلمة لاستحداث معنى .

٢٤ـ اقول : كونه حدثا لأوكد دلالة الحدث مغفلا ما يستفاد من الزمن اذ انه غير مقصود لذاته .

٢٥ ـ وقولي : «جملة فعلية اصالة» اريد فيها الجملة التي يكون فيها المسند فعلا سواء بدئ بالفعل ام تأخر عن الفاعل . واعني بهذا ان : حضر زيد ، مثل : زيد حضر ، والمسند اليه «زيد» هو الفاعل ولا اقول مبتدأ .

اقول : ان هذه الجملة قد غلبت على العربية بحيث انك لو استقريت لغة التنزيل العزيز ومثلها لغة الحديث الشريف لرأيت ان هذه الجمل تفوق عددا تلك التي طرفاها اسم وهي الجملة الاسمية كقولنا : زيد امامك ، أو زيد مسافر .

٢٦ـ اقول هذا هو الاصل ، ثم شاعت هذه التسمية لدى غير القحطانيين من العرب ، ومع ذلك يظل اليمنيون الصق من غيرهم بهذه الطريقة في التسمية .

٢٧ـ اقول : ومن غلبة الفعلية في العربية توليد الافعال من الاصول الحسية وهذا كثير كقولك : ارغم من الرغام ، وحدَّ من الحديد وموَّه من الماء وطان من الطين وجهرة أخري تفوق العد .

٢٨ـ لابد أن نشير الى ان هذا في اسماء اعلام الرجال كثير غير ما دكرناه من يشجب ويعرب ويعفر ومنه : يعبَد ، ويحمَد ، ويرعِش ، ويموت ويعيش ويبقى وغيرها .

٢٩ـ لا أرى حاجة الى تقريب طائفة من هذه الاعلام الى دلالة عربية من عربية الشمال ، فليس لي ان اقول : ان «تريم» مثلا من «رام» وهكذا ينبغي ان يكون النظر في سائر هذه الاعلام .

٣٠ـ وذو يزن ، وفيه نذكر سيف بن ذي يزن القائد الذي طرد الاحباش حين دخول الفرس سنة ٥٧٥م انظر معجم ما استعجم ص ٦٥٠

٣١ـ المعجم السبئي ١٦٨ .

٣٢ـ الاسماء المصدرة بـ «ذو» كثيرة وهي يمنية اصالة ومنها ذو جدن وذو يقن وغيرهما وهي في الاعلام للرجال نحو : ذو يزن ، وذو نواس وغيرهما .

٣٣ـ اقول : لابد ان يكون بناء «تفعول» وبناء «يفعول» اصلا قد تحول الى «تفعل» و «يفعل» في المسيرة اللغوية الطويلة .

منابع الطراز الخاصة بمدينة صنعاء

دراسة حول المنسوجات اليمنية في العصر الإسلامي

إعداد / د. ربيع حامد خليفه

جامعة صنعاء

لقيت صناعة النسيج في أقاليم العالم الإسلامي تشجيعا كبيرا من الخلفاء والأمراء والولاة جميعا ، فكانت الأقمشة المنسوجة من التحف التى تفضل عند الاهداء في المناسبات المختلفة ، وفي المواسم والأعياد بوجه خاص(١) .

ومن العوامل التي شجعت على تقدم وازدهار صناعة النسيج في العصر الإسلامي تنافس الخلفاء والأمراء في إرسال الكسوة السنوية الى الكعبة ، وهي مثابة المسلمين وقبلتهم وكانت تكسى بأعز أنواع الأقمشة في العالم الإسلامي .

وقد تطورت المنسوجات الإسلامية من خلال نظام خاص في مصانع النسيج ، إذ كانت هناك مصانع حكومية تنتج أنواعا من المنسوجات للخليفة ورجال بلاطه وحاشيته وكانت تسمى «طراز الخاصة»(٢) ، فضلا عن مصانع أهلية أطلق عليها «طراز العامة» وكانت تعمل تحت رقابة الحكومة ، ويبدو أنها كانت تزود الأسواق بالمتجات الشعبية فضلا عن امكان تحويل انتاجها إلى البلاط الخاص إذا مادعت الضرورة الى ذلك(٣) .

والمادة التاريخية التى تلقى ضوءا على هذه المؤسسة الحكومية قليلة ومتناثرة ومن عصور مختلفة ، وتكاد كلها تنصب على مصر دون غيرها من بلاد العالم الإسلامي ، وهي تعطينا صورة للطراز كما كان في مصر ، واغلب الظن أن هذه الصورة هي بعينها التى كانت في البلاد الإسلامية الأخرى(٤) ، ومن بينها اليمن .

وإلى وقت قريب كانت هناك فكرة تكاد تكون ثابتة لدى دارسي الآثار والفنون الإسلامية تتمثل في أن صناعة المنسوجات قامت على اكتاف المنسوجات المصرية والايرانية بحكم أن هذين الاقليمين كانا شهرة واسعة منذ قديم الزمان في إنتاج المنسوجات ، وأن هذه الشهرة استمرت طوال العصور الإسلامية حيث كانت المنسوجات النفيسة تصدر من مصر وإيران الى سائر الأقاليم الإسلامية والى أوربا والشرق الأقصى .

لكننا لانستطيع أن نغفل دور اليمن في مجال صناعة المنسوجات سواء في فترة ماقبل الإسلام أو في العهود الإسلامية المختلفة ، فقد أشارت المصادر التاريخية الى أن ملوك اليمن في العصور القديمة انشأوا دورا للنسيج كانت تدر عليهم دخلا كبيرا من المال ، وكانت المنسوجات اليمنية في هذه الفترة تصدر الى خارج البلاد(٥) ، كما أن الكعبة كسيت بمنسوجات يمنية فريدة

في نوعها إذ تحدثنا المصادر التاريخية بأن تبع ابا كرب أسعد لما قدم من المدينة الى مكة في طريقه إلى اليمن رأى في المنام أن يكسو البيت الحرام ، فكساه الخصف وهو نسيج من خوص النخيل . ثم رأى مرة أخرى أن يكسوه أحسن الأقمشة فكساه «الوصايل» فكان تبع أول من كسا البيت وأوصى بذلك من بعده(٦) .

فما هي هذه الوصايل التى كانت أول كسوة للكعبة؟ الوصايل كما تذكر وفية عزى لغة جمع «فصيلة» والفصيلة كما جاء في القاموس المحيط ثوب يماني مخطط(٧) ، وكذلك المقصباب والبرود والقصائب والمعلمات والمعصفرات وقد كفن النبي صلى الله عليه وسلم في سبعة أثواب يمانية سحولية ، وعلى ذلك فالوصايل هي نوع من الاقمشة التي كانت تنسج في اليمن في عصور ماقبل الإسلام ، واستمر نسجها في العهود الإسلامية ، ومميزات هذا النوع من المنسوجات يتمثل في عدم وجود تصميم زخرفي مسبق ، وإنما تتم الزخرفة عن طريق استخدام خيوط ملونة «مصبوغة» تستخدم في السداة واللحمة بطريقة متصلة أو منفصلة مشكلة نوعا من الزخرفة أشبه بالزخرفة التجريدية في مذاهب الفن الحديثة ، ولا نكاد نلمح تشابها بين قطعة وأخرى رغم أن الأسلوب الصناعي المستخدم في صناعة كل منهما واحد وهو أسلوب الوصايل .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بمجموعة قيمة من منسوجات الوصايل اليمنية فضلا عن بعض القطع التى يضمها متحف كلية الآثار بجامعة القاهرة(٩) ، لم تحظ من الباحثين حتى الآن إلا بالقليل من الدراسة ، وسوف نقوم في هذا البحث بدراسة بعض هذه القطع دراسة وافية تشمل طرق زخرفتها وأسلوب صناعتها ، والمدلولات السياسية والتاريخية التى تعكسها العبارات التى وردت عليها ، مع إبراز ماتفردت به من خصائص ومميزات عن بقية منسوجات العالم الإسلامي ، ويعقب ذلك دراسة عن المواد الخام وأنواع وأسواق ومراكز انتاج المنسوجات اليمنية .

■القطعة الأولى(١٠) : (لوحة رقم١)

قطعة من نسيج الحرير الملحم ، السداة من الحرير ، واللحمة من القطن ، ويغلب على لون هذه القطعة اللون البني الفاتح ، وهي مزينة بمعينات صغيرة بداخل كل منها وريدة صغيرة ، ويذكرنا هذا الأسلوب الزخرفي بالزخارف التى كانت تزين المصاحف اليمنية المبكرة والتى ترجع إلى فترة القرن الثاني والثالث الهجري (٨-٩م) ، فضلا عن انتشار هذا النوع من الزخرفة على كثير من التحف اليمنية وخاصة زخارف الأسقف التي تعرف في اليمن باسم المصندقات .

وأهم زخارف هذه القطعة يتمثل في سطر من الكتابة الكوفية (من نوع الخط الكوفي البسيط) نفذ بالتطريز بخيوط صفراء اللون نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله لعبد الله ابن احمد الامام المعتمد على الله أمير المؤمنين .

ويمكن تاريخ هذه القطعة من المنسوجات في الفترة مابين سنة (٢٥٦-٢٧٩هـ) وهي الفترة التى جلس فيها المعتمد على الله على كرسي الخلافة العباسية ببغداد وتنفرد مجموعة من المنسوجات من بين القطع التى يحتفظ بها متحف الفن الإسلامي بالقاهرة باشتمالها على مكان الصناعة وهو مدينة صنعاء وكان اسم هذه المدينة يرد على أشرطة الطراز بأسلوبين «طراز صنعاء» أو «طراز الخاصة بصنعاء» ويدل ذلك على أنه كانت توجد بمدينة صنعاء في هذه الفترة مصانع نسيج خاصة بالخلفاء العباسيين تقوم بتزويد الخلافة بما تحتاجه من منسوجات وأقمشة .

ونلاحظ أن هذه القطع تحمل تواريخ ٢٦٦هـ ، ٢٨٢هـ ، ٢٨٤هـ ، ٢٨٥هـ

٣٣١هـ وكلها تقع في فترة حكم دولة بني يعفر الذين ارتفع شأنهم في اليمن منذ بداية العصر العباسي الثاني وتقلدوا مناصب الحكم والادارة في اليمن من قبل الخلفاء العباسيين «ولاية تفويض - وولاية إقرار» وتكمن أهمية بعض هذه القطع في مصدرها إذ تم العثور عليها في الحفائر التى جرت بمدينة الفسطاط جنوب القاهرة ، مما يدل على أنه كانت هناك علاقات قوية تربط بين مصر واليمن منذ بداية العصر الإسلامي ، وأن منسوجات الطراز اليمنية وغيرها من أنواع المنسوجات كانت ترسل إلى مصر في ذلك الوقت ومن هذه القطع :

■القطعة الثانية : (١١) : (لوحة رقم٢)

قطعة من نسيج القطن المصبوغ (شريط طراز) يغلب عليها اللون البني الفاتح عليها خطوط زرقاء رأسية سميكة وأخرى أفقية رفيعة ، تتقاطع مكونة مربعات متكررة ، عليها سطر من الكتابة الكوفية بيضاء اللون منفذة بالتطريز باسم الامام المعتمد على الله أمير المؤمنين يقرأ منها ... «مما أمر بعمله في طراز الخاصة بصنعاء سنة ست وستين وما يتين» .

ويبدو واضحا أن هذه القطعة قد صنعت في مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء في فترة حكم إبراهيم بن محمد بن يعفر فمن المعروف إن أباه أقامه على عمله منذ سنة اثنين وستين وما يتين ، ولم يزل ابراهيم بن محمد يعفر على ولايته الى سنة سبعين وما يتين(١٢) .

■القطعة الثالثة(١٣) :

قطعة من النسيج القطني المصبوغ (مقلم) ذات لون أبيض يميل الى الاصفرار أما الخطوط الرأسية فيغلب عليها اللون الداكن عليها سطر بالخط الكوفي الذي تنتهي قوائم حروفه بوريقات نباتية وخاصة تلك الزخرفة التهائلية الناشئة عن تجاوز حرفي الألف واللام المزخرفين بوريقات نباتية نصة : « ... عز وسلامة مما أمر بعمله في طراز صنعاء سنة اثنتين وثمانين ومائتين» .

ويمكن ارجاع هذه القطعة الى فترة تولى علي بن الحسين صنعاء إذ أنه من المعروف أن هذا الوالي العباسي ظل على ولايته لصنعاء في الفترة من عام ٢٧٩هـ الى عام ٢٨٢هـ ، أو الى فترة حكم ابراهيم بن يعفر حين عودته لحكم صنعاء ، ويشير الخزرجي الى احداث هذه الفترة بقوله «وطدت الخلافة العباسية وجودها في اليمن في هذه الفترة بعد أن قدم من العراق علي بن الحسين عاملا على صنعاء وكان قدومه في صفر سنة تسع وسبعين ومائتين .. فلما توفي المعتمد وولى الخلافة بعده ابن أخيه أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل أقر علي بن الحسين على ولايته فلم يزل مالكها الى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ثم عاد الى العراق في سنة اثنتين وثمانين ومايتين فلما رحل عن صنعاء قصدها الدعام فدخلها ثم هرب منها فرجع الأمر الى بني يعفر الحواليين ، ولم يزل ابراهيم بن يعفر على صنعاء ومخالفيها (١٤) ..

■القطعة الرابعة (١٥) : (لوحة رقم٣)

قطعة من النسيج القطني المصبوغ (مقلم) يغلب عليها اللون السمني ، أما الخطوط الرأسية فيغلب عليها اللون البني عليها سطر من الكتابة الكوفية باللون الأبيض نفذت بالتطريز نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم نعمة من الله لعبدالله ابى العباس الامام المعتضد بالله أمير المؤمنين ... مما أمر بعمله في طراز صنعاء سنة أربع وثمانين ومائتين .

وفي الغالب أن هذه القطعة قد صنعت في فترة حكم اسعد بن يعفر ، وقبل الفترة التى دخل فيها الامام الهادي يحيى بن الحسين مدينة صنعاء (١٦) ، بينما تشير بعض كتب التاريخ ان

الذي كان يحكم في هذه الفترة عبد القاهر بن أحمد بن يعفر بعد مقتل الأمير يعفر بن ابراهيم في سنة ٢٨٣هـ (١٧) .

■القطعة الخامسة(١٨) : (لوحة رقم٤)

قطعة من النسيج القطني المصبوغ (مقلم) يغلب عليها اللون الأصفر الفاتح مزينة بخطوط رأسية ذات لون بني فاتح بهيئة ثلاثة خطوط متجاورة عليها سطر من الكتابة الكوفية استخدم في عمله الحرير البني ونفذ بالتطريز نصه: «. . . أمير المؤمنين أكرمه الله مما عمل في طراز صنعاء سنة خمس وثمانين وما. . .» ، ونلاحظ أن هذه القطعة تخلو من اسم الخليفة العباسي واكتفى النساج فقط بعبارة «أمير المؤمنين أكرمه الله»(١٩) .

■القطعة السادسة(٢٠) : (لوحة رقم٥)

قطعة من نسيج القطن المصبوغ باللون البني والأزرق عليها سطر من الكتابة الكوفية التى تنتهي قوائم حروفها بوريقات نباتية ، وتحمل هذه القطعة اسم الخليفة العباسي المقتدر بالله ويقرأ من شريط الطراز : «. . صنعت في طراز الخاصة بصنعاء سنة ٣٣١هـ» . .

وربما تكون هذه القطعة آخر ماانتجته مناسج الطراز بمدينة صنعاء من منسوجات تحمل اسماء الخلفاء العباسيين ومن المعروف أن الأمير أسعد بن أبي يعفر توفي في نفس العام الذي صنعت فيه هذه القطعة ٣٣١هـ ، وتولي من بعده ابن أخيه عبدالله بن قحطان الذي ظل يحكم حتى سنة ٣٨٧ هـ .

وتضم هذه المجموعة أيضا بعض قطع المنسوجات اليمنية التى لاتشتمل على شريط طراز من الكتابة الكوفية وانما اعتمد النساج في زخرفتها على العناصر الهندسية والنباتية فقط ومن هذه القطع :

■القطعة السابعة(٢١) : (لوحة رقم٦)

قطعة من نسيج القطن المصبوغ (صباغة السدى) مزينة بأشرطة أفقية تضم زخارف مختلفة باللون الأصفر والأزرق والأبيض وتتمثل هذه الزخارف في :

١- عنصر المعينات المتجاورة .
٢- عنصر الأشرطة المتكسرة .
٣- الزخرفة المتصلة والمنفصلة بطريقة الوصايل
٤- عنصر زخرفي متكرر يشبه الكتابة الكوفية .

ويذكرنا هذا الشريط بزخارف المنسوجات المصرية التى ترجع الى الفترة الفاطمية ، على ذلك فإننا نستطيع تاريخ هذه القطعة بالقرن الخامس الهجري (١١م) وذلك بناءا على مقارنتها مع بعض قطع المنسوجات الفاطمية(٢٢) .

وتنفرد مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة باشتمالها على بعض قطع من المنسوجات اليمنية من نوع الوصايل نفذت زخارفها بطريقة الطبع التي ينتج عنها زخارف مذهبه ، ونلاحظ أن أنواع الخطوط التى استخدمت في زخرفة هذه القطع أكثر تطورا من أنواع الخطوط التى كتبت بها أشرطة الطراز السابقة ، إذ يغلب عليها استخدام الخط الكوفي المورق والمزهر ومن بين هذه القطع :

■القطعة الثامنة(٢٣) : (لوحة رقم٧)

قطعة من نسيج القطن المصبوغ السدى باللون الازرق والبنى وعليها في الوسط شريط مطبوع باللون الذهبي ، وتشكل الزخرفة المجدولة إطارا مستطيلا لهذا الشريط الذي كتب بداخله بالخط الكوفي المورق والمزهر عبارة أمكن قراءة بعض أجزاء منها على النحو التالي :

«. . . صنعه . . . أبى (ابن محمد . . . .»

ونلاحظ أن هذا السطر من الكتابة محصور بين حليتين زخرفيتين تتشابه مع الحليات

المستخدمة في زخرفة المصاحف .

ويبدو واضحا أن هذه الكتابة إنما تمثل توقيع صانع هذا الثوب من المنسوجات ، حيث كانت الأقمشة تختم بختم الصانع الذهبي ، ومما هو جدير بالذكر أن نشير الى أن الصناع في العصرين العباسي والفاطمي قد عرفوا تزيين المنسوجات بالزخارف المنقوشة فوقها والمطبوعة باللونين الاحمر والبني وكانت بعض مصانع النسيج تنقش شاراتها على المنسوجات باللون الذهبي ، وهذا التوقيع يشبه الى حد كبير العلامات التي تضعها المصانع في العصر الحديث على انتاجها حرصا على عدم التزييف

■طراز الخلافة في المنسوجات اليمنية :
(شكل رقم ١)

وثمة قطعة هامة تمدنا بمعلومات جديدة عن طراز اليمن في المنسوجات فهي تحمل عبارة مطرزة بالخط الكوفي نصها: «بفضل طراز الخلافة» .

وتشير هذه العبارة صراحة الى قيام طراز لعله كان خاصا بالخليفة ورجال بلاطه وحدهم ، وهو طراز لم نسمع به من قبل بين طرز العالم الإسلامي(٢٤) .

■طراز الملوك : (شكل رقم ٢)

وهناك طراز آخر جديد من طرز المنسوجات اليمنية وهو طراز الملوك ، ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بقطعة من المنسوجات ، يختلف أسلوب صناعتها عن أسلوب الوصايل اليمنية السابقة إذ أن زخارفها تتكون من ثلاثة أشرطة أفقية تزينها عناصر هندسية تتمثل في أشكال المربعات والمعينات ، بينما يزين الجزء السفلى منها شريط من الكتابة الكوفية يشتمل على كلمة مكررة يمكن أن تقرأ على النحو التالي : لامالك أو لا خالد ، أما الجزء العلوي من القطعة فيشتمل على شريط من الكتابة بالخط الكوفي البسيط نصه :

«صنع طراز الملوك سنة مايتين» .

وترجع هذه القطعة الى عصر الخليفة العباسي المأمون .

■زخارف المنسوجات اليمنية : انحصرت زخارف المنسوجات اليمنية في استخدام الخط كعنصر زخرفي أساسي ، وخاصة في كتابة أشرطة الطراز أو شارات الصناع ، وقد تنوعت هذه الخطوط وفقا لتطور الخط العربي فنرى في البداية استخدام الخط الكوفي البسيط ، ثم الخط الكوفي المورق ، وأخيرا الخط الكوفي المزهر ، كما استخدم النساج الزخارف الهندسية وخاصة المعينات المتجاورة والأشرطة المتكسرة فضلا عن الزخارف المجدولة ، وكان استخدامه للزخارف النباتية قليلا وغالبا ماكانت تصاحب الزخارف الهندسية أشكال وريدات صغيرة .

على أن أجمل زخارف المنسوجات اليمنية تلك التى كانت تتم عن طريق خيوط السداة واللحمة المصبوغة بألوان مختلفة والتى تنساب طولية أو عرضية وتتصل أو تنفصل لتعطي منظر ألوان متعددة كأنما غفل الفنان عنها فانسكبت على أرضية بيضاء واختلطت ببعضها وامتزجت ولكن في نظام بديع ، وورنق أخاذ يذكرنا بالأساليب الحديثة في الفن وخاصة التجريدية منها .

■طرق صناعة المنسوجات اليمنية :

تعتبر طريقة الوصايل واحدة من أبرز طرق صناعة المنسوجات اليمنية وكانت تتم عن طريق حجز أجزاء من خيوط الغزل البيضاء بواسطة مادة عازلة ، قد تكون من الجلد ، أو الشمع ، أو الطفل ، بحيث إذا غمست هذه الخيوط في الأصباغ أخذت الأجزاء الظاهرة لون الصبغة المطلوب ، فإذا جفت وكشفت الأجزاء المحفوظة بعد ذلك ظلت بيضاء ، فإذا

شدت هذه الخيوط المتعددة الألوان على الأنوال نجد أن جزءا من الخيط بلون الصبغة يعقبه لون ابيض ثم جزءا بلون الصبغة يعقبه لون ابيض وهكذا .

ومن الطرق الصناعية التي استخدمها الصانع اليمني طريقة الطبع بواسطة القالب وعادة ماتحفر الزخارف على هذه القوالب حفرا بارزا وغائرا ثم تغمس هذه القوالب في الاصباغ او ماء الذهب ويختم بها على المنسوجات . والى جانب الطرق السابقة استخدم النساج طريقة التطريز وعادة ماكانت اشرطة الطراز تتم بواسطة هذا الاسلوب . .

المواد الخام المستخدمة في صناعة المنسوجات اليمنية :-

عرفت اليمن انواعا مختلفة من المواد الخام اللازمة لصناعة المنسوجات منها الصوف وشعر الماعز والكتان والحرير والقطن ، الذي كان يشكل المادة الخام الاساسية في عمل منسوجات الوصايل وذلك لقابليته لامتصاص مواد الصباغة

ويبدو واضحا ان اليمن قد عرفت زراعة بعض انواع من القطن فقد ورد في الفصل الثاني من كتاب «ملح الملاحة في معرفة الفلاحة» الذي جمعه الملك عمر بن يوسف بن عمر ابن رسول ا ٢٥ اشارة الى نبات القطن وصورة زراعته سواء كان زرعه موحدا وهو الذي لايزرع على زرع غيره ، او مثنى وهو الذي يزرع على زرع آخر والمدة التي يبقى فيها في الارض ، اذ يحمل في الشهر السادس من يوم زرعه ، ووقت وكيفية جنيه . .

ويوجد القطن بكثرة في مناطق تهامة ، والجوف ، ولحج ، وابين ، واحور ودثينه ، وبراميس (٢٦) ونلاحظ ان مناخ هذه المناطق وتوافر مصادر المياه يتلائم وزراعة القطن التي تحتاج الى ري دائم . .

والى جانب الخامات المحلية اللازمة لصناعة النسيج كانت اليمن تستورد بعض الاقطان الجيدة من الهند ، وخاصة الاقمشة الخام الهندي وكان يؤخذ على الكورجة دينارين ونصف (٢٧) . او ثياب العراسنة التي كانت تصنع في دقلي بالهند وكانت من بين البضائع المعفية من الرسوم . .

ومن الخامات الاخرى التي ذكرها ابن المجاور في القرن السادس الهجري (١٢م) الكتان ، وكان يؤخذ على سواس الكتان الكبار جائزين وقيراط وعلى الصغير جائزين وفلسين (٢٨) كما كانت اليمن تستورد الحرير من منطقة الشام . .

مواد الصباغة :- اقبل صناع النسيج في اليمن على استخدام طريقة الصباغة في عمل المنسوجات ، ومن المعروف ان الاصباغ في العصور الوسطى كان معظمها اصباغ نباتية (٢٩)، تستخرج من بعض النباتات ، وقد اعتمد النساجون في هذا المجال على الاصباغ المحلية او المستوردة ومن انواع هذه الاصباغ :-

الزعفران :-

وهذا النوع العربي يسمى الورس ، وهو نبات يشبه السمسم ، وكانت جمال اليمن التي تحمل الزعفران الى الشمال تصفر الوانها بتأثير لون احمالها الغالية (٣٠). ويعطي هذا النبات اللون الاصفر . .

الفُوَّه :-

تذكر المصادر التاريخية انه في عام ٦١٥هـ زرع الفلاحون في جميع جبال اليمن الفوه وهو نوع من الاصباغ ، واقلعوا عن زراعة الغلال كالحنطة والشعير اذ كان يدر عليهم ربحا كبيرا ولما لاحظ الناس العائد الكبير الذي يعود عليهم من زراعة هذا النبات ، زرعوه على اختلاف طبقاتهم ، ولما ملك الملك المسعود بلاد اليمن منع الناس من زراعته وكان آخر العهد بزراعة هذا النبات سنة ٦٢٤هـ (٣١)

غير اننا نلاحظ ان هذا النبات ورد ذكره في الفصل الثاني من كتاب ملح الملاحة في معرفة

«الفلاحة» وانه يختار لزراعتها (الفوه) اجود الارض التي على الغيول من البلاد المعتدلة ، وذكر مؤلف الكتاب اسلوب زراعة وقلع واعداد هذا النبات ، حتى يظهر مقاطع عروقها الحمر الى ان تعبأ في اكياس من الجلد اطلق عليها اسم الفراير (٣٢) ومن المعروف ان هذا النبات يعطي اللون الاحمر . .

وفي عهد طغتكين كان يؤخذ على البهار من الفوه اثنى عشر دينار ، وكان من قبل يؤخذ عليه دينارات (٣٣) . .

الحور الوطني :- وكان يزرع بوادي زبيد . .

النيل او النيلة :- وهي مادة زرقاء يستعملها الصباغون وكان يؤخذ على القطعة منه اربع دنانير وربع دينار عند خروجه من ميناء عدن في القرن (٦هـ/ ١٢م) (٣٤) . . ويذكر اريك ماكرو بعض المحاولات الاوروبية في مطلع القرن (١١هـ/ ١٧م) للاتجار في النيل في ميناء المخا (٣٥) . .

■ الاسواق :-

اشتهرت اليمن بالتجارة خلال عصور ماقبل الاسلام كممر بحري تمر منه المراكب التجارية ، واصبحت بمثابة همزة وصل تجارية بين الشرق والغرب ، كذلك قوى شأن التجارة البرية في اليمن ، وكان لليمن قبل الاسلام اكثر من سوق تجارية يجتمع فيها التجار من مختلف البلدان . .

ونجد في كتاب «الطواف حول البحر الارتيري» الذي كتبه شخص من اليونان عاش في سنة ٦٠ ميلادية وصفا لاحد الاسواق التي تقام في اليمن قبل الاسلام وهو :-

سوق المخا :- كان يردها من البضائع انواع الاقمشة الارجوانية ناعمها وخشنها ، والبسة خيطت على الزي العربي ذات اردان (اكمام) قد تكون بسيطة او عادية مطرزة او موشاة بالذهب والزعفران وقصب الذرة ، وانسجة القطن الشفافة ، والاهيئة والاحزمة ، وهي لبست كثيرة بعضها بسيط وبعضها مصنوع على الطريقة المحلية ومناطق ذات الوان عديدة . . (٣٦)

سوق صنعاء :- تقام هذه السوق في الوادي القريب من المدينة تحت جبل نقم ويكون موعدها بعد انتهاء سوق عدن فكان العرب ياتونها بعد فراغهم من تلك السوق وتستمر من نصف شهر رمضان حتى اواخره ، ويأتيها التجار بالقطن والزعفران والاصباغ واشباهها وغيرها مما لايوجد في السوق ، ويشترون فيها مايريدون من البز والحرير ، ومن اشهر بضائعها واروجها «الادم» (٣٧) والبرود وهذان الصنفان يجلبان اليها من المعافر احدى مدن اليمن فتباع فيها وتصدر الى الخارج (٣٨)

ثم عرفت اليمن بعد ذلك ظاهرة التخصص في الاسواق واصبح لكل حرفة سوق خاصة بها ومن اسواق المنسوجات التي اوردها صاحب قانون صنعاء في القرن الثاني عشر الهجري :-

سوق البز :- التجارة الواصلة من المخا وغيرها من البنادر من البز تكون العشرة احدى عشر ونصف (٣٩) وماشراه المشتري في صنعاء فما ابتاع بالكورجة (٤٠) ، كانت العشرة احدى عشر ، وما ابتاع بالطاقة كانت الشعرة احدى عشر ونصف وما ابتاع بالذراع كانت العشرة اثنى عشر . .

البز الحضرمي :- يكون الربح فيه العشرة احدى عشر ، النقب (٤١) : ممنوع صبغ ذلك في صنعاء الا اذا عرض على شيخ السوق الامين العدل خشية غشه بالعتيق ، البز الزبيدي : كذلك يكون العشرة احدى عشر ، وكذلك الحديدي والبز البريمي والوصابي . .

وذكر ايضا ان بيع البز لايكون الا بالذراع المطبوع باسم امير المؤمنين ، ولايبتاع في سوق البز من عرف منه المطل ، ومن قد افلس فقد استحق منه . . واذا ابتاع ودل له الدلال من مال الغريب ، فمع ضمان الدلال لمال الغريب استحق التأديب والزجر البالغ (٤٢) . .

كما اشار صاحب القانون الى مقدار الاجرة التي يدفعها اهل سوق البز عند احتياج المدينة الى حراسة ، وعلى سوق الحضرمي : مشروط عليهم عدم الغش في النقب ، ومن ظهر منه المطل للغريب منع من الشراء حتى يفي ، وعليهم

من الحراسة في الحاجة للمدينة مثل اهل سوق البز (٤٣)..

سوق الحرير :- واكثر بضاعته تستورد من الشام ، وعلى اهله من جرم الحرس مايعتادونه ، ومن حراسة المدينة المعتاد عند الحاجة ..

سوق الصباغة :- وعلى اهله الالتزام بالقواعد التي تأتيهم من الحكام ..

■ اهم انواع المنسوجات اليمنية :-

١- البرود : وطول الواحد منها ثمانية أذرع ، وكانت تصدر منها على الجمل الواحد ١٢٢ برد ، وغالبا ماتصنع من الكتان ، وفي كتب الادب العربي الكلاسيكية دائما مايأتي ذكر البرود اليمانية ..

٢- البيرم: وهو نوع من المنسوجات وطول الواحد ستة اذرع ،،

٣- السباعيات : وهي نوع من الاردية وطول الواحد سبعة اذرع في عرض اربع اذرع وهي على صنفين نوع من الحرير الخالص ونوع آخر ممزوج بالكتان (٤٤)..

٤- الملايا ..

٥- شقق الحرير : وطول الشقة عشرون ذراعا

٦- الفوط ..

٧- النقب : وهو النقاب الذي تستتر به المرأة وجهها ، او الخمار ويكون من القماش الاسود الخفيف ..

٨- الشروب : وهي منسوجات رقيقة تصنع من الكتان ويدخل في لحمتها خيوط الذهب ..

■ مراكز صناعة المنسوجات اليمنية :-

اشتهرت كثير من المدن والقرى اليمنية بانتاج المنسوجات ، واختصت بعضها بانتاج انواع معينة صارت من اهم منتجاتها والتصق اسمها باسم المدينة التي تنتجها ، ومن هذه المدن صنعاء التي كانت تضم عددا من مناسج الطراز الخاصة في فترة حكم دولة بني يعفر ، وكانت هذه المناسج تقوم بنسج الاقمشة الخاصة بالخليفة وحاشيته بالاضافة الى ماتحتاج اليه الدولة من خلع واعلام ، واقمشة للهدايا وكسوة للكعبة ، كما اختصت سحول (٤٥) بانتاج البرود الموشاة ، وشرعب (٤٦) بانتاج البرود الشرعبية فضلا عن يريم ووصاب حيث كان ينتج البز البريمي والوصابي ..

ومن المدن اليمنية المشهورة بانتاج المنسوجات زبيد ، وفي زبيد تصبغ الثياب بالنيل ، وترسل الى جبال اليمن ، وصبغ زبيد لا يساويه غيره في الحسن والجودة (٤٧) .. وقد كانت زبيد تزخر بالمصانع اليدوية في العهد النجاحي (القرن ٥هـ/١١م) حيث بلغت مصانعها مائة وخمسين مصنعا ، ومن انتاجها القماش والمحشا بالحرير ، والقطن والفوط وتصدير ذلك لجميع انحاء اليمن وغيرها ..

وفي القرن (١٠هـ/١٦م) دخلت زبيد صباغة اخرى عن طريق الهند وهي صباغة البز الابيض بالنيلة الزرقاء في المصانع المسماة «بالمصابيغ» ثم يرسل الى المناطق الجبلية ، حيث اصبحت صنعاء وذمار وحجه وصعدة مراكز تجارية لزبيد (٤٨) ومن زبيد انتشرت هذه الصناعات في كل من بيت الفقيه والدريهمي والحديدة ، (٤٩) وكانت الاقمشة البيضاء تغمس عدة مرات في قدور ضخمة مصنوعة من الطين وتترك لتجف في الشمس ، وتكرر هذه العملية اربع مرات لينتج عنها لون قاتم وبعد الصباغة تطرق الاقمشة بواسطة مطارق خشبية ثقيلة لاعطاء المنسوجات لمعة زرقاء داكنة واخيرا تختم الاقمشة بختم الصانع الذهبي ، ويباع الانتاج الجاهز الى سماسرة يقومون ببيعه (٥٠)

الهوامش :

(١) محمد عبدالعزيز مرزوق . الزخرفة المنسوجة في الاقمشة الفاطمية (القاهرة ١٩٤٢) ص ٢١

(٢) لفظ (طراز) مشتق من الكلمة الفارسية «ترازيدن» بمعنى التطريز والنسج واصبحت تطلق على المنسوجات التي تشتمل على اشرطة من الكتابة تتضمن اسم الخليفة الذي نسجت في عهده والمكان والتاريخ ، ثم اصبحت تطلق على مناسج الطراز وعلى المشرف عليها اذ كان يشرف على هذه المؤسسة موظف كبير من رجال الدولة يسمى «ناظر الطراز» وصاحب الطراز وكان من اهم واجباته مراعاة جودة النسيج والتأكد من وجود اسم الخليفة على ما تخرجه انوال دور الطراز .

(٣)د. زكي محمد حسن : فنون الاسلام : ١٩٤٨ - ص ٣٤٦ ، ٣٤٧

(٤)د. محمد عبدالعزيز مرزوق . الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس (بيروت - ص ١٢٣)

م . س ديماند : الفنون الاسلامية : ترجمة احمد محمد عيسى القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٤٩

(٥) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام بغداد ١٩٧٨ ج٥ ص ٢٦١

(٦) سيرة ابن هشام ج ١ص ١٥ (طبعة وستنفلد) وفيه عزى . نماذج من الفنون الاسلامية في اليمن (مجلة المجلة) عدد ٧١ ديسمبر ١٩٦٢ القاهرة ص ٢٧

كانت الكعبة تكسى بمنسوجات القباطي وهو نوع من المنسوجات التي كانت تنسج في مصر حتى نهاية العصر الفاطمي ، وكانت الاقمشة من هذا النوع تصنع بطريقة اللحمات المتقطعة الغير ممتدة في عرض المنسوج واللحمات الممتدة على ان تكون شائعة في الاماكن المراد زخرفتها وغير شائعة في الاماكن الاخرى .

(٧) وفيه عزى : المرجع السابق ، ص ٢٨

(٨) قامت الاستاذة وفيه عزى رحمها الله في عام ١٩٦٢ بدراسة بعض قطع من منسوجات الوصايل المحفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة ونشرت هذه الدراسة في مجلة المجلة العدد ٧١ ديسمبر ١٩٦٢ بعنوان «نماذج من الفنون الاسلامية في اليمن» .

(٩) يحتفظ متحف كلية الاثار بجامعة القاهرة بنماذج من منسوجات الوصايل اليمنية :- قطعة من النسيج اليمني من القطن المصبوغ باللون الازرق والبني والابيض المشوب بالصفرة رقم سجل ١٠٩٦ المقاس الطول ٤٥ سم العرض ١٩سم .

- قطعة من النسيج اليمني من القطن ذي الخيوط الملونة بالازرق والبني الفاتح والابيض المائل الى الاصفرار ، عليها بقايا من كتابات غير مقروءة رقم سجل ١٠٦٥ المقاس الطول ٢٤ سم العرض ١٩ سم .

- قطعة من النسيج اليمني . رقم سجل ١٠٦٧ المقاس الطول ٢١ سم العرض ١٧سم .

(١٠) مجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة رقم السجل : ٩٤٦٤ المصدر . مشتراه من المسيوناتو في ١٧/ ٢/ ١٩٣٠ (لم يسبق نشرها) .

(١١) مجموعة متحف الفن الاسلامي في القاهرة رقم السجل : ١٣٦٦٦ المقاس . ٥٠ سم × ٢٠سم المصدر . عثر عليها في الفسطاط في ٢٧/ ٣/ ١٩٣٧م (لم يسبق نشرها) .

(١٢) الخزرجي : العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك طبعة ثانية مصورة (١٤٠١هـ/ ١٩٨١) دمشق ص ٣٤

(١٣) مجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة رقم السجل : ١٤٠٣٠ المقاس : ٤٠×٢٢سم المصدر : عثر عليها في حفائر الفسطاط في ١٢/ ٦/ ١٩٣٨م .

(١٤) الخزرجي . العسجد . ص ٣٤

(١٥) مجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة رقم السجل : ١٣٢١٤ المقاس . ٧٠ × ٣٠سم المصدر . مشتراه من مسيوناتو في ١٤/ ٤/ ١٩٣٦م (لم يسبق نشرها) .

(١٦) تذكر المصادر التاريخية ان الهادي يحيى بن الحسين دخل مدينة صنعاء في المحرم من سنة ثمان وثمانين ومائتين فضرب اسمه على الدنانير والدراهم وكتب في الطراز (المقصود هنا بهذه العبارة دور الطراز التي كانت موجودة في مدينة صنعاء موضوع البحث) راجع الخزرجي العسجد ص ٣٥ .

(١٧)د . عصام الدين عبدالرؤف : اليمن في ظل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول القاهرة ١٩٨٢م ص ٩٩ نقلا عن الخزرجي : الكفاية والاعلام ص ١١٤

(١٨) مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة :

رقم السجل: ٢٢٥١٧

المقاس: ٢٦×٢٧سم (لم يسبق نشرها)

المصدر: كانت محفوظة بمخازن المتحف وسجلت في ١٧/ ٣/ ١٩٦٢م

(١٩) هناك احتمال بأن يكون تاريخ هذه القطعة هو (٢٥٥هـ) وأن يكون النساج قد أورد رقم العشرات قبل الآحاد . ويثير هذا التاريخ مشكلة حيث أن كتب المعتمد لم تصل الى محمد ابن يعفر بنيابته على صنعاء ومخالفيها إلا في عام ٢٥٧هـ ، وربما كان هناك تفويض بالنيابة قبل هذا التاريخ إذ يذكر الخزرجي (العسجد) ص٣٣ «أنه لما قتل المهتدي عام (٢٥٥هـ) واستولى على الخلافة بعده ابن عمه أحمد المعتمد . وكانت أمور المعتمد كلها بيد أخيه أبي أحمد الموفق طلحة بن المتوكل فوردت كتب أبي أحمد الى الأمير محمد بن يعفر بن عبدالرحيم الحوالي بولاية اليمن فوجه عماله الى المخاليف وفتح حصن حضرموت» ولعل ذلك يفسر لنا عدم ذكر اسم الخليفة العباسي في شريط الطراز السابق .

(٢٠) مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة :

رقم السجل: ٩٠٥٣

المقاس (٩٠×٢٤سم)

المصدر: مشتراة من المسيو ناتو في ١٥/ ٢/ ١٩٣٠ .

(٢١) مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة :

رقم السجل: ١٠٣٧٨

المصدر: عثر عليها في عين الصيرة (لم يسبق نشرها) .

(٢٢) راجع . د. زكي محمد حسن . المرجع السابق شكل ٢٨٧

وراجع أيضا م.س ديماند : الفنون الإسلامية لوحة رقم١٦٤

(٢٣) مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة :
رقم لسجل: ١٤٤٧٠
المقاس: ٤٤سم × ٢٦سم
المصدر: مشتراة من مسيو تانو في ١٤/ ٩/ ١٩٣٩م (لم يسبق نشرها) .

(٢٤) وفية عزي: المرجع السابق ص٢٩

(٢٥) كتاب «ملح الملاحة في معرفة الفلاحة» تأليف الملك الأشرف/ عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول المتوفي ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، نسخه وعلق عليه محمد عبد الرحيم جازم: الاكليل السنة الثالثة - العدد الأول - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ص١٨٧،١٨٨ .

(٢٦) عبدالله أحمد محمد الثور: هذه هي اليمن (صنعاء - ١٩٦٩) ص٥٠ .

(٢٧) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبلاد الحجاز: المسماة تاريخ المستبصر لابن مجاور: اعتنى بتصحيحها أوسكر لوففرين - بيروت - ١٩٨٦م ص١٤١ .

(٢٨) ابن المجاور: المصدر السابق ص١٤١ .

(٢٩) لم تستخدم الاصباغ الكيميائية إلا في العصور الحديثة حينما بدأت أوروبا تصدرها إلى إيران والهند وبعض الدول الأخرى وخاصة صبغة الانيلين مما كان له أثر سيء على منتجات هذه البلاد من النسيج والسجاد ولذلك نجد حكامها يصدرون القوانين الصارمة لمعاقبة من يستخدم الأصباغ الكيميائية .

(٣٠) عصام الدين عبدالرؤوف: اليمن في ظل الإسلام .
القاهرة - ١٩٨٢م - ٢٤٧
نقلا عن الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٣٧٧

(٣١) عصام الدين عبدالرؤوف: المرجع نفسه ص٢٤٥ .

(٣٢) محمد عبدالرحيم جازم: المرجع السابق ص١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠، ١٩١ .

(٣٣) ابن المجاور: المصدر السابق ص١٤٠ .

(٣٤) ابن المجاور: المصدر السابق ص١٤٠ .

(٣٥) إريك ماكرو: اليمن والغرب منذ عام (١٥٧١) تعريب وتعليق حسين عبدالله العمري - صنعاء - ص٢٥ .

(٣٦) عبدالله الحبشي: جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني (الكلمة) العدد ٥١، ٥٢ فبراير ١٩٧٩م ص٨٤، ٨٥ .

(٣٧) الادم: تعني الجلود

(٣٨) عبدالله الحبشي: المرجع السابق ص٨٨

(٣٩) قانون صنعاء في القرن الثاني عشر الهجري: القاضي حسين ابن أحمد السياغي صنعاء - ص١٩، ٢٠ .

(٤٠) أي غير الموزون والمشترى بالقطعة والكورجة في غير الموزون تساوي عشرين وحدة .

(٤١) النقب: جمع نقبة وهو النقاب الذي تستر به المرأة وجهها .

(٤٢) قانون صنعاء: ص١٩، ٢٠ .

(٤٣) قانون صنعاء: ص٢٠

(٤٤) عبدالله الحبشي: المرجع السابق ص١٠٢ .

(٤٥) سحول: بلد يقع بين إب جنوبا وقفر يريم شمالا .

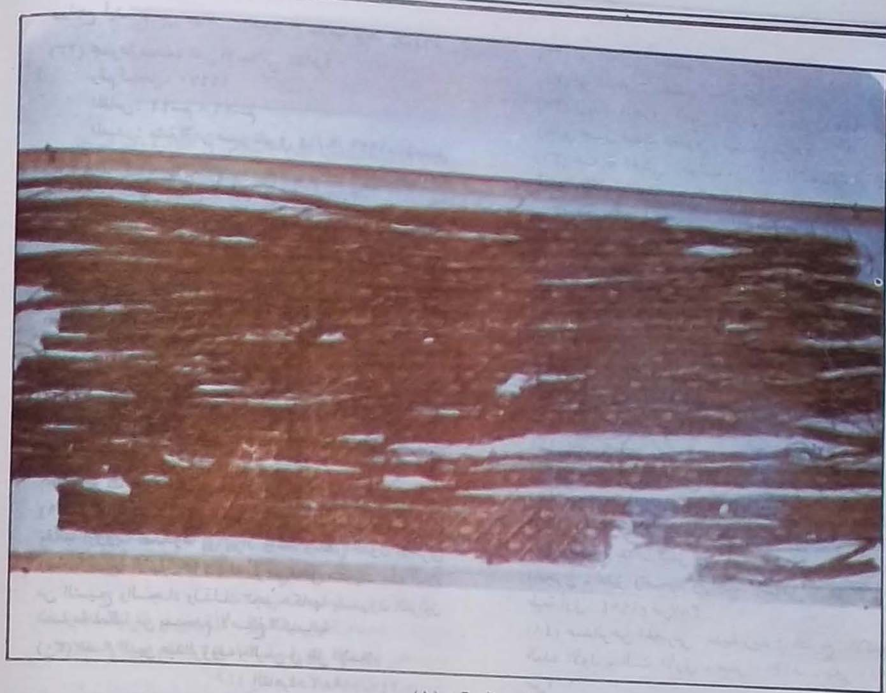
(٤٦) شرعب: مخلاف باليمن تنسب إليه البرود الشرعبية .

(٤٧) مجموع بلدان اليمن وقبائلها: القاضي/ محمد بن أحمد الحجري - تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوع - طبعة أولى: ١٩٨٤م ص٣٨٧ .

(٤٨) عبدالرحمن الحضرمي: مدينة زبيد في التاريخ: الاكليل - العدد الأول - السنة الأولى - صفر ١٤٠٠هـ - يناير ١٩٨٠م ص١٠٢ .

(٤٩) عبدالرحمن الحضرمي: زبيد وآثارها الإسلامية وأوضاعها الراهنة المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية ، تونس ١٩٨٥م - ص٧٢ .

(٥٠) عن بطاقة المتحف الوطني بصنعاء .



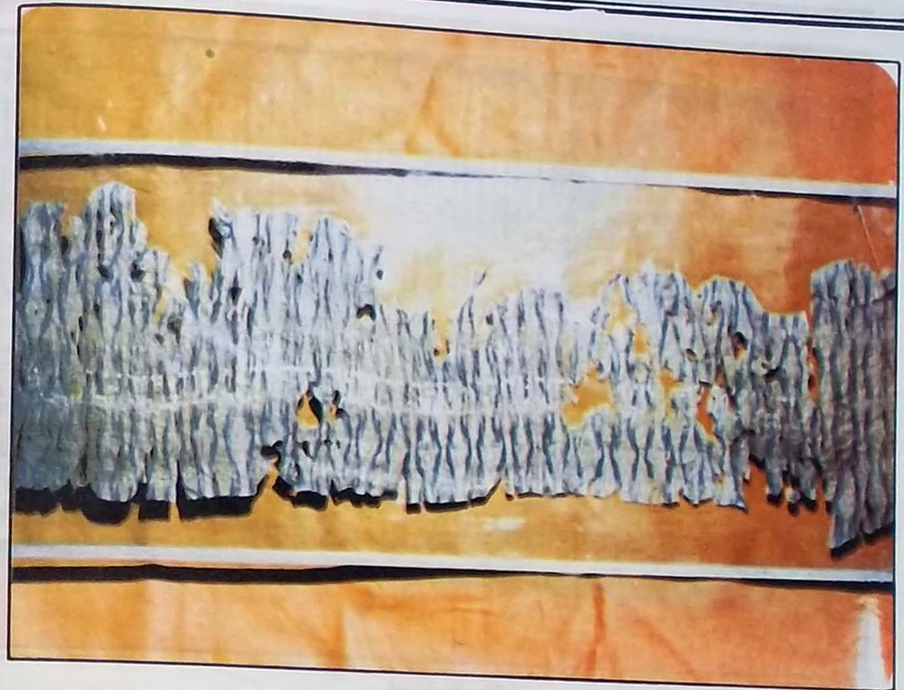
لوحة رقم (١)



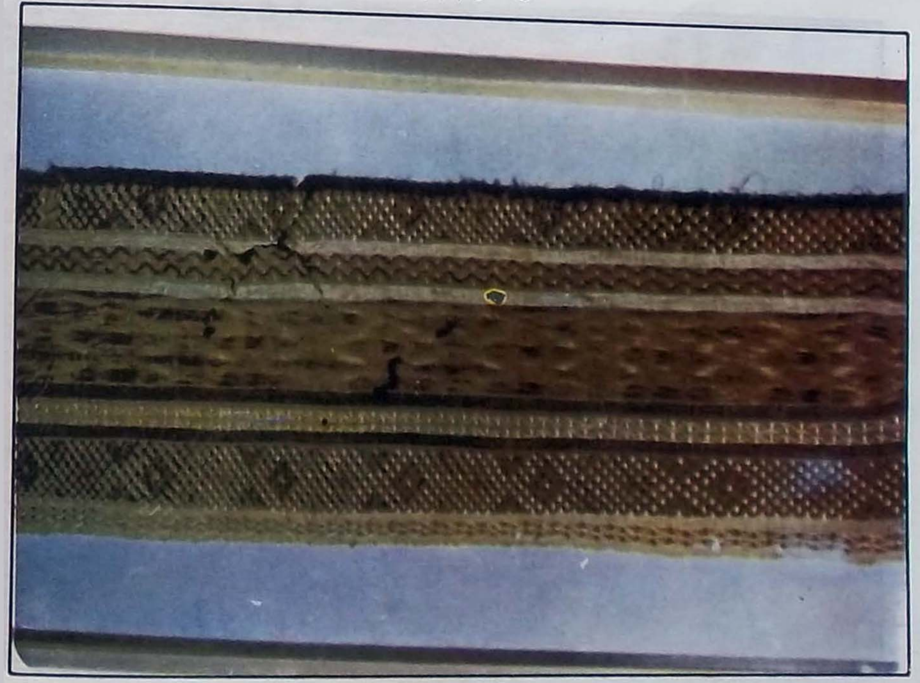
لوحة رقم (٢)

لوحة رقم (٣)

لوحة رقم (٤)



لوحة رقم (٥)



لوحة رقم (٦)



لوحة رقم (٧)

بمصل صراد الحلامه

شكل رقم (١)

صنع كراد الملوك سنه ميس

شكل رقم (٢)

في التكوين الاجتماعي والاقتصادي لليمن القديم

عبدالكافي الرحبي
مركز الدراسات والبحوث/صنعاء

«١»

■■مدخل عام :
في تاريخ اليمن القديم ، لايستطيع الباحث التاريخي أن يقدم صورة متكاملة لتلك الحضارة التى ذاع صيتها ، لدى الكثير من الأمم المعاصرة لتلك الحضارة ، وهذا يرجع الى قلة البحث والتنقيب عن النقوش ، وغياب المواد الأخرى ، التى يمكن عن طريقها «البحث والتنقيب» إكمال الجهود السابقة على مثل هذا العمل المتكامل، والذي بدأه مجموعة من الباحثين الأجانب واليمنيين ، وذلك بفرض معرفة الحلقات التاريخية المفقودة لمسيرة تلك الحضارة القديمة ، والتى لاتزال مطمورة تحت التراب ، تنتظر أوامر آلهتها «المقه . وود ، وعثتر» حتى تنفض عنها التراب . وتخرج بنفسها للعالم الآن ، الذي يحاول أن يرسم لها صورة مشوهة وناقصة .

وأما بالنسبة للباحث الاجتماعي فسوف تقف أمامه الكثير من المصاعب ، إذا حاول أن يعطي صورة عن التكوين الاقتصادي الاجتماعي لليمن في تلك الفترة الزاهرة ، وذلك لنقص المادة العلمية والنادرة تماما في هذا الجانب ، بحيث تمكنه من اقامة بحث يحتوي على الدقة والموضوعية في تحليله ، للبنيان الاقتصادي والاجتماعي ، للمجتمع اليمني القديم ؛ وسأحاول هنا مناقشة هذا الموضوع وأن أعطى صورة عن التكوين الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع اليمني القديم وماهو النظام الذي كان يمارسه اليمنيون القدماء ، ولكي تكون لدينا فكرة واضحة فإنه لابد من طرح مفاهيم نظرية ، حول المناقشة (النظرية العالمية) لأهميتها للبحث وللأهمية العلمية للمفاهيم والمصطلحات على المستوى العالمي خصوصا مفهوم مايسمى خطاء «بأسلوب الانتاج الأسيوي» عند الحديث عن تاريخ الحضارات الشرقية القديمة .

وقد تعددت الاراء حول هذا المصطلح وما زال الجدل مستمرا بين علماء الاجتماع ، سواء في الشرق أو في الغرب حول هذه الاشكالية .

وهناك من يرفض ذلك المصطلح من الأساس ، أمثال الباحثين السوفيت (ي.س.يولك) المتخصص بشئون الصين ، و(س.م.دويروفسكى) ،

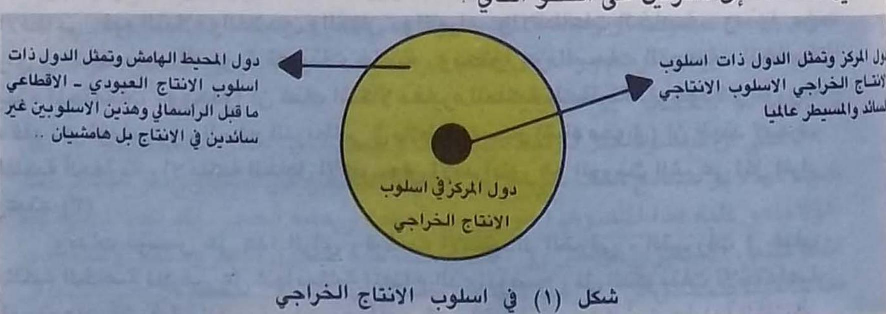
و(يوري ف كاتشانفسكي) (ف. ن. نيكفوروف) وغيرهم .

وهناك من أساء الفهم عن وعي في استخدام ذلك المفهوم امثال (كارل فيتفوجل) عندما شرح آرائه في الاستبداد الشرقي في كتابه الاستبداد الشرقي . وعند المفكر المصري سمير أمين ، الذي يهدف في تحليله لأسلوب الانتاج الخراجي والتحويلات المحيطية ، الى استبعاد مفهوم مايسمى بأسلوب الانتاج الأسيوي ، واستبداله . بمفهوم أسلوب الانتاج الخراجي ، الذي يعد لديه ، المرحلة الأولى للملكية ، والتى تمثل النقطة المركزية العالمية لشكل الانتاج آنذاك ، في العالم ، وماعداه ، فهو هامشي ، ومن خلال هذا الأسلوب الخراجي» انطلقت المجتمعات العبودية والاقطاعية .

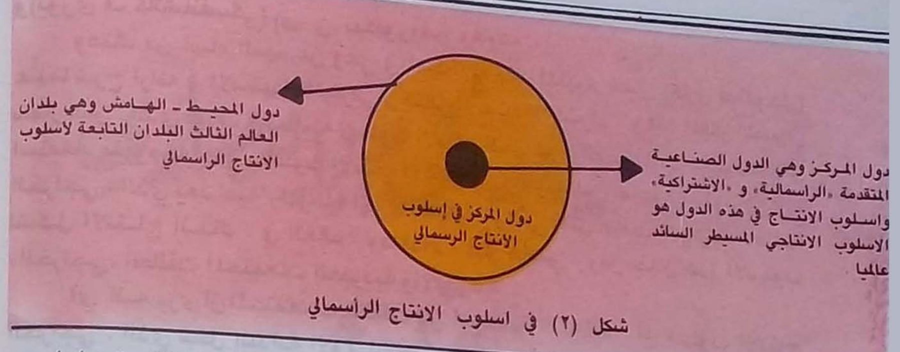
أي أنه يرى أن المجتمعات انتقلت من المشاعية البدائية . الى أسلوب الانتاج الخراجي ، الذي شكل البداية الأولى لشكل الملكية الخاصة . وشكل الاستغلال في هذا الأسلوب ، هو فرض ضريبة الخراج على الجماعات الزراعية وضريبة الخراج غير سلعية أي تدفع عينا وتذهب إلى جيب الطبقة الحاكمة التى تحتكر وظائف التنظيم السياسي للمجتمع .

وهذا الأسلوب يعد «نقطة الانطلاق والنمط العالمي بالنسبة لكافة التطورات الأخرى ، لقد كان الأسلوب الخراجي كقاعدة هو الشكل الأساسي لكافة الحضارات قبل الرأسمالية .. هذا الأسلوب الانتاجي الذى يطلق عليه أحيانا وبشكل غير دقيق «أسلوبا أسيويا» وجد في قارات أربع ، بالطبع ومن «الصين والهند الصينية ، وبلاد مابين النهرين وآسيا في العصور الكلاسيكية» وفي أفريقيا مصر «وأفريقيا السوداء» . وفي أوروبا «مجتمعات ماقبل الكلاسيكية ، في كريت وأيتروريا» وفي أمريكا الهندية قبل الكولمبية لدى الأنكا والأزتكس . ويظهر أسلوب الانتاج الاقطاعي بوصفه حاله تخوميه ، لأسلوب الانتاج الخراجي ، حين تتدهور الجماعة المحلية وتنحل بسبب فقدانها للملكية المباشرة للأرض، مما يسمح بوصف التكوينات الاقطاعية ، بكونها تكوينات محيطية في علاقاتها بالتكوينات الخراجية المركزية»(١) .

ويستند سمير أمين في تفسيرة هذا إلى أساس التفسير للمركز والمحيط في الدائرة ـ والتى يسميها «الدول المركزية والدول المحيطية» حيث نجده يهدف الى القول بسيادة أسلوب الانتاج الممثل بالمركز على أسلوب الانتاج الممثل بالمحيط ، والذي هو هامشي ، وينطبق هذا القول أيضا على الواقع الاقتصادي والاجتماعي لعالمنا المعاصر أي علاقة «العالم الثالث» الذي يمثل دول المحيط ـ الهامش ـ بالعالم الرأسمالي ، الأسلوب الانتاجي السائد في العالم والتى تمثل دول المركز ، مع ملاحظة أن دول المركز تمثل الدول الصناعية المتقدمة بما فيها النظام الاشتراكي ، وللايضاح أكثر يمكن اختزال نظرية سمير أمين اعتسافا إلى دائرتين على النحو التالي :



شكل (١) في اسلوب الانتاج الخراجي



شكل (٢) في اسلوب الانتاج الرأسمالي

ومثل هذا التفسير في نظري لايخرج عن الأبعاد الأيديولوجية التى تحملها نظريتي الشمال والجنوب ، والأمم الغنية والأمم الفقيرة ، والذي يراد من وراء هذا الطرح إحلال مفاهيم مضللة عن التناقض في عالمنا المعاصر .

فنظرية الشمال والجنوب تهدف إلى القول بأن التناقض ، يدور بين دول الشمال الصناعية المتقدمة ، وبين دول الجنوب المتخلفة والفقيرة . أما بالنسبة لنظرية الأمم الغنية والأمم الفقيرة «يكمن جوهر هذه النظرية ، في أن الصراع الرئيسي للفترة الراهنة يتمثل في الصراع بين: (البلدان الغنية والبلدان الفقيرة) وليس في الصراع بين النظام الرأسمالي والاشتراكي ، فوفقا لهذه النظرية تمثل البلدان الفقيرة في الدول النامية والغنية بالدول الصناعية ، بغض النظر عن نظامها الاجتماعي ، وفي بعض الأحيان يشيرون إلى البلدان الفقيرة ، على أنها بلدان الجنوب والغنية على أنها بلدان الشمال»(٢) .

وكل تلك المفاهيم والنظريات ذات بعد واحد ، على الرغم من الاختلاف بينها ، ولكن الاختلاف ماهو إلا ـ تلاعب بالألفاظ ـ بينما التقسيم الثنائي للعالم واحد فيها وهذا لايهمنا كثيرا بقدر مايهمنا إعطاء فكرة ، عن اهتمامات الكتاب حول المجتمعات الشرقية .

■ الشرق في التراث الأوروبي :

من خلال العلاقة التى أقيمت بين الشرق ممثلة بالهند والصين ، وبلدان أوروبا في القرنين السادس والسابع عشر ، بدأ الاهتمام المتزايد لدى الأوروبيين في معرفة أحوال المجتمعات الشرقية ، المكتشفة ، لهم آنذاك ، حيث ركز العلماء الأوروبيين ، في دراساتهم على الفروق الجوهرية ، التى تميز مجتمعات الشرق ، عن مجتمعهم الأوروبي ، فمنهم من رأى ، أن المجتمعات الأسيوية لا تختلف في شيء ، عن المجتمع الأوروبي الاقطاعي ، فيه النبلاء والفلاحين والكهان . والأمراء ، والاقطاعات الخاصة ، ومنهم من رأى في المجتمعات الأسيوية تكوينات خاصة ، وبحثوا عن السمات النوعية ، الخاصة بهذه المجتمعات ، ووجدوا أن هناك اشكالا مغايرة للملكية العقارية الموجودة في أوروبا « فقد ذكر توماس رو ، السفير البريطاني في بلاط جاهنجير (شاه مغولى) أن الهند لاتعرف الملكية العقارية ، إلا ملكية العاهل الأكبر ، وأن الامبراطور هو الوريث الشرعي لكل أفراد رعيته»(٣) .

وبدات تؤسس على هذا الرأي ، فرضية الاستبداد الشرقي ، التى رأت في غياب الملكية الخاصة للأرض على أنها بمثابة المفتاح الذي يوضح ، كل التكوينات الاجتماعية للمجتمعات الشرقية ، القديمة وخصوصا لدى الرحالة الفرنسيين الذين حاولوا التفتيش

عن الظواهر والأسباب ، المادية التاريخية ، ونزوعهم نحو عقد المقارنات بين أشكال الحكم ، في الشرق التى تناقض أشكال الحكم في أوروبا ، وبالذات فرنسا ، حيث وقعوا في مفارقات عجيبة ، عند وصفهم لأوضاع الشرق ، الهند والصين ، فتارة كانوا يقفون من العلاقات الاجتماعية والحكم موقفا انتقاديا حادا ، وأخرى يطالبون فيها حكامهم . أن يأخذوا الحكمة من أباطرة الصين ، وكانت تلك المفارقات التى وقع فيها الكتاب الفرنسيين ، الذين اهتموا بأحوال الشرق في القرنين السادس والسابع عشر نتيجة ، لموقفهم من الملكية الاقطاعية ، والحكم الملكي المطلق في فرنسا ، وذلك لأنهم كانوا يمثلون أيديولوجيي البرجوازية الناشئة والفتية دفاعا عن المكاسب التى بدأت تحققها آنذاك .

وهذا ماجلعهم يفتشون عن المبررات التاريخية الملموسة ، في أوضاع الشرق لكي تكون حافزا لملوكهم ، في حل المعضلات التى يعانيها الانسان الأوروبي آنذاك ، غير أن مثل هذه الموديلات المشوهة التى قدموها ، عن غياب الملكية في الهند والصين وهندستان وتركيا و إيران ، التى رأوا في هذه الدول على مدى تاريخها . بأنها لاتعرف أي شكل للملكية الخاصة ، عدا ملكية الملك ، أو الامبراطورية الأكبر ، يكمن السبب الرئيسي للانحطاط والتخلف الذي يميز البلدان الأسيوية ، والاستبداد الشرقي هو السبب الطبيعي ، والجوهري المباشر في تخلف الشرق ، وكل ذلك قد أدى إلى رسم صورة شبه كاملة ، عن مجتمعات الشرق ، جعلته محط ازدراء وانتقاد العديد من المؤرخين والرحالة ، والمبشرين الذين عابوا على النظم القائمة في الهند والصين بثقافتيهما المغرقة في التخلف والأنانية ، والظلم والاستكانة والخنوع ، وكل تلك المعلومات التى تشربوها ، كان ينقصها الدقة ، والموضوعية ، حيث صوروا للقارئ الأوروبي صورة كاريكاتورية عن المجتمع الشرقي ممثلا بالهند والصين ، شوهت الحقيقة الى أبعد مدى ، ووجهوا اللوحة الشرقية على نحو اثر تأثيرا بارزا ، في تشكيل نظرية المجتمع الأسيوي ، الاستبدادي ، لدى علماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر وبنيت معارفهم على ضوء تلك اللوحة المشوهة .

وقد برز علماء مدافعين عن المجتمعات الشرقية ، أكثر جدية في بناء الحقائق وتمحيصها خصوصا ، مايتعلق بالملكية ونظم الحكم في الهند والصين ، وبالذات الأخيرة لدى فولتير ، على الرغم من الجنوح نحو الخيال والتحمس والذي عنى ، بالتفتيش عن المثل أو الموديل التربوي المطلوب تعليمه للملوك الأوروبيين ، وحاول أن يجد في المجتمع الصيني ذي الحكم الاستبدادي المستنير ، والذي يدير شئونه حاكم فيلسوف ، يعمل لمصلحة شعبه ، ويحمي الملكية الخاصة ، التى لايمكن للازدهار الذي تعيشه هذه البلاد من دون الحماية لمثل تلك الملكية ، كما ذهب فولتير بالنسبة للهند واصفا الكتابات المضللة ويهاجمها ، «وأعلن بحده أن أحدا من الكتّاب الذين نسخوا خرافات ، لدور النشر أو من مبشرينا أو رحالتنا ، لم يخبرنا حتى الآن الحقيقة .. لقد صدقوا الزعم بأن الامبراطور الهندي ترجم ورائه كل أملاك الرعية وأنه ليس لأحد من السكان ، من كشمير وحتى رأس كومورين ، أية ملكية .

حتى أن فيلسوفا مثل بيرنية ، يذكر ذلك في رسالته إلى المفتش العام كولبير ، أن نقل أشياء كهذه إلى مسامع القائم على الأمور المالية لملك مطلق كان سينطوي على مخاطر جمة ، لولا ماهو عليه هذا الملك وهذا الوزير من الحكمة ورحابة الصدر ، لقد أخطأ بيرنيه كما أخطأ قبله ، الانكليزي توماس رو ، فقدأعمتهما أبهة المفعول الأكبر وحكمه الاستبدادي مما جعلهما يتخيلان أن الارض كلها له ، طالما أن هذا السلطان، يقطع الأراضي ملكا مدى الحياة فقط ، ان هذا القول لايعد له إلا القول مثلا أن حاكم مالطا الأعلى هو المالك الأعلى

التعيينات فيها»(٤) .

لكافة تلك المقاطعات الأوروبية ، المسئول عن التعيينات فيها»(٤) . ويسخر فولتير هنا من تلك الكتابات التى عنيت بالصين والهند ، التى تزعم بانتفاء الملكية الخاصة للأرض وحاولت ان تثبت ملكية الدولة للأراض عامة ، كما أن مونسيكو في كتابه روح القوانين والذي حاول فيه ، التفتيش عن السمات العامة لأنظمة الحكم في كل البلدان استنـادا ، إلى دور الوسـط الجغـرافي ، حيث حاول أن يثبت بأن البلدان الآسيوية ،تسودها الروح العبودية وذلك لأنها تتميز بالأراضي الواسعة والمناخ الدافئ ويتخللها الانهار والجبال ، مما جعلها تميل الاستبداد ، ولأنها من المناطق الجنوبية التى تتميز بالاستبداد على عكس البلدان الشمالية ، التي تتميز بالحكم المعتدل ، وهذه الموضـوعيـة لمونتسكيـو ، قد جعلتـه يحدد الاستبداد الشرقي طبقا للمناخ والموقع الجغرافي ، بسبب ارائه الملكبة الدستورية ، التى هي لديه أرقى أشكال الحكم ، وكل تلك الآراء قد ارتبـطت بحـركـة الاستكشاف والتوسع الاستعماري والذي أدى الى تحديد التمايز والتضاد بين أوربا واسيا على اساس المركزية الأوربية ، وكذلك الاختلاف في البنية الاقتصادية الاجتماعية لكل من المجتمعات الأسيوية والاوروبية

كمـا ذهب علماء الاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي ، استنادا الى تقارير شركة الهند الشرقية ، وانطباعات المبشرين ، إلى أن المجتمعات الأسيوية ، تتميز بنمط من الانتاج يختلف عن النمط الذي تسير عليه أوروبا ، فالأولى تميل الى الزراعة بينما الثانية تميل الى الصناعة والتجارة الخارجية ، وتتصف بالتطور والتقدم ، في حين الصفة الغالبة لبلدان اسيا هي الركود ، الناتج عن العلاقات الاستبدادية الممثلة بملكية العاهل الأكبر المطلقة للأرض ، وهنا ترسخت أكثر النظرية الأسيوية ذات الطابع الخاص ذات العلاقات الاجتماعية المميزة بغياب الملكية العقارية الخاصة وقد استغل الانجليز هذا الطرح بغرض اطلاق ايديهم على الأراضي الهندية والاستيلاء عليها بحجة أن الهند ، لم تعـرف الملكيـة العقـارية الخاصة ، إلا عند أن دخلها الاحتلال الانجليزي ، وقد مثل اكتشاف المشاعة في الهند ، من بقايا العلاقات الاقتصادية الاجتماعية للمشاعية ، إحدى الحجج القوية التى دعمت ، فكرة وجود مجتمع أسيوي خاص ، لاتوجد به ملكية خاصة للارض ، ويتربع على قمة المجتمع حاكم مستبد ، تمثل المشاعية قاعدة هذا المجتمع ، وسحبت هذه الفرضية على جميع شعوب الشرق .

وقد ذهب آدم اسمث في تحليلاته بهذا الصدد «وافترض أن هناك ارتباطا وثيقا ، بين الطابع الزراعي للمجتمعات الأسيوية ، والأفريقية ، وبين أعمال الري والنقل المائي ، وخلص من ذلك الى أن الدولة كانت هي المالك لكافة الأراض في هذه المناطق ، وأن مهمتها الأسـاسيـة كانت متمثلة في الأشغـال العـامة التى تستهدف تحسين الزراعة ، وأن المشروعات التى اقامها حكام مصر القديمة انما كانت مكرسة أساسا لتوزيع مياه النيل وهي المشروعات التى ماتزال آثارها باقية .. وهي مشابهة لتلك المشروعات التى اقامها ايضا حكام هندوستان القدماء والتى كانت تهدف ايضا الى توزيع مياه نهر الجانج وغيره من الانهار الاخرى ، وذلك مانجده في الصين وغيرها من المجتمعات الأسيوية»(٥) .

كمـا ردد جون استيوارت نفس الافكار لدى آدم اسميث حول الدولة والمهام التى تؤديها لأعمال الري والنقل النهري في عملية الركود والاستبداد الشرقي .

وقد حظيت تلك المناقشات بنصيب لاباس به ، في الفلسفة الكلاسيكية الألمانية التى تاثرت الى حد كبير بالمناقشات التى اثيرت لدى الفرنسيين وفي الاقتصاد الكلاسيكي الانجليزي ، حول طبيعة تكوين العلاقات الاجتماعية الاقتصادية الشرقية ، التى كانت

تمثل الركيزة الرئيسية في الانطلاق في المركزية الأوروبية ومفهوم الآرية . وقد تجلى ذلك الاهتمام بالمجتمع الأسيوي ، لدى هيجل الذي حاول تقييم الدور اللاتاريخي لبلدان الشرق متبعا أثر مونتسكيو الذي رأى الشرق لوحة واحدة موازية لأوروبا ، ويتصف بالركود الخارج عن مسرح التاريخ ، كما ذهب هيجل في تصوره للسمات الخاصة التي تميز المجتمع الشرقي ، ممثلة بالسلطة المركزية ، وملكيتها للأرض ، وان الامبراطور هو الحر الوحيد ، في حين أن جميع الناس عبيدا له ، ولا وجود لفوارق بين الناس في هذه المجتمعات ، فالكل متساوون ، ويذهب الى القول بأن البوادر الأولى للروح تتضمن تاريخها كله لدى الشرقيين الذين «لم يتوصلوا الى معرفة ان الروح أو الانسان بما هو إنسان حر ، ونظرا الى انهم لم يعرفوا ذلك ، فإنهم لم يكونوا أحرارا وكل ماعرفوه هو ان شخصا معينا حر ، ولكن على هذا الاعتبار نفسه فإن ذلك الشخص الواحد لم تكن سوى نزوه شخصية وشراسة ، وانفعالا متهورا وحشيا ، أو ترويضا واعتدالا للرغبات ، لايكون هو ذاته سوى عرض من أعراض الطبيعة ، أي مجرد نزوه كالنزوة السابقة ، ومن ثم فإن هذا الشخص الواحد ليس إلا طاغية ، لاإنسانا حرا ، ولم يظهر الوعي بالحرية لأول مرة إلا عند اليونان»(٦) .

وقد اعتبر هيجل في لوحته عن الشرق التاريخية العالمية ، ان التاريخ قد ابتدا باليونان والرومان وأخرج من لوحته تلك بلدان الشرق ، الذى اعتبرها نموذجا للاستبداد خصوصا الهند والصين هذين المجتمعين اللذين اعتبرهما مجرد مرحلة لا تاريخيه وليست ذات قيمة تاريخية مهمة الا بمقدار ماتشكله من 'تربه يبني عليها التاريخ العالمي الذي وضعه اليونان والرومان بصورة خلاقه ومبدعه .. ولذا يستهل هيجل فلسفة التاريخ بتلك البلدان التي ظلت مجتمعاتها البدائية حتى ايامنا ساكنة وراكدة تعيش حياة الثبات الطبيعيه .. مهما كانت الفوارق بين الصين الراكدة والهند الهائجة .. فإن البلدين كليهما ظل على حالهما منذ القدم ، دونما تغيير ، فالانقلابات السياسية كانت تجري هناك على السطح فقط ، بحيث لاتمس جوهر العلاقات الاجتماعية ؛ إن الثورات السياسية كلها لاتهم الهندوسي البسيط ، لأنها لاتغير شيئا من قدرة»(٧) .

وهنا يكون هيجل قد فصل فصلا واضحا بين الشرق والغرب ورأي على ان لكل منهما قانونية خاصة به مختلفة عن الأخرى ، والتى تأثر بها ماركس وانجلز فيما بعد .

تلك هي المناقشات التاريخية حول التكوين الاجتماعي الاقتصادي للشرق في التراث الأوروبي ، التى أرست لوحة ، نظرية المجتمعات الشرقية الاستبدادية ، التى تنتفي فيها ملكية الأراضي الخاصة ، عدا ملكية العاهل الاكبر ، من خلال دراساتهم التى أنصبت على المجتمع الصيني والهندي ، اللذان اعتبرهما الكتاب الأوروبيون نموذجا لكل البلدان الشرقية ، وتأسس الاستشراق الأوروبي على هذا النحو عامة لكي تثبت اللوحة الخاصة بالمجتمع الأسيوي المميز بخصوصية خاصة به .

تحديد المعيار المنهجي في اطار المناقشة

لمفهوم اسلوب الانتاج الآسيوي

لقد حضي مفهوم اسلوب الانتاج الاسيوي لدى كل من ماركس وانجلز باهتمام بالغ ، في الفترة الواقعة بين ١٨٥٣ ـ ١٨٥٩م من خلال اهتمامهما ببقايا المشاعية البدائية ، وسعيهما الحثيث للتفسير المادي حول الفروق الخاصة بأشكال الملكية والتطور

التاريخي لبلدان الشرق القديم ، والبحث والتنقيب عن السمات الاساسية ، الانظمة الاجتماعية السابقة على الرأسمالية وبالذات ، الفروق الجوهرية لطابع العلاقات الاجتماعية ، في المجتمعات الاسيوية عنها في المجتمع الغربي كما قدمتها معطيات علم التاريخ في هذه الفترة .

وقد توصل ماركس في هذه الفترة ، الى أن المراحل النمطية المعروفة لاساليب الانتاج ، التي مرت بها اوربا حتى وصلت الى الرأسمالية ، ليست انموذجاً سادت عليه جميع البلدان في العالم ، بل هناك اساليب متعددة ، منها فرضية اسلوب الانتاج الاسيوي ، والذي تميزه خصوصيات خاصة به في شكل الملكية ، ونوع العلاقات الاجتماعية السائدة في بلدان الشرق القديم ، عهد الحضارات الشرقية ، في مصر وبلاد ما بين النهرين ، وفارس والهند والصين واليمن وغيرها من البلدان الاخرى ، وهذه النتائج التي توصل اليها ماركس ، هي بفعل تأثير الكتابات الاوربية ، بحسب معطيات العلم آنذاك ، عن حيات الشعوب الشرقية ، خصوصاً التأثير الهيجلي الواضح البصمات ، وذلك من خلال المركب الهيجلي الثلاثي ، وعلى ضوء الفكرة الشمولية في فلسفة التاريخ الهيجلي ، والذي يمثل تجليها المرحلة الادنى والبدائية في المجتمعات الشرقية ، مختتمة قمة نضجها المكتمل ، في الدولة البروسية ، ارقى مراحل التاريخ للفكرة المطلقة وحركتها الجدلية .

وبهذا يكون هيجل قد تنكر لمنهجه الجدلي ، والذي لا يمكن لمنظومته الفلسفية ان تستقيم إلابه ، وكل تلك الكتابات عن الشرق وخصوصاً ما يتعلق بالمجتمع الهندي ، قد جعلت ماركس يحدد اطروحة مفهوم اسلوب الانتاج الاسيوي في كتابه المسمى بالمقدمة ، وحدد اساس التكوين الاجتماعي للشرق في هذا الاطار ، وقد استند معظم المؤيدين لهذا المفهوم والذي لم يحدد مضمونه بصورة مفصلة ، في اثبات ان الشرق قد مر بمرحلة متميزة ، تمثل في اسلوب الانتاج الاسيوي ، باعتباره تشكيله اقتصادية ـ اجتماعية ، يقوم على اساس غياب الملكية الخاصة للأرض ، بحيث تؤلف المشاعات القروية ، أو بمعنى اخر المشتركات القروية الوحدة الانتاجية المتقوقعة والمكتفية ذاتياً في هذا الاسلوب والذي يعكس المستوى المتخلف للقوى الانتاجية ، والذي يرجع اساسا الى غياب التبادل فيما بين المشتركات ، وهذا ما افقدها عنصر الحركة ، والتغير ، وبالذات العلاقات التجارية بين المدينة والريف ، والذي نتج عنه الركود والثبات النسبي ، في انحلال هذه المشتركات القروية ، والسبب في ذلك يرجع ايضاً الى طبيعة الانتاج والتوزيع المحكوم بعملية النهب الذي كانت تمارسه الدولة ، وذلك من خلال استنزاف الفائض الاجتماعي للانتاج والعمل .

وتقف على رأس تلك الوحدات الانتاجية الدولة المركزية ، التي هي المالك الفعلي للاراضي الزراعية في المجتمع ، حيث تمنح حيازتها للفلاحين في القرية الواحدة ، وبصورة مشتركة لافرادها ، وتقوم بعملية الاشراف على المنشاءات العامة ، الذي يترتب عليه تقسيم اجتماعي للعمل، يتمثل في وجود جهاز فوقي تمثله الدولة المركزية المعبرة عن الطبقة المستغلة «بكسر الغين» وآخرين يقومون بالعمل والانتاج يعبرون عن المجموع المستغل «بفتح الغين» في المجتمع .

وتلك العلاقة الاستغلالية ، هي ما يطلق عليها مفهوم العبودية المعممة أو السخرة الجماعية والقائمة بين المشتركات القروية الفلاحية ، وجهاز الدولة المركزية التي تلعب جوهرياً دور القهر ، مستمدة قوة جهازها ، من خلال المهام الاقتصادية والعسكريه والدينية الموكلة اليها .

وبهذا يذهب انصار فرضية اسلوب الانتاج الاسيوي ، الى ان شكل العلاقات في المجتمع الاسيوي ، تقوم على اساس الملكية المشتركة للفلاحين في القرية ، وارتباطها بجهاز الدولة المركزية ، ويستدلون بمراسلات ماركس وانجلز ، اذ اشار الاول الى «ان المفتاح الحقيقي للشرق «بما في ذلك سماء لشرق اي الدين» هو عدم الملكية الخاصة للارض» «١» فأجابه الثاني برسالة قال فيها «ان عدم وجود ملكية الارض هو بالحقيقة مفتاح كل أوضاع الشرق ، في هذا يكمن تاريخه السياسي والديني ، ولكن كيف جرى ان الشرقيين لم يصلوا الى ملكية الارض حتى في شكلها الاقطاعي ؟ اعتقد ان ذلك مرده بصورة رئيسية الى المناخ مأخوذاً في صلته مع التربه ، وبخاصة مع المساحات الصحراوية الكبرى ، التي تمتد من الصحراء الافريقية عبر جزيرة العرب وفارس والهند ، وبلاد التتر الى الهضبة الاسيوية العليا ، الري الصناعي هو اول شرط للزراعة ، وهذا عمل البلديات أو المقاطعات «الايالات ـ الاقاليم» او الحكومة المركزية . ان الحكومة الشرقية تشمل دائماً ثلاثة فروع فقط ، المالية «النهب في الداخل» الحرب «النهب في الداخل والخارج» والاشغال العامة «تأمين تجديد الانتاج» ؟.

صحيح أن الدور الذي يلعبه الوسط الجغرافي المحيط بحياة المجتمعات البشرية باعتبار ان الطبيعة ، تمثل الشرط الضروري لنشاط الانسان في تلبية حاجاته ، التي تؤمن له شروط بقائه ، وتحدد الحالة ، الاقتصادية ـ الاجتماعية لأي مجتمع ، اذ انها تتحكم بحياته بصورة كبيرة في فترة تاريخية معينة ، ونتيجة للقدرة الحضارية المحدودة ، التي لا تمكنه من السيطرة على الوسط الذي يعيش فيه الا انه ، ومع زيادة الخبرة لدى الانسان ، وقدرته على استيعاب متطلباته ، تجعله دائم البحث عن الوسائل التي تمكنه من تخفيف وطئة قساوة الطبيعة وقواها عليه .

واذا كان «المجتمع الشرقي القديم نظام يلعب فيه ، قوة انتاج شواطئ الانهار المدارية دوراً هاماً»٣ فقد استطاع ان يقيم المنظومات الاصطناعية التي تتحكم بقوة الانهار ، ووجهها في ري الاراضي الزراعية ، واقامة المنشاءات العامة ، من خلال قوة العمل ، التي وفرتها الكثافة السكانية في تلك المناطق ، ففي منطقة «دلتا نهري دجلة والفرات مع خليج البصرة هناك بالذات تحقق كل ضمان الانتاج الحقلي ، وممارسة حماية الحقول جنباً الى جنب ، عن طريق الاستقرار في طمى الدلتا ، وكان مثل هذا الاستقرار ، يتطلب اعمالاً كبيرة وجهوداً عمرانية هائلة»..

غير ان طبيعة المناخ ووجود مساحات من الاراضي الصحراوية ، التي تتخللها الانهار ، وتتطلب رياً صناعياً منتظماً ، لا يمكن لها ان تكون ، هي الحد الفاصل بين الشرق والغرب : وتشكل المعيار ، الذي على اساسه نقع تحت تأثير بعض الكتاب الغربيين الذين يقسمون التاريخ العالمي الى وحدات حضارية ، منغلقة ، على نفسها ، وتتطور وفق حتمية دائرية خاصة بها .

فغياب تحديد المعيار المنهجي الذي من خلاله لا يستطيع الباحث خصوصاً في التكوينات الاقتصادية ـ الاجتماعية للمجتمعات الشرقية القديمة ، التمييز بينما هو جوهري ، وبينما هو عرضي ، خصوصاً تحديد العلاقة التي تكون كامل حياة المجتمع ، وظواهره الاجتماعية المتكررة ، والذي بدونه تنتفي معه ، معرفة واكتشاف السنن العامة التي تحكم تطور المجتمعات .

ومفهوم لنا ، انه لا يوجد بلدان متشابهان تشابهاً مطلقاً ، على طول مسار تاريخ البشرية ، وحتى عصرنا الحالي ، فكل بلد على حده له خواصه المميزه له عن بقية البلدان

وذلك من حيث تطور بنـاه الاقتصـادية ـ الاجتماعية ، ومن حيث تاريخه وثقافته ، واشكال البنى الاساسية والاجتماعية فيه .. الخ ، الا اننا لا نستطيع ان نغفل وجود الشيئ المشتـرك بين كل البلدان التي تتـواجد في اطار تشكيله اقتصادية ـ اجتماعية محددة تاريخاً ، يجتمع الكل في اطارها القانوني العام ، وميله الذي يتبدى في كل بلد بمستويات متفاوته ، الى هذا الحد او ذاك .

فمسالة المظاهر التي تتجلى بها الملكية الخاصة لا تتبدى ، وفق مظهر واحد ، وانما تتعـدد مظاهرها التي تكشف عن جوهر العلاقات الاجتماعية المحددة باسلوب انتاج اجتماعي سائد ، في اطار التشكيلة الواحدة ، فالملكية الخاصة ، لا يمكن لها أن تتبع طريقاً مستقيماً ، ففي المجتمعات الشرقية القديمة ظهر فيها علاقات الرقي لأول مرة في تاريخ البشرية ، على الرغم من وجود الخصائص الملازمة لتلك المجتمعات .

ـ فاذا نظرنـا الى تاريـخ مجتـمـــع بلاد مابـين النـهـريـن فسـنـجـد ان «الوادي المـمـتـد بين مسـاري نهـري دجـلـة والفـرات سـهـولاً تغـمـرهـا الاهـوار والمسـتـنقعـات من لقـايـا البحـر المنحسر ، وتستـوطنهـا الوحـوش الكـاسرة والافاعي السامة وبقيت كذلك قرونا عديدة ، قبل ان يحولها عمل الانسان الى جنات زاهرة . ومدن عامرة ومخازن حبوب لجزء من العالم ، الذي كان الوادي يشكل مركزه ، وكان اول عهد الوادي بالانسان ، عندما نزحت اليه القبائل السومرية ، من مواطنها الاصلية ، تحت ضغط القبائل الاكثر قوة ، او بحثاً عن الطعام ، فوجدت فيه المأوى الآمن والطعام الوفير الذي كانت تحصل عليه » . وما أن استقر الانسان على ضفاف هذه الانهار ، والسهول الواقعة الى جانبها ذات التربة الخصبة القريبة من تلك الاهوار والمستنقعات حتى ظهرت الزراعة بشكلها البدائي ، كما تم تدجين الحيوانات ، بهذا كان الناس قد دخلوا مرحلة جديدة من تطورهم الاجتماعي ،«وبفضل الحاجة الى المزيد من الحاصلات الزراعية ، ادرك زراع هذه السهول ، انه يمكن الحصول على غلة وافره من الآراضي المرتفعة باستعمال ادوات واساليب الارواء البدائية ، وباستخدام العبيد».

وقد استخدم في هذه الفترة وعلى نطاق واسع الادوات المعدنية والبرونزية ومن ثم الحديد في الزراعة ، والذي اوجد الفائض الاجتماعي للانتاج ، وكذا تقسيم العمل الذي حتم ظهـور الملكيـة الخـاصة ، اذ انه بسبب تزايد «عدد السكان واستغلال الاراضي المرتفعة التي تسقى بالواسطة ، وتزايد عدد العبيد بفعل الحروب والشراء ، وظهور نظام تبادل السلع «المقايضة» ثم استعمال المعدن كمقياس مشترك للقيمة «العملة» واتساع نطاق التجارة «السوق الموسعة» كل ذلك قد ادى الى نشوء طبقة من الاغنياء ، تراكمت لديها الثروة والعبيد ، واصبحت مع الزمن الطبقة الحاكمة في المجتمع ، كما كانت تسمى آنـذاك الرجـال العـظام» «٧» هذا الى جانب ان كبار الكهنة وممثلي الادارة الملكية ، كانوا يعتبـرون من اكبر ملاك الاراضي والعبيد ، هذا واذا كانت سومر قد انتزعت «القيادة الفكرية والحضارية في بلاد الشرق الادنى عند مطلع القرن من الالف الثالثة قبل الميلاد ، وسبقت حقاً مصر في خلق حضارة مزدهرة ، تكمن فيها بذور تاريخية .. فان ما حققه اولئـك السكـان .. الأولون من مجالات الفكر والاقتصاد والسياسة ، في ذلك الاقليم ، المنتزع في الطبيعة ، يمكن ان يعتبر بحق حضارة مزدهرة تجلت ، بتأسيس دولة الالهة المتمركزة في مدينة المعبد ، وذلك كتجسيد للايمان بالقوى الخفية ، والمنطلقة من فلسفة دينية ثابته ، تشمل الفرد والجماعة على حد سواء» «٨»

هذا وتدلنا اساطير وقوانين الدولة السومرية والبابلية ، على تكون وعي السيطرة

الطبقية وسيادتها ، ففي شريعة الملك السومري «اورنمو» مؤسس سلالة اور في نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد ، نجد الاحكام التي تنظم العلاقات الزراعية ، بين المالكين وغير المالكين في المجتمع المواد «٢٧، ٢٨، ٢٩ .. الخ»* والتي تثبت لنا وجود الملكية الخاصة للافراد ، والقائمة على عمل العبيد ، جنباً الى جنب مع المشاعة الفلاحية التي احتفظت بوجودها آنذاك .

كما أن شريعة الملك البابلي حمورابي تبرز لنا بوضوح اكبر خصائص العلاقات الاجتماعية والذي يمثل عمل العبيد وانصاف العبيد القوة الرئيسية في المجتمع ، كما تبرز ايضاً الطبيعة الحقوقية لملكية العبيد ، وكذا احدى الطرق التي يتم من خلالها ، تحول الافراد الى عبيد ، والتي تمثله عبودية الدين ** بالاضافة الى اسرى الحروب الذين يتحولون بدورهم الى عبيد ،«وبموجب هذه القوانين ، لم تكن تؤخذ لقاء الاذى الجسدي الذي يلحق بعبد الغير ، الا

غرامة قليلة كتعويض عن خسارة المالك شأنها شأن الغرامة لقاء الضرر الذي يلحق بالماشية ، وفي حالة قتل عبدالغير كان المذنب يقدم لمالكه عبدا من عنده، وكانوا يبيعون العبيد دون ايةتحديدات ودون اعتبار لوضع العبيد العائلي ويقدمونهم هدايا ويتوارثونهم امابالنسبة للذين كانوا يناهضون حقوق الملكية التي اقامها مالكوا العبيد، فكانت تطبق اقسى العقوبات وكان الحكم بالموت يتهدد كل من يسرق عبدا او يحميه وكان لكل عبد وسم خاص يدل على مالكه ولقاء محو هذا الوسم كانت تهدد الانسان الحر كذلك عقوبة قاسية .. (٩)

كما ان مجموعة تلك القوانين تبرز لنا عددا من التخصصات الحرفية منها حرفة الحدادة والنجارة والبنائين وصانعي السفن التي كان يزاولها الاحرار من المواطنين كما ان مجموعة قوانين حمورابي توضح لنا ان «اساس لمجتمع هو العائلة والمجتمع مقسم الى ثلاث طبقات . اما افراد الطبقة العليا فكانوا يحتلون المراكز السياسية والدينية وكان لهم امتيازات خاصة يتمتعون بها كما انه كان عليهم حقوق وواجبات وطبقة اجتماعية وسطى تتألف من اصحاب الحوانيت والتجار واصحاب الحرف والمهن وغيرهم ، ثم طبقة ثالثة وهي طبقة العبيد والارقاء وكانوا يشكلون قسما كبيرا من السكان .. (١٠)

ومن خلال ما تقدم يتضح ان اساس التكوين الاجتماعي في بلاد مابين النهرين كان يقوم على العبودية والذي يمثل جوهر العلاقات الاجتماعية والاقتصادية مهما بدت متخفية تحت اطار ملكية الاله ، او المعبد وهو الاساس لتطور الثقافة المادية والروحية لآلاف من السنين من تاريخ المجتمعات في الشرق القديم فقد تحمل العبيد العمل الاكثر

---

* المواد القانونية بنصوصها :ـ

(٢٧ ـ اذا تسبب رجل وزرع . حقلاً يعود الى شخص آخر ، فانه اقام صاحب الحقل دعوى قانونية ضده ولكن المغتصب تجاهله ، فانه سوف يخسر حتى المصروفات التي دفعها على الحقل .. ٢٨ ـ اذا تسبب رجل في اغراق حقل مزروع يعود لرجل آخر ، عليه ان يدفع لصاحب الحقل ٣ كور من الشعير لكل ايكو من الحل .

٢٩ ـ اذا استاجر رجل ارضاً زراعية تعود لرجل آخر من اجل زراعتها ، ولكنه لم يزرعها وحولها بسبب اهماله الى ارض جرداء عليه ،اي المستاجر، ان يدفع لصاحب الارض ٣ كور لكل ايكو من الحقل، انظر تاريخ احكام الارض في العراق ص ٢١ ـ ٢٢ مرجع سابق .

●● النصوص القانونية لشريعة حمورابي :ـ

«٥٣ ـ اذا تكاسل رجل فلم يقو شده ، فحدثت ثغرة ، وطفى الماء على الارض ، او تلف زرع آخر ، فان هذا الرجل يلزم برد مثل الحبوب التي هلكت .

٥٤ ـ فان لم يكن لديه حبوب بيع هو ويبعث ممتلكاته ، وقسم الثمن بين من هلكت حبوبهم بسبب طغيان الماء ، انظر تاريخ الاراضي في العراق ص ٢٤ ـ ٢٥ مرجع سابق ..

مشقة فبنوا مدن العالم القديم واهرامات مصر ومنظومة الري الاصطناعي والحدائق البديعة والتي هي ملك للطبقة المالكة - وعلى رأسها الملك الطاغية والمستبد ، وهذا التكوين لايقتصر على بلاد ما بين النهرين بل ينظم بقية شعوب الشرق الاخرى، فقد اخذت « دول عهد الرق في الشرق الاقصى القديم كقاعدة ، شكل الحكم المطلق .. وكان اقتصاد القبيلة الطبيعي الابوي وتطور التبادل الضعيف يشكلان الاساس الاقتصادي للاحكام المطلقة هذه، فضروري ري الحقول اصطناعيا ممركزا - وهو امر لايمكن للزراعة ان تتطور بدونه هناك - قوة اهمية السلطة الدولة المركزية .. فأخذت دولة اصحاب العبيد على عاتقها وظيفة تنظيم الاعمال الاجتماعية لتنظيم الري واستخدمت هذه الوظيفة لسحق افراد المشاعة باكثر ما يمكن من القسوة .. (١١)

فعند ان بدأت تتشكل الدولة - المدنية في الشرق بتطو الدويلات والدول المركزية نتيجة (التنظيم الزراعي الواسع واعمال الري المائية، فضلا عن وسائل المواصلات والنقل الهامة وغيرها ، تظهر بشكل واضح عند الاقوام الاسيوية ويعطي الاقتصاد الزعيم السابق الذي كان يمثل وحدة المجتمع دور صاحب الملكية الجماعية ومثل هذا الدور يرفع الزعيم الى موقع من يتمتع بقدرة الهية ويتحكم بمصائرهم واقدارهم) (١٢) وقد ظهرت الدولة ومؤسساتها بالاعتماد على دعم الارستقراطية بملاك الارض وكذلك الزعامات الدينية القبلية غير ان انصار فرضية اسلوب الانتاج الاسيوي باعتمادهم على نوع الخصوصية التي تمتعت بها بلدان الشرق القديمة يؤكدون على ان المهام التي انشئت الدولة من اجل اقامتها والمحافظة عليها باعتبار انها المالك الاعلى للارض الممثلة برأس الملك ، والذي يعين له موظفين تابعين له وقواد للجيش ، وهؤلاء لهم سلطة سياسية واجتماعية اعلى حررتهم من العمل الانتاجي وتفرغوا لجمع الضرائب والاتاوات المفروضة على الفلاحين من المشاعات القروية سنويا ، الى جانب مهام الاشراف على الاعمال العامة عن طريق السخرة الجماعية وباعتبار الدولة الممثلة الاعلى للمصلحة الجماعية بين المشاعات القروية فهي التي تملك الارض من الناحية الشرعية ولموظفيها سلطة وظيفية وتستولي اجهزة الدولة على فائض الانتاج الزراعي في صورة ضرائب او الجزية الجماعية وعلى فائض العمل في صورة اعمال السخرة الجماعية او العبودية المعممة (وتصبح الدولة بموظفيها - هي الطبقة المستغلة الرئيسية والحاكمة بأمرها - الطاغية - في الوقت نفسه ، اما الفلاحون اعضاء المشتركات القروية فهم ليسوا عبيدا لفرد ما بل للدولة صاحبة الارض وهكذا توجد العبودية المعممة) .. (١٣)

وهنا يضع انصار فرضية اسلوب الانتاج الاسيوي الفرق بين العبودية في اوروبا الذي يمثل لديهم نمط انتاجي واضح، سارت عليه اوروبا العبودبهوالعبودية المعممة في الشرق، والذي يمثله اسلوب الانتاج الاسيوي باعتباره ظاهرة وليس نظاما قانونيا، وياتي التناقض الداخلي الذي يميز هذا الاسلوب من وجهة نظرهم هو الاستغلال الطبقي الممثل بالجهاز الاعلى والحفاظ على الملكية الجماعية للارض والعلاقة الاستقلالية بين فلاحي المشاعات وبين اعضاء جهاز الدولة الممثلة بالملك - وهنا تتضح العلاقة الجدلية في الصراع - هذه العلاقة ، هي العبودية ولكنها ليست فردية وانما جماعية او معممة، على نطاق المجتمع كله، ولما يمثله اسلوب الاكراه الاقتصادي بالعنف لكون اعضاء المشاعات القروية ملكا للدولة الممثلة بالملك مع ملاحظة انهم لاينفون وجود العبيد المملوكين شخصيا وهم من اسرى الحروب ولكنهم لايشكلون قوة اساسية في نمط الانتاج

بل كانوا يستخدمون غالبا في المناجم العامة، وفي الجيش وداخل المنازل اي انهم ليسوا ذوي وزن نوعي في العلاقات الاجتماعية بمجتمعات الشرق القديم. ان انصار هذه الفرضية يصنعون نصب أعينهم ان العبودية نعني فقط وجود طبقة سائدة واخرى مسودة في مجتمع من هذا الطراز واذا كان كذلك فهل منطق العلم الاجتماعي يفترض مثل هذا التحديد في تكوين العلاقات الاجتماعية؟! الم يدركوا بأن المجتمعات بتكويناتها الاقتصادية ـ الاجتماعية هي عبارة عن تشكيلات تاريخية تظهر من خلال البحث المنهجي، على انها منظومة من اشكال العلاقات الاجتماعية القائمة على نمط سائد من الاستغلال ؟! وهي الضريبة التي تفرضها الدولة هي الشكل الوحيد للاستغلال في المجتمعات الشرقية القديمة؟! والدولة بحاشيتها هي الطبقة السائدة؟ بينما المشاعات او المشتركات القروية هي المسودة في تلك المجتمعات؟ واذا كانت الدولة هي المالك الفعلي للارض فهل نفهم على ان الضريبة هي ريع عقاري وتصف شكل الاستغلال بأنه اقطاعي؟! وهل يوجد او وجد حتى الان في كل التشكيلات الاقتصادية ـ الاجتماعية مقاييس تحدد الوزن النوعي الذي من خلاله نستطيع معرفة الكمية التي تجعلنا نميز النمط السائد من العلاقات الاجتماعية التي تكون كامل حياة المجتمع؟!

ومفهوم لنا جميعا ان الشيء الاساسي من اسلوب الانتاج هو ذلك المفهوم الذي يعني نمطا خاصا من الاستغلال فاذا اعتمدنا على مسلمات انصار فرضية اسلوب الانتاج الاسيوي فسوف نجد ان كل المراحل المكونة للعلاقات الاجتماعية التاريخية ، ماقبل الرأسمالية ، تشكل مرحلة زئبقية او بمعنى ادق ضبابية وعديمة الشكل ، اذا اردنا ان نهدر الوقت معها في مهمة البحث والتنقيب عن القانونية التاريخية الخاصة التي تحكم العلاقات الاقتصادية ـ الاجتماعية ، وذلك لان المقولات المنهجية العلمية، قد اختفت من على مسرح بلدان الشرق القديم بحيث نضحي بالعام والشمولي على مذبح الخاص الاسيوي ، المغترب عن القوانين العامة الكونية التي تحكم مسار التطور في كوكبنا بشكل عام ، باعتباره مرحلة خاصة لوعي الذات الهيجلي الذي يتجلى من خلال الري الاصطناعي والاستبداد الشرقي ..

خلاصة القول : ان انغماس الباحث في البحث عن الوقائع العيانية الخاصة بمرحلة تاريخية معينة لبلد ما دون الالتفات الى افاق التطور العام سوف تحجب عنه اسباب الترابط الموضوعي الذي يربط هذه الوقائع الخاصة، بمجمل التشكيلة الاعم والاشمل ويخيل اليه، ان ما يدرسه انه مرحلة قائمة بذاتها وتجعلنا نحن نشعر اننا امام مراحل وتشكيلات متعددة غير مترابطة كما ان النتيجة المباشرة لهذا الفهم هي اعتبار العالم مؤلف من مجموعة من الجواهر المستقلة التي تزج بنا تحت وقع المقابلة الجغرافية ، الشرقي في مقابل الغربي، بمعنى آخر الوقوع تحت ضغط مركزية اسيوية من مقابل المركزية الاوروبية والبحث عن ايجاد التوازن والتكافؤ لوحدات تاريخية محلية، او قارية . (ان ظهور عدد لايحصى عمليا ، من التشكيلات في التاريخ العالمي من شأنه ان يحجب عنا المراحل والاتجاهات الاساسية في التطور وان يؤدي الى العشوائية والتعسف في تقسيم التاريخ العالمي وتصنيف مراحلة ويجعل من الصعب تحديد نقاط الرؤية في العمليات التاريخية (١٤) اذ ان بنية اي مجتمع من المجتمعات هي بنية معقدة ومتشابكة لاتوجد في اطار اسلوب انتاج اقتصادي نقي، بل هناك علاقات متشابكة ومتعددة حيث نجد انه في مجتمعات الشرق القديمة كان يوجد الى جانب السادة والعبيد المشاعات البدائية وكذا المنتجون الصغار المالكون والتجار واصحاب الحرف والمزارعون

..الخ . مع ملاحظة ان مجتمع العبيد لايمكنه ان ينشا الا محاطا بعدد كبير من المشاعات وهي الاحتياطي النشط في تغذية سلطة ملاك العبيد بالثروة الضخمة عنطريق الضريبة الجزية ، والحروب وهنا تبرز امامنا الوان مختلفة من الاستغلال في العالم القديم ببلدان الشرق حيث يتم استغلال العبيد في المركز وتهب المشاعات في الاطراف التي كانت تعتبرها الدولة ملك لها، وبهذا نجد اننا امام تشكيلة اقتصادية ـ اجتماعية يسود فيها اسلوب نمط العلاقات الانتاجية العبودية ، على الرغم من ان الدولة كانت تمنح الافراد حق تحصيل الضريبة والاتاوات من المشاعات الفلاحية .. «عبودية شرقية»..

ويذهب انصار الفرضية الاسيوية الى ان المهمة المناطة بالموظفين قد مكنتهم من ان يتمتعوا بامتيازات ، ميزتهم، وفصلتهم عن الشعب، وذلك في مقابل وظائفهم العامة، وانه عن طريقهم كان يتم جمع فائض الانتاج على شكل اتاوات عينية من المحصول السنوي بحيث يترك للفلاحين ما يكفيهم واسرهم على مدار السنة، بينما الجزء الاخر يذهب الى جيب الدولة المركزية هذا من ناحية الانتاج وفائضه وجمع الضرائب الريعية .

اما بالنسبة لفائض العمل ـ فقد استخدم في بناء المشاريع العامة التي تخدم اولا : الدولة واستمرارها ..

وثانيا : الفلاح في المشاعات ، وذلك لامكان اعادة الانتاج وزيادته والذي يصب في الاخير في خزانة الدولة المركزية مع ملاحظة ان اعمال السخرة الجماعية تجند في انشاء القنوات الخاصة بالري في مناطق الانهار وكذلك الطرق والمعابد وبناء السدود وغيرها من الاعمال التي تحتاج اليها الدولة لتحقيق اغراضها كبناء القصور والصناعة والمقابر الضخمة .. الخ (كما تشمل القمة العليا في الاقتصاد وظائف اخرى .. غير المحافظة على السدود وقنوات الري في حالة جيدة، مثل مراقبة الدورة الزراعية والحفاظ على الطرق في وضع جيد وتوفير الامن .. والدفاع العسكري عن القرى في وجه هجمات البدو والغزاة المسلحين من الاجانب وتعهد الى الدولة بعض فروع الصناعة التيماكان بامكانالمشتركات الفلاحية توفير العمل لها كالصناعة المنجمية افران الصهر الحكومّية (١٥) ولم تكن الدولة تتحمل نفقات الغذاء لمن يقومون بتلك الاعمال ، الا نادرا ، بينما تتولى اسر الفلاحين المجندين للعمل في المشاريع العامة توفير غذائهم اليومي، وهذه كانت القاعدة والاستثناء هو تخصيص اجور من الدولة ويذهبون في هذا الصدد الى انه من اعمال السخرة الجماعية هذه كان لايؤبه بقوة العمل المهدورة بشكل تدميري في تشييد منشئات ليست ذات مردود اقتصادي يعود بالنفع علي الجميع وهذا عكس ماكان يحدث في اليمن كما سترى اذ حل محل السخره نظام المشارعة والعانة والقاه واما السخرة بمفهوم العمل الجماعي الموجه فقد كانت من اجل المصالح المشتركة كالسدود والطرقات والمرابطة في الحدود كما يورد انصار هذه الفرضية الخصائص المميزة التي يمكن بواسطتها التفريق بين ـ نظام العبودية التي عرفته اوروبا القديمة والعبودية المعممة في اسلوب الانتاج الاسيوي ـ كما جاءت على لسان «شارل بارن» حول خصائص هذا الشكل في الاستغلال كالتالي :ـ

١ ـ استغلال قوة العمل المجانية ..

ـ اذا كان مالك العبيد في العبودية التقليدية مضطر لانفاق مال لشراء العبد واطعامه واكسائه، وتوفير مأوى من اي مستوى كان له.

ـ فانه في العبودية المعممة يجبر المستغلون (بكسر الغين) جماهير ضخمة من الفلاحين

المنتزعين من عوائلهم واشغالهم لفترة معينة على العمل لديهم في هذه الحالة ليس من الضروري شراء العبيد واكسائهم ، ولا تأمين مأوى دائم ولا تأمين معيشة عوائلهم في العبودية المعممة على المشتغلين ان يوفروا فقط الحدالادنى الضروري من الغذاء للمنتجين وللفترة التي يقضونها من الاعمال العامة.

٢ ـ في العبودية المعممة يجري هدر قوة العمل بشكل تدميري .

ـ فاذا كان مالك العبيد في العبودية الخاصة (العبودية التقليدية) يحاول استخدام عمل المنتجين من اجل الحصول على الربح، ويحاول الاقتصاد الى هذا القدر او ذاك في انفاق قوة العمل وينتج البضائع الضرورية . اجتماعيا والتي تواجه طلبا في السوق فانه في ظل العبودية المعممة يجري انفاق قوة العمل ليس فقط على اقامة منشآت هائلة لافائدة منها اطلاقا (اهرامات مصر، القصور الهائلة، المعابد وغيرها)..

٣ ـ في ظل العبودية المعممة تجبر السلطة الحكومية الاستبدادية المشتركات الفلاحية على تخصيص قوة عمل من عندها من اجل الاعمال الاجتماعية الضخمة «منشآت الري . الاهرامات اما في ظل العبودية التقليدية فان مالك العبيد الخاص يجبر العبيد على العمل في ارضه لمصلحته الخاصة ..

٤ ـ في ظل العبودية المعممة ، تجبر السلطة جماهير واسعة من المنتجين على العمل الفزيولوجي غير المؤهل الشاق في اعمال الزراعة وفي جر ورفع الاثقال .. ١٦)

تلك هي الفروق او الخصائص كما يراها انصار فرضية اسلوب الانتاج الاسيوي التي تميز الشكل الاستغلالي من هذا الاسلوب في بلدان الشرق، عن اسلوب الانتاج العبودي في الغرب ..

ونتفق هنا مع بعض ما طرحه انصار هذه الفرضية ، حول مسألة الاهدار لقوة العمل التدميرية التي كان يتم استنزافها في اعمال السخرة وتوجيهها في اقامة المنشآت الضخمة غير ذات المردود وبهيمنة قطاع الدولة ووزنه النوعي والمتسع والمركزية القوية والعنيفة للدولة، اضافة الى ان وتائر التطور في بلدان الشرق القديم، كانت بطيئة نسبيا وهنا فقط يكمن الاختلاف عند الحديث عن الخصوصية والتمييز بين الشرق والغرب، اذ انه (في مرحلة تفسخ المشاعية البدائية ليس من النادر ان توجد الكثيرمن الاراضي(الحرة) التي لامالك لها وفي حالات كهذه لاتكون الارض ذات قيمة كبيرة، ولذا نجد انه في الظروف العادية لتشكل الطبقات تبرز الى الواجهة اساليب العنف المباشرة اساليب قهر الفرد واسترقاقه وذلك بهدف اكراه الاخرين على العمل لحساب شخص «ما»(١٧)..

غير ان اتفاقنا ذاك لايعني ان يحجب عنا طراز العلاقات القيادي الذي يحدد بنية التشكيلة الاقتصادية ـ الاجتماعية ، فالافراد الذين منحتهم الدولة حق جمع الضرائب والاتاوات من المشاعات الفلاحية، كانوا يستأثرون بمعظمها ، بحيث كانت تمكنهم من ترسيخ اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية في التملك الخاص وتعزيزه ونزوعهم نحو غلبة العلاقات العبودية وسيادتها في تلك المجتمعات الطبقية الباكرة والتي لم تكن الضريبة المتحصلة من المشاعات الفلاحية هي الشكل الوحيد للاستغلال ويمكن التدليل على ذلك من المجتمع ..

الهيئات الشعبية اليمنية

القسم الرابع :

النوادي الأدبية والمراكز الثقافية وأثرها في الحياة الثقافية *

علوي عبدالله طاهر

جامعة عدن

١ ـ نادي الأدب العربي .
٢ ـ نادي الاصلاح العربي في التواهي .
٣ ـ نادي الاصلاح العربي في الشيخ عثمان .
٤ ـ نادي الاصلاح العربي في كريتر.
٥ ـ مخيم أبي الطيب .
٦ ـ كرمة أبي العلاء .
٧ ـ حلقة شوقي .
٨ ـ مكتب العلاقات العامة والنشر بعدن .
٩ ـ المجلس الثقافي البريطاني ـ في عدن .
١٠ ـ جمعية الأدب والمناظرات .
١١ ـ مكتبة (ليك) مسواط
١٢ ـ نادي يعرب بن قحطان .
١٣ ـ نادي الشباب الثقافي .
١٤ ـ رابطة الجامعيين العدنيين .
١٥ ـ حلقة الملاح التائه .
١٦ ـ نادي الأدب والفن .
١٧ ـ نادي الشباب الادبي .

(*) نشر هذا البحث في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٣٦ ـ اكتوبر ١٩٨٣م . وقد ادخلت عليه هنا بعض التعديلات والاضافات .

١٨ ـ رابطة شباب عدن .
١٩ ـ المنظمة المتحدة للشباب اليمني
٢٠ ـ جمعية المراة العربية .
٢١ ـ الرابطة القومية للكتاب العرب .
٢٢ ـ مؤتمر الخريجين بعدن .
٢٣ ـ منظمة الشباب العربي في عدن .

في مطلع هذا القرن تهيأت الظروف لقلة من الناس في عدن للحصول على قسط من التعليم مكنهم من قراءة بعض الصحف والمجلات القليلة التي كانت تصل الى عدن ، وتعرفوا من خلالها على ما كان يدور في الوطن العربي والعالم من احداث سياسية وتيارات فكرية واتجاهات ادبية . . الخ . . جعلتهم ينظرون حواليهم فلا يجدون شيئاء من ذلك .

لقد كان بعض الناس يقرأون في الصحف عن الصالونات الأدبية والنوادي الثقافية التي ظهرت في أواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن في بعض الاقطار العربية من امثال (صالون نازلي فاضل) في مصر حين كانت السيدة نازلي تفتح دارها لتستقبل الرجال الأعلام والوزراء وكبار الوجهاء ، وكانت تدير معهم الأحاديث وتعرض عليهم القضايا وتناقشهم وتحاورهم فيها ، وكان من رواد هذا الصالون محمد عبده وسعد زغلول وقاسم امين وغيرهم من كبار قادة الفكر والأدب العربي في تلك الفترة ، ومن هذا الصالون ظهرت الصيحات الداعية لتحرير المرأة العربية التي قادها قاسم امين ، ومن رواد هذا الصالون ايضا ظهر معظم خصوم الدولة العثمانية من أمثال ولي الدين يكن وسليم سركيس . . وغيرهم ، ومن داخله بزغ نجم الزعيم المصري سعد زغلول ، وارتفع الشيخ محمد عبده إلى مكان الصدارة الدينية . فقد كان هؤلاء يجدون فيه متنفسا للفكر والرأى في الدعوة لتحسين الأوضاع التعليمية وتطوير الثقافة والاهتمام باللغة العربية .

كما تعرف الناس على كثير من الاراء والأفكار التي نقلتها الصحف إليهم مما كان يدور في هذا الصالون وغيره .

ومن الصالونات الأدبية المشهورة أيضا (صالون مي زيادة) الذي جاء في أعقاب الحرب العالمية الأولى وشهده كثير من أعلام تلك الفترة من امثال لطفي السيد والعقاد وطه حسين والرافعي واسماعيل صبري . . وغيرهم . وكان هذا الصالون يعقد مساء كل ثلاثاء ، وفيه دارت الأحاديث حول كثير من مجالات الفكر والثقافة ، ومن هذا الصالون ظهرت أثار ادبية رائعة شعراً ونثراً . .

كما ظهرت في مصر أيضا عدد من الصالونات الأدبية الأخرى ونوادي المقاهي مثل قهوة باب الخلق حول حفني ناصف وقهوة المحافظة حول حافظ ابراهيم ، وقهوة حي الحسين حول سيد المرصفي . . وغيرها . (١)

وفي تلك النوادي والصالونات الأدبية دارت المطارحات الأدبية والأحاديث الثقافية والحوارات الفكرية وكتب من وحيها المقالات والبحوث ، ونشرت في الصحف والمجلات التي كانت تصل الى كثير من اقطار الوطن العربي وتصل بعضها الى عدن ، ومن خلال الاطلاع على تلك الصحف والمجلات وقراءة بعض الكتب تأثر بعض المتعلمين بما كان ينشر فيها من اخبار تلك النوادي والمطارحات التي دارت فيها ، وشعروا بحاجتهم الى ناد عربي يؤلف بينهم ويجمع شتاتهم خاصة عندما كانوا يرون الجاليات الأجنبية في عدن تقيم لها المنتديات التي يجتمع فيها أعضاؤها ويلتقون لممارسة بعض أنواع الرياضة او لتدارس بعض مشكلاتهم .

وتزايد الشعور بأهمية النوادي الأدبية في عام ١٩٢٥م حينما زار عدن أحد الأدباء العرب وهو عبدالعزيز الثعالبي التونسي ، وهاله ما رأى من تخلف في الثقافة وجمود في الأدب . فاقترح عليهم أن يؤسسوا لهم ناديا أدبيا يلم شملهم ويوحد شتاتهم وينظم نشاطهم فاستجابوا لمقترحه وأسسوا (نادي الأدب العربي) .

١ ـ نادي الأدب العربي

حول هذا النادي يحدثنا الاستاذ محمد علي لقمان قائلا :

«كتب لـي عبدالله (الجفري) خطابا من لحج يناشدني فيه القيام الى جانبه لتحقيق هذه الفكرة ، واجتمعنا وعرضنا رئاسة نادي الأدب العربي على الأمير احمد فضل رحمه الله (*) فقبل وتأسس النادي في حفل ضم عددا كبيرا من أبناء العرب والهنود ، ولأول مرة في تاريخ عدن اجتمع بعض الأدباء على صعيد واحد يتحاورون ويتساجلون وينشرون بنات افكارهم على صفحات الجرائد ، وكانت أول جريدة اهتمت بشؤون هذا البلد هي (الشورى) وتهافت الناس على قراءتها بعد ان كانوا أهملوا القراءة زمنا طويلا منذ ايصاد أبواب المؤيد) (٢) .

لقد كانت جريدتنا (الشورى) و (المويد) من الصحف العربية التي يتبادلها اعضاء هذا التجمع الأدبي ، كما أشار الى ذلك لقمان ، وجريدة (الشورى) هي التي أنشأها في القاهرة عام ١٩٢١م محمد علي الطاهر للدفاع عن قضايا العرب والاسلام ، واشترك في تحريرها بعض الذين تولوا زعامة الأمة العربية فيما بعد ، وكانت توزع في معظم الأقطار العربية والاسلامية ، وتوقفت عن الصدور عدة مرت كان آخرها عام ١٩٣١م ، أما جريدة (المؤيد) فهي تلك الجريدة اليومية التي كان يصدرها في مصر علي يوسف ، والتي ظل يحررها حوالي ٣٢ سنة ، الى ان تخلى عنها بعد تعيينه شيخاللوفائية١٩١٣م. فحررهامن بعده الدكتور سيد كامل ، ثم تلاه عدد من الكتاب الآخرين عرفت بنزعتها الوطنية وفسحت صدرها لعدد من كتاب ذلك العصر مثل سعد زغلول ومصطفى كامل ومحمد عبده والمنفلوطي . . وغيرهم . وقد نشرت في حلقات كتاب (طبائع الاستبداد) لعبدالرحمن الكواكبي .

ان هذا يدلنا على بعض المؤثرات في ثقافة الرعيل الاول من المثقفين اليمنيين الذين كانوا على اتصال مستمر بالحياة الثقافية في الوطن العربي ويقرؤون ما يصل اليهم من الصحف العربية الصادرة حينذاك .

انه بعد تأسيس نادي الأدب العربي في عدن عام ١٩٢٥م اسندت رئاسته الى الأمير احمد فضل القمندان وتولى محمد علي لقمان ادارته ، وكان اعضاؤه يكتبون المقالات ويرسلونها لتنشر في جرائد مصر أو سوريا او غيرها ، وعلى وجه الخصوص في جريدتي (الشوري والمؤيد) .

ولكن سرعان مادب الخلاف بين اعضاء النادي فتوقف نشاطه بعد ان ساهم الى حد ما في غرس بذور الحركة الثقافية ، اذ استطاع في عمره القصير ان يحقق عددا من الانجازات منها :

١ ـ بنى مكتبة عربية وجلب اليها المجلات والصحف المفيدة للمطالعة في قاعة النادي ، وقام

(*) احمد فضل بن علي . من امراء لحج السابقين ، ولد عام ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) وتوفي عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) ولقب بـ (القمندان وهو لقب عسكري (COMANDAN) وهو شقيق سلطان لحج عبدالكريم فضل المتوفي ١٨ يونيو ١٩٤٧م بعد قضاء ٣٢ عاما في الحكم ، وبحكم نشأته في بيت السلطنة اللحجية (الارستقراطية) استطاع ان ينمي موهبته في الشعر والطرب والموسيقى ، وصارت له شهرة كبيرة في ميدان الغناء اليمني لأن الحانه لها لون متميز ، وكانت له اهتمامات في التاريخ الى جانب الشعر والطرب ، من مؤلفاته التاريخية (هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن) ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) ومن كتبه الأدبية (المصدر المفيد في غناء لحج الجديد) .

بعض اعضائه بمراسلة الصحف .

٢ ـ نظم بعض الحفلات التكريمية لكبار الشخصيات التي زارت عدن وتمكن أعضاؤه من اللقاء بهم والتعرف عليهم ومحاورتهم وتبادل الآراء معهم ، وقد حصل النادي على بعض الدعم المادي والتأييد المعنوي من بعض هؤلاء الزوار .

٣ ـ ساهم النادي في حملات التوعية للخلاص من بعض العادات السيئة ، ومحاربة بعض ظواهر الانحلال التي برزت في المجتمع ـ حينذاك ـ كالدعارة وشرب الخمر ولعب الميسر .

٤ ـ مهد الطريق لتأسيس نواد أخرى رياضية واجتماعية وأدبية ، وعلى الخصوص تأسيس (نادي الاصلاح العربي) في كل من التواهي والشيخ عثمان وكريتر .

٢ ـ نادي الاصلاح العربي ـ بالتواهي

في أواخر عام ١٩٢٩م اجتمع لفيف من اهالي التواهي وقرروا إنشاء ناد لهم يكون هدفه الأول الاصلاح الاجتماعي وانتخبوا من بينهم رئيسا وأمينا للصندوق هو الأستاذ عبده غانم من أعيان التواهي ، وسكرتيرا هو الأستاذ نايف حسين سوقي الذي كان مديرا للمدرسة الحكومية الابتدائية في التواهي ، ثم انتقلت السكرتاريه من الاستاذ السوقي الى عبدالباري السقاف الذي كان يشغل وظيفة (باشكاتب) في ادارة الميناء ، وبقي السقاف في سكرتارية النادي زهاء سبع سنوات ، كما بقي عبده غانم رئيسا وأمينا للصندوق حوالي ١٧ سنة .

وقد اهتم النادي منذ أول عهده بالنشاط الأدبي والثقافي والاجتماعي ، فعقد المحاضرات ونظم الرحلات وساهمت في نشاطه بعض الشخصيات اليمنية البارزة من امثال احمد محمد سعيد الاصنج ومحمد علي لقمان ، فقد كان الاول من الشيخ عثمان والثاني من كريتر ، ثم أسس كل منهما ناديا مشابها في منطقته ، وأسس الأصنج نادي الاصلاح العربي في الشيخ عثمان ، كما أسس لقمان نادي الاصلاح العربي في كريتر عام ١٩٣٠م ، وظلت النوادي الثلاثة تتبادل الزيارات وتنظم المحاضرات وتقيم الرحلات وتحيي الاحتفالات وترسل البعثات التعليمية الى الخارج .

وبعد سنوات توقف نشاط نادي الاصلاح في كريتر ثم تبعه زميله في الشيخ عثمان ، ولم يستطع الصمود إلا نادي الاصلاح في التواهي ، وهو النادي الأساس (*) ، حيث ظل دوما يطور نفسه الى أن دب الخلاف بين أعضائه وأدى إلى تغيير قياداته بين الحين والأخر

وفيما يتعلق بنشاطه واهدافه فإنه يمكننا أن نقتبس هذه الفقرات من نظامه الأساسي كما جاءت في الماده الثانيه :

١ـ تشجيع نشر التعليم والثقافة عن طريق اقتناء الكتب والمجلات والقاء المحاضرات وتأسيس الحلقات الأدبيه .

٢ - تشجيع الرياضه الداخلية والخارجية بقدر الامكان .

٣ـ بث روح التعاون بين الأعضاء وتنمية روح التأخي ومحاولة خلق روح جماعية بينهم .

٤ـ إقامة حفلات عامة في المناسبات الدينية والقومية

(*) تعاقب على رئاسة نادي الاصلاح العربي بالتواهي منذ تأسيسه عام ١٩٢٩م حتى عام ١٩٥٣م كل من :

١ ـ عبده غانم . ظل رئيسا لمدة ١٧ سنة من ١٩٢٩ـ١٩٤٦م .

٢ ـ عبدالرحمن جرجره : ترأس النادي لمدة عامين ١٩٤٦ـ١٩٤٨م .

٣ ـ محمد علي باشراحيل : تولى رئاسة النادي بين عام ١٩٤٨ـ١٩٥٢م

٤ ـ محمد علي الأسودي : تولى رئاسة النادي بين عامي ١٩٥٢ـ١٩٥٣م .

٥ ـ محمد عبده غانم : تولى رئاسة النادي عام ١٩٥٣ وما بعدها .

٥ـ محاولة الاتصال المباشر بقية النوادي والهيئات لخلق روح جماعية .
٦ ـ المساهمة في حل مشاكل البلد العامة بالطرق المشروعة . (٣)
ومن ابرز النشاطات التي قام بها النادي ما يلي :
أ ـ اهتم بالنشاطات الفنية والثقافية والأدبية والاجتماعية ونظم الرحلات ، كما كانت له مكتبة وغرفة للمطالعة .
ب ـ شكل فرقة تمثيلية مثلت عدة مسرحيات منها مسرحية على بك الكبير التي مثلت على مسرح سينما (ريجال) سابقا ، (سبأ) حاليا عام ١٩٤٢م .
جـ ـ اهتم بالألعاب الداخلية والخارجية وكون فرقة لكرة القدم اشتركت في مباريات مع بعض الفرق المحلية الأخرى .
د ـ قام بعدد من الاصلاحات الاجتماعية مثل المطالبة بفتح صيدلية وبناء مدرسة لأهالي التواهي ، كما اعترض على رفع الرسوم المدرسية في المدارس الحكومية .
هـ ـ سعى للحصول على بعض المنح الدراسية وارسال بعض الطلبة للدراسة في الخارج .
و ـ أسس حلقة شوقي الأدبية عام ١٩٤٢م والتي ساهمت الى حد كبير في تنشيط الجانبين الأدبي والثقافي .

كانت تلك هي ابرز ما ساهم بها نادي الاصلاح العربي بالتواهي من نشاطات الى جانب سعيه لاعادة بناء مقره ، اذ كان النادي عند تأسيسه يشغل شقة صغيرة في عمارة تقع قرب المدرسة الابتدائية للبنات في التواهي شارع رقم ٣ ، ثم انتقل الى شقة مجاورة أكبر الى ان انتقل الى مبنى حديث خاص به افتتح عام ١٩٥٢م . (٤)

وبالموازنة بين اهداف النادي ، وما تم تحقيقه يتضح ان النادي كان يسعى من خلال نشاطاته الى تحقيق اهداف واضحة ومرسومة سلفا ، وقد وفق بعض الشيء في تحقيق بعض اهدافه لولا ان الصراعات الداخلية التي ظهرت في صفوف أعضائه حالت دون استمرارية ذلك النشاط .

٣ ـ نادي الاصلاح العربي ـ الشيخ عثمان

تأسس هذا النادي عام ١٩٣٠م في مدينة الشيخ عثمان وقد سعى لتأسيسه لفيف من شباب ومثقفي الشيخ عثمان ، متأثرين بنادي الاصلاح العربي في التواهي ، ومن مؤسسيه احمد محمد سعيد الأصنج ، الذي تولى رئاسته ، ثم تعاقب على رئاسته من بعده بعض الاعضاء الآخرين الذين اسهموا في مختلف نشاطاته .

وكان المثقفون في هذا النادي يتبادلون الآراء في مختلف الأمور والقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية ، ومن ابرزهم حينذاك احمد محمد سعيد الأصنج الذي اسهم اسهاما كبيرا في انقاذ الامير عبدالكريم الخطابي (بطل الريف المغربي) من براثن النفي والسجن وفي ذلك يحدثنا احمد الشامي قائلا :

«صادف أن مر على باخرة فرنساوية من عدن في طريقه من منفاه القديم في احدى جزر المحيط الهندي الى منفاه الجديد في فرنسا ، وكان معه أخوه واولادهم وعوائلهم ، فعرف الأستاذ احمد محمد سعيد الاصنج ذلك وكتب برقيات الى كل من محمد علي الطاهر وعبدالرحمن عزام ومحمد الخضر حسين ومصطفى النحاس يخبرهم فيها بأن الباخرة التي تقل بطل الريف المغربي وسائر عائلته ستمر من قناة السويس وترسو في الميناء في اليوم (الفلاني) وان يعملوا جهدهم

لانقاذه وقد رتب شيخ الجامع الازهر وحسن البناء وعزام والطاهر والنحاس باشا خطة محكمة لتهريب بطل الريف مع اهله والتجأ بقصر الملك فاروق فأجاره بقصة مشهورة» . (٥)

وكان الى جوار الأصنج عدد من المثقفين الآخرين الذين ساهموا بدورهم في مناهضة الاستعمار من أمثال ، العبادي وباكثير وغيرهما ، كما يؤكد ذلك محمد سعيد جراده بقوله :

«ظهرت في نادي الاصلاح العربي في الشيخ عثمان دعوات مبكرة لمناهضة الاستعمار قادها العبادي وعلي احمد باكثير . . وغيرهما ، وكان الباكثير يتردد على النادي وكان عضوا فيه ، وفيه القى قصيدة قال فيها :

أيها الظالم مهلا   سنقاضيك الحسابا
نحن أسد قد تخذنا   نادي الاصلاح غابا (٦)

وكان من أهم اهداف نادي الاصلاح في الشيخ عثمان ما يلي :

١ ـ العمل على رفع مستوى الاخلاق بين الناس .
٢ ـ محاربة الدجل والخرافات والعادات الدخيلة على الاسلام .
٣ ـ نشر العلم وتنشيط المعارف وتوسيع قاعدة المثقفين .
٤ ـ السعي لتوظيف العاطلين في الدوائر الحكومية والمؤسسات التجارية .

وكان النادي قد عمل على انشاء مدرسة ابتدائية في الشيخ عثمان تولى رئاستها الشيخ احمد محمد العبادي (*) الذي قاد نهضة اصلاحية في الشيخ عثمان ، وكان من الاصوات التي ارتفعت لمناهضة الاستعمار .

والى جانب تلك المدرسة التي ادت دورا لا يستهان به في تخريج اعداد لا باس بهم من المتعلمين ، عمل نادي الاصلاح على خلق جو من الجدل الفكري والحوار الثقافي من خلال الآراء الجريئة التي كان الاصنج والعبادي يطرحانها منتقدين فيها بعض علماء الدين التقليديين ، اذ ابرز محاسن الاسلام ودعا الى تخليصه من كل ما علق به من شوائب ومفاهيم خاطئة .

وقد ألف العبادي بهذا الخصوص كتابا سماه (هداية المريد الى سبيل الحق والتوحيد) وهي عبارة عن منظومة شعرية من نوع الشعر االتعليمي اراد فيها تصحيح بعض المفاهيم في العقيدة والتوحيد .

لقد تمكن نادي الاصلاح العربي في الشيخ عثمان من تحقيق بعض الانجازات اهمها :

١ ـ بنى مدرسة ابتدائية في الشيخ عثمان ، وهي التي أسندت ادارتها للشيخ العبادي .
٢ ـ ابرز محاسن الاسلام ودعا الى تخليصه من كل ما علق به من شوائب ومفاهيم خاطئة .
٣ ـ أرسل بعثات تعليمية الى الخارج للدراسة .
٤ ـ اتصل ببعض الزعماء العرب ، وسعى لديهم للحصول على الدعم والمساعدة وطلب التأييد في تحقيق اهداف النادي .

ومن المراسلات التي كان يبعثها الى زعماء العرب نعرض هذه الرسالة التي بعثها رئيس

(*) احمد محمد العبادي : ولد في أواخر القرن الثالث عشر الهجري اي في حدود ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) في مدينة اب من أبوين فقيرين نال قسطا من التعليم الابتدائي في مدينة إب ، بدأ عمله كنشاد في المجالس ثم كره هذا العمل كرها شديدا ، سافر الى عدة بلدان في طلب العلم ، منها افغانستان وبعض دول الخليج العربي ، تلقى تعليمه في افغانستان على يدي الشيخ احمد تقي الدين الافغاني ، مكث فيها تسع سنين ، درس فيها علوم اللغة والشريعة الى جانب الأدب والتاريخ . عمل مديرا للمدرسة المحسنية في لحج ، ثم انتقل الى الشيخ عثمان ، وعمل فيها اماما لمسجد زكريا (زكو) وترأس نادي الاصلاح العربي في الشيخ عثمان .

النادي احمد محمد سعيد الأصنج الى فضيلة السيد عبدالرحمن المهدي الزعيم السوداني المشهور (*) قال فيها :

«تحية واحتراما ، وبعد فاني ارفع الى فضيلتكم ان عدنا كما تعلمون الثغر الطبيعي لليمن كلها من اقصى العربية السعيدة غربا الى آخر حضرموت شرقا ، والأكثرية الساحقة من سكانها عرب مسلمون .

أبناء العرب في هذه الديار في ديجور حالك من الجهل والتعليم هنا على وجه العموم لا يسمن ولا يغني ، حيث يخرج الطالب من المدرسة الثانوية ولا يحسن العربية (وهي لغته) ولا يجيد الا الانجليزية (وهي اللغة الرسمية) .

وكل ما هنالك علوم سطحية لا تقوم بالحاجة ، ويكفي ان أقول انه لا يوجد في عدن كلها طبيب او مهندس او محام او الاستاذ في التربية والتعليم من أبناء العرب ، ولهذا فقد استحوذ على مرافق البلاد وخيراتها الأجانب ، وأصبح العربي فيها ليس الا جهولا يقاسي الآلام والجوع والفاقة .

ولهذا رأينا ان لا سبيل الى انتشال أبناء المسلمين من هذه الهوة السحيقة الا بالعلم وقد قبلت حكومة جلالة ملك العراق المعظم عددا من الطلاب يتلقون العلم في العراق على نفقتها مع المأكل والمشرب والمأوى ، كون الطلبة من الفقراء ، كما ارسلنا البعض الى الهند . وهانحن اليوم في مخابرة مع جلالة ملك مصر المعظم بهذا الصدد .

ولما كنتم فضيلتكم من زعماء المسلمين المعدودين ، ومن الذين اشتهروا بأعمال البر والاحسان ترانا نتقدم الى فضيلتكم بهذا الالتماس راجين من مكارم اخلاقكم بأن تفكروا فيما نقاسيه من الويلات وان تمدوا لنا المساعدة في انقاذ شباب المسلمين بأن تتكرموا بقبول عشرة من الطلبة من أبنائنا ليتلقوا علومهم العربية والانجليزية في غردون الكائنة بالخرطوم او في اي مدرسة او جامعة تختارونها فضيلتكم في السودان او في مصر مع المأكل والمشرب والمأوى . . وغير ذلك على نفقة فضيلتكم حتى تنقذوهم من براثن الجهل ، وتضيفوا بهذا العمل المبرور مكرمة جديدة على سجل اعمالكم الخالدة ، وان ترو فضيلتكم ان عشرة من الطلبة سيكونون عبئا ثقيلا فلا بأس ان يكون العدد انقص من ذلك .

ولنا وطيد الأمل ياصاحب الفضصيلة بأن تعيروا التماسنا هذا اهتمامكم لأن المشروع انساني وديني في آن واحد ، وان تتكرموا بالجواب الشافي ولا زلتم اهلا للفضائل .

وبالختام تفضلوا ياصاحب الفضيلة بقبول فائق الاحترام . » أ. هـ (٧)

كما قدم النادي مذكرة الى حاكم عدن حينذاك بتاريخ ١٥ اغسطس ١٩٤٠م اي بعد ثلاث سنوات من انفصال عدن عن تبعيتها للهند ، وقد وقعت تلك المذكرة من ١٧ شخصا من اعيان عدن تطالب بتحقيق عدد من الأمور منها :

١ ـ رفع مستوى التعليم في عدن لدرجة عالية تمكن طلابها من الاندماج في الجامعات لدراسة الطب والهندسة . . الخ .

٢ ـ ارسال الطلبة من عدن لطلب العلم في الخارج على نفقة الحكومة .

٣ ـ تعليم الكيمياء والعلوم للطلبة في عدن .

٤ ـ تعليم الطلبة الى مستوى يؤهلهم لطلب درجات عالية غير (المكرانة) اي الوظائف الكتابية .

(*) عبدالرحمن المهدي : (١٨٨٤-١٩٥٩م) زعيم ديني اسلامي وسياسي سوداني ، ابن المهدي الكبير زعيم الثورة السودانية ، رعا حزب الأمة مدة طويلة ، وتزعم الانصار ، وصار له نفوذ كبير في السودان حتى وفاته ، خلفه نجله الصادق المهدي .

٥ ـ انشاء مدرسة للصنائع والفنون .
٦ ـ انشاء كلية عدن .
٧ ـ تطوير مدرسة البنات بحيث يتعلمن التطريز والخياطة وترتيب المنزل والصحة . (٨)

وقد رد حاكم عدن على هذه الرسالة ، وحاول في رده ان يعطي مبررات واهية للتخلف الحاصل في البلد خاصة في مجال التعليم والثقافة والمجالات الأخرى .

وكان نادي الاصلاح يضع كل شهر برنامجا لتنظيم نشاطاته المختلفة ، وعلى وجه الخصوص النشاط الثقافي ، وقد كان هذا البرنامج ينشر في الصحف المحلية ليطلع عليه المواطنون ويشاركوا في هذا النشاط . وكنموذج على ذلك نعرض برنامج شهر اكتوبر ١٩٥٧م . المنشور في جريدة (العامل) في عددها الاول الصادر في ٢/ ١٠/ ١٩٥٧م .

● الجمعة : ٤/ ١٠/ ١٩٥٧م محاضرة للاستاذ عبدالله باذيب ، بعنوان (الأسس الصحيحة للاتحاد الوطني المنشود) (الدعوة عامة) .
● السبت : ٥/ ١٠/ ١٩٥٧م حفلة موسيقية للفنان احمد عبدالرحمن (للأعضاء فقط) .
● الاثنين : ٧/ ١٠/ ١٩٥٧م الاحتفال بالمولد النبوي الشريف . (الدعوة عامة) .
● الجمعة : ١٨/ ١٠/ ١٩٥٧م محاضرة للاستاذ عبده خليل سليمان بعنوان (موقف الحركة العمالية من التيارات السياسية) (الدعوة عامة) .
● الخميس : ٢٤/ ١٠/ ١٩٥٧م . عرض سينمائي للاطفال .
● الجمعة : ٢٥/ ١٠/ ١٩٥٧م الندوة الفكرية للاشبال .
● الاربعاء : ٣٠/ ١٠/ ١٩٥٧م محاضرة للاستاذ ادريس حنبله .

٤ ـ نادي الاصلاح العربي ـ في كريتر

في شهر يوليو ١٩٣٠م تأسس في مدينة كريتر نادي الاصلاح العربي برئاسة محمد علي لقمان ، وعضوية عدد من المثقفين امثال احمد ريحان فرحات ، وعمر عبدالرحمن بلجون ، وعبدالقادر محيرز ، واحمد محمد آل يعقوب ومحمد بن عقيل والشيخ الساسي ، والشيخ كامل عبدالله صلاح ، ومحمد احمد العولقي وآخرون (٩)

وكانت اهداف النادي كما يلي :
١ ـ العمل لرفع مستوى الاخلاق .
٢ ـ نشر العلم وتنشيط المعارف .
٣ ـ السعي لتوظيف الوطنيين في الادارات الحكومية والتجارية . (١٠)

انه من الواضح ان أهداف النادي لا تختلف كثيرا عن اهداف الناديين الآخرين في كل من التواهي والشيخ عثمان .

وقد ساهم هذا النادي مثل زميله مساهمة كبيرة في نشر الوعي والثقافة فأرسل بعثات تعليمية الى الخارج وطالب الحكومة باصلاح التعليم ، وسعى لتطوير الثقافة باقامته للمحاضرات والمناظرات والندوات وغيرها من الفاعليات الثقافية . ولكن نشاط النادي لم يستمر طويلا لأسباب كثيرة منها تفرق اعضائه وسفر بعضهم الى الخارج ، بمن فيهم رئيس النادي نفسه الذي سافر الى الهند للدراسة .

وعلى الرغم من ان عمر النادي كان قصيرا فانه استطاع ان يحقق في عمره القصير هذا عدة اشياء منها :

١ ـ ساهم في نشر الثقافة والوعي في صفوف المواطنين من خلال المحاضرات والقصائد والخطب التي كان اعضاء النادي يلقونها بين الحين والآخر ، او عند لقاءاتهم في المناسبات المختلفة .

٢ ـ ارسل عددا من البعثات التعليمية الى الخارج .

٣ ـ أجرى بعض المشاورات مع بعض الزعماء العرب والمسلمين وتبادل معهم الرسائل التي شرح فيها اوضاع عدن والعدنيين ، وما يعانونه من تخلف في المجالات المختلفة الى غير ذلك من الموضوعات .

ومن تلك الرسائل على سبيل المثال ما كتبه محمد علي لقمان رئيس النادي الى الملك غازي الأول (*) ملك العراق ، والتي طلب فيها منه ان يقبل عشرة طلبة من ابناء عدن ليلتحقوا في مدارس العراق ، وفي الحديث الذي نشره لقمان في فتاة الجزيرة ما يشير الى ان الملك غازي قد استجاب لطلبه . قال لقمان .

«كتبت كرئيس لنادي الاصلاح بعدن كتابا طويلا عام ١٩٣٦م الى جلالة الملك غازي الأول ملك العراق أشرح فيه حاجة العدنيين الى مثقفين ، وأطلب منه ان يقبل عشرة من ابناء عدن ليلتحقوا بمدارسها ، فما كان من جلالته الا ان أجاب هذا النداء .» (١١)

وفي العام ذاته ١٩٣٦م سافر لقمان الى الهند على رأس بعثة ، وسافرت من بعده بعثة أخرى الى العراق ثم توالت البعثات بعد ذلك الى العراق وسوريا والسودان . . وغيرها . .

يقول لقمان في هذا الصدد :

«. . وتسلمت الجواب وكنت قد أعددت العدة للسفر الى الهند ، فيممت (بمبي) يوم ٧ يوليو ١٩٣٦م على رأس بعثة ، سافرت بعدي الى العراق البعثة الثانية تطلب العلم وكانت هاتان البعثتان فاتحة الالطاف» . (١٢) .

وخلال السنوات التي غاب فيها لقمان للدراسة تضاءل نشاط النادي ، ولم يمارس نشاطه المعتاد ، وحل محله ناد جديد عرف باسم (نادي غازي الأول) عام ١٩٣٦م في كريتر اعترافا بالجميل الذي اسداه الملك غازي الأول لليمن حين منح النادي بعض الدعم لممارسة نشاطه الثقافي والاجتماعي الى جانب تقديمه بعض المنح الدراسية لعدد من الطلاب . وقد كان الناس في عدن من المعجبين بشخصية الملك غازي الأول خصوصا بعد اختلافه مع بريطانيا وانتصاره على الفتن الداخلية التي نشبت في عهده مثل (ثورة الاشوريين) .

وفي عام ١٩٣٩م عاد لقمان من الهند بعد أن أنهى دراسته الجامعية ، وبعودته عاد النشاط الثقافي من جديد بعد أن تضاءل في أثناء غيابه ، وفي ذلك يحدثنا ابنه علي محمد لقمان قائلا :

«في عام ١٩٣٩م عاد والدي من الهند محاميا وكنت سبقته الى عدن ، فرأيت حركة النوادي التي كنت ابصرها قد همدت ، وأن شباب النوادي الذين كانوا يرمون الى الاغراض قد تفرقوا ، وكانت عودة الوالد ، فاجتمع لفيف من الشباب في داره وقام مخيم أبي الطيب» (١٣) .

(*) الملك غازي الأول : (١٩١٢-١٩٣٩) احد أبناء فيصل بن الحسين وثاني الملوك في العراق ، درس في كلية هارو البريطانية وعاد الى العراق لكي يخلف أباه على العرش عند وفاته ، في ٩ سبتمبر ١٩٣٣م ونشبت خلال ولايته ثورة الأشوريين ، واشتدت الدسائس البريطانية ، فاستقطب عطف الشعب ومشاعره الوطنية ، توفي يوم ٤ ابريل ١٩٣٩م بحادث سيارة ، وانتشرت اشاعة تقول انه مات مقتولا في مؤامرة دبرها البريطانيون للتخلص منه ، والاتيان بخاله عبدالاله وصيا على العرش .

٥ ـ مخيم أبي الطيب ـ في كريتر:

في ١٦ مارس ١٩٣٩م اجتمع لفيف من الشباب المهتمين بالادب في دار محمد علي لقمان ، وقرروا تأسيس ناد ادبي ثقافي تحت رئاسة لقمان ، واتفقوا على تسمية هذا التجمع أو النادي بـ(مخيم أبي الطيب) نسبة الى أبي الطيب المتنبي ، لعلو مقامه في الادب العربي ، ودام اجتماع الاعضاء كل اسبوع ، حتى نشبت الحرب العالمية الثانية في شهر سبتمبر ١٩٣٩م ، فطرأ على المخيم ماطرأ على العالم من تغيير ، فتأجلت اجتماعاته وتفرق أعضاءه ، ولاسيما بعد اعلان الحرب ، حتى يوم ٢٢ فبراير ١٩٤١م حين أعيدت جلساته الاسبوعية من جديد وعاد اليه النشاط وأقبل عليه الادباء ليواصلوا لقاءاتهم.

وكان الغرض من المخيم عند تأسيسه مايلي :

١ ـ تشجيع اللغة العربية الفصحى ، ونشرها في البلاد والكتابة والتعلم بها.

٢ ـ تشجيع الادب العربي شعرا ونثرا.

٣ ـ حث الشباب على التعلم.

٤ ـ تشجيع روح البحث والتنقيب ، في إنشاء المحاضرات وايجاد روح تسامح بين الاعضاء في النقاش والجذل» . (١٣).

وكان عدد أعضاء المخيم عند تأسيسه ٢١ عضوا ، وكانوا يجتمعون أسبوعيا في المساء في منزل محمد علي لقمان ، ويتحدثون في مواضيع أدبية وثقافية واجتماعية مختلفة.

وكان من أهم شروط العضوية في هذا المخيم أن يشترك العضو في القاء المحاضرات ولو مرة كل شهر ، وأن تستغرق محاضرته مالايقل عن عشرين دقيقة ، وكان لايقبل أي عضو لايشترك في القاء المحاضرات . (١٤).

وللحقيقة التاريخية نستطيع القول ان مخيم أبي الطيب كان من انشط النوادي الأدبية اليمنية ، اذ كانت جلساته متنظمة ولقاءاته مستمرة ، وكانت تقام فيه المحاضرات والمناظرات والندوات أسبوعيا ، وكان نشاطه يتزايد في ليالي شهر رمضان المبارك من كل عام ، اذ كان أعضاؤه يتناوبون القاء المحاضرات والقصائد أويديرون فيها بينهم ندوات فكرية مختلفة..

واستطاع الزام أعضائه بضرورة المشاركة المستمرة في احياء المناسبات المختلفة ، وسخر صحيفة (فتاة الجزيرة) لنشر اخبار نشاطاته والتعليق عليها في صدر صفحاتها ، لأن رئيس تحريرها هو رئيس المخيم ، فكان لتلك المقالات والتعليقات التي تنشرها الجريدة أثرها في اذكاء الحماس في نفوس أعضاء المخيم ، وخلق حالة من التنافس فيها بينهم . ومن الاخبار التي نشرتها (فتاة الجزيرة) عن نشاط المخيك نذكر على سبيل المثال الخبر التالي:

«. . . وقرر الاعضاء اقامة مناظرة بين الاعضاء في المهن الحرة والوظائف ، فأخذ الاديب يوسف حسن السعيدي والاديب أحمد حامد الجوهري جانب الوظائف والاديب محمود علي لقمان وعيدروس الحامد جانب المهن الحرة.

وأقيمت المحاضرة في ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢م تحت رئاسة الشيخ علي ناصر خر يج الازهر الشريف ، وقد تفضل فزار المخيم (الكابتن لينل) ضابط الأمن المدني ومساعده الفاضل سمير شهادة الفلسطيني الذي وصل أخيرا.

ثم القى الاديب محمود لقمان كلمة عن المهن الحرة وأثبت فيها مجال المغامرة والربح وإفساحها مجال الطريق لرجال كتشرشل يصبحون أبطال حرية الدنيا واستقلال الشعوب ، وقام الاديب الفكة يوسف السعيدي يبرهن بفلسفته المعهودة على أن الحياة هي الطمأنينة ثم حمل على ذوي المهن الحرة وأنانيتهم ، فوثب السيد عيدروس الحامد يناضل عن المهن الحرة ، فقام الجوهري يدافع عن الوظائف وسرمعاش التقاعد فيها ، ثم أخذ الاعضاء في الحوار والنقاش ، وانقسموا الى معسكرين قويين ، وشرع عبدالرحيم لقمان يهدم الجانبين ، والسيد حامدالصافي

وعبدالرزاق فكري بحرسان المهن الحرة بقنابل كلامية ، ومحمود لقمان يصيح حتى بح صوته ، ويوسف السعيدي يتفلسف في فلسفة الحياة هي الطمأنينة . .
. . وبعد أخذ ورد أخذ الرئيس الاصوات فنالت المهن الحرة ستة أصوات ضد خمسة»(١٥).

ومن هذا الخبر نستدل على بعض القضايا التي كانت مثار اهتمام المثقفين في تلك الفترة ، وعلى وجه الخصوص القضايا الاجتماعية ، ذلك أن طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بداية الاربعينات في عدن كانت متباينة ومستوى دخول الافراد متفاوت بتفاوت المهن او الحرف التي يشغلونها ، فهناك المهن الحرة التي يمارسها بعض الناس كالتجارة أو الخدمات ، والى جنبها بعض الوظائف الحكومية المحدودة ، غير أن فرص العمل لم تكن متاحة الا لقلة قليلة من الناس وهم الذين تهيأت لهم الظروف للحصول على قدر معين من التعليم أما الغالبية العظمى من الناس فظلوا يعيشون حالة الفقر والعوز بسبب البطالة.

ان المناظرة حول المفاضلة بين المهن الحرة والوظائف الحكومية لم تكن سوى نموذج لما يشغل بال بعض المثقفين من البرجوازية الصغيرة الذين لم يثر اهتمامهم معاناة الكادحين وبقاء الغالبية العظمى من الناس يتضورون جوعا بسبب عدم حصولهم على عمل من أي نوع.

الى جانب القضايا الاجتماعية التي كان أعضاء المخيم يناقشونها بين الحين والآخر ، فإنهم يتعرضون أحيانا لمناقشة بعض القضايا التاريخية والادبية ومن ذلك على سبيل المثال مانشرته (فتاة الجزيرة) في عددها رقم ١٠٦ الصادر في الأول من نوفمبر عام ١٩٤٢م (ص٤) حول ندوة نظمت بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية قالت فيه :

«وفي مساء ٨محرم ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) قامت عكاظ من جديد في قاعة الاستاذ لقمان ، واحتشد المدعوون لحفلة رأس السنة الهجرية التي أقامها مخيم أبي الطيب فتبارى الكتاب والشعراء والقوا من بنات أفكارهم الخالدات فتحدث العضو عيدروس (*) [الحامد] عن العرب قبل الهجرة ، والعضو زين [العيدروس] عن العلوم الطبيعية عند العرب ، والعضو يوسف السعيدي عن الفتوحات في عهد بني أمية ، والعضو أحمد حامد الجوهري عن الشعر في خدمة الاسلام ، والعضو علي لقمان عن اليتيم (قصيدة) ، والعضو حامد خليفة عن الهجرة من الوجهة الفنية ، والعضو حامد الصافي عن العام الهجري ، والعضو محمود لقمان عن اثر الفتح الاسلامي في العقلية العربية والعضو محمد بايعشوت قصيدة . . . الخ»(١٦).

ومن النموذجين السابقين لما كانت تنشره صحيفة فتاة الجزيرة حول نشاط المخيم نستطيع ان نتعرف علي اسماء عدد من الشخصيات الأدبية التي كانت تشارك في نشاط المخيم ، الى جانب معرفتنا لبعض القضايا التي كانت مثار اهتمامهم .

ولم ينحصر نشاط مخيم ابي الطيب علي مجال القاء الخطب وتقديم المحاضرات والمناظرات وتنظيم الندوات الفكرية والاجتماعية والدينية واقامة الحفلات في المناسبات المختلفة ، ولكن نشاط المخيم تجاوز ذلك وتوسع وذخل مجال النشر ، فأصدر بعض الكتب الأدبية والاجتماعية وغيرها .

ومن الكتب التي أصدرها المخيم علي سبيل المثال نذكر كتاب (بأقلام المخيم) الصادر في ١٤ يوليو عام ١٩٤٢م الموافق ٣٠ جمادي الثانية ١٣٦١ه . ويحوي ملخصات لبعض المحاضرات التي ألقاها بعض أعضاء المخيم أمام جمهور الحاضرين الذين يترددون علي المخيم .

لقد صدر الكتاب عن دار فتاة الجزيرة بعدن ويشتمل علي عشرين موضوعاء متفرقاء ، يتناول عدداء من القضايا التي كانت مثار اهتمام المثقفين حينذاك مثل تعدد الزوجات ، وتدني مستوى

---

* عيدروس الحامد : كان من أوائل الذين أدخلوا شركة للاسطوانات الى عدن ، ثم جاءت من بعده عائلة مستر حمود فأدخلت آلة لطبع الاسطوانات عرفت باسم (جعفرفون) وتعاقبت بعد ذلك شركات الاسطوانات مثل (اسطوانة التاج العدني) و(صالح فون) و(كايافون) . . وغيرها.

التعليم ، والشباب ودورة في المجتمع ، والقات واضرارة ، والخمر ونتاءجة ، والمعلم ومكانته ، والحياة الزوجية ومشاكلها ، إلي جانب عدد من الموضوعات الأدبية والمقالات العلمية والقصص القصيرة .

وكتاب (بأقلام المخيم) يكتسب أهمية من حيث كونه أول كتاب يصدره المخيم الى جانب اشتماله على موضوعات ذات قيمة تاريخية لأنها تعطي القارىء فكرة شاملة عما كان يدور داخل مخيم أبي الطيب من مناقشات وحوارات وماكان يشغل أذهان المثقفين في تلك الفترة واسلوب معالجتهم للقضايا المثارة .

٦ ـ كرمة أبي العلاء ـ التواهي :

في يوم السبت ٢٤ يناير ١٩٤٢م افتتح في نادي الاتحاد الاغبري حلقة أدبية سميت (كرمة أبي العلاء) تيمنا بالشاعر العربي المشهور أبي العلاء المعري.

وكان الافتتاح في مهرجان عال دعى اليه أعضاء مخيم أبي الطيب ونادي الاصلاح وعدد من المثقفين والمواطنين ، لاحياء ذكرى الفيلسوف العربي الشاعر المبدع أبي العلاء المعري ، وكانت حفلة الافتتاح شيقة ضمت الادباء وبعض المثقفين ، وجرت فيها مراسيم التعارف فيما بينهم ، وكان راعي الحفل قائد محمد الاغبري.

وقد القيت في الحفل عدد من القصائد المعبرة عن المناسبة منها قصيدة لعيدروس الحامد قال فيها :

إيه كرمة أبي العلاء
حق أن نسهن الرجاء
أيه ياغرسة المعار
ف والفضل والندى
شمروا أيها الشباب
واطلبوا المجد والعلاء
خلدوا .. خلدوا الأولى
واقتضوا اثمر الورى
واستنيروا بهديهم
واجعلوا نصحهم رداء (١٧)

ومن حينها صارت كرمة أبي العلاء ملتقى آدبيا للادباء والمثقفين الذين كانوا يترددون عليها بين الحين والآخر ، وفي المناسبات المختلفة ، فقد كانت تنظم الحلقات الثقافية والندوات الأدبية ، وتلقى فيها المحاضرات التي كان يحضرها بعض الشباب والمثقفين والطلاب .

ومن الاعضاء المؤسسين لكرمة أبي العلاء قائد محمد غالب الاغبري ، الذي تولى رئاستها ، وعبد الكريم عمر (العمراوي) وعبدالغني صالح ، والشيخ محمد ناجي ، وسعيد عبدالخالق ، وأحمد عبدالرحمن ، وحسن عبدالخالق ، وعبدالكريم عبدالقادر وعلي أحمد شاهر .. وغيرهم .

٧ ـ حلقة شوقي ـ التواهي :

في يوم الجمعة ٣ أبريل ١٩٤٢م أسس نادي الاصلاح العربي في التواهي حلقة أدبية سميت (حلقة شوقي) تيمنا بالشاعر العربي أحمد شوقي ، وكانت هذه الحلقة احدى ثمار نادي الاصلاح العربي بالتواهي ، وكانت على غرار مخيم أبي الطيب وكرمة أبي العلاء . وشكلت لها لجان مشرفة تحملت على عاتقها مسؤولية ادارة النشاط الادبي والثقافي داخل النادي وبين صفوف الاعضاء،

وشجعت على ازدهار الادب ودفعت الادباء لاقامة المحاضرات وإحياء الامسيات الادبية وحثهم على القاء قصائدهم وخطبهم داخل النادي وخارجه وكانت تستضيف بين الحين والآخر الادباء اليمنيين ليلقوا بعضا من انتاجهم الادبي شعرا ونثرا ، كما كانت تقيم حفلات التكريم لبعض المبدعين وعملت على تشجيع المواهب الادبية الشابة .

وكمثال على ذلك الحفل الذي أقامته لتكريم كل من محمد عبده غانم وأحمد حامد الجوهري بمناسبة تعيين الاول مساعد ضابط معارف وحصوله على الجائزة الاولى في المسابقة الشعرية التي أقامتها هيئة الاذاعة البريطانية ، وحصول الثاني على الجائزة الثانية في المسابقة ذاتها . وفي هذا الحفل تباري الشعراء لاظهار مواهبهم وتفجير قرائحهم ، والقوا عدداً من القصائد .

لقد ساهمت حلقة شوقي مع مخيم أبي الطيب وكرمة أبي العلاء في ابراز عدد من المواهب الادبية ، وخلق حياة ثقافية نشيطة تزخر بالوان من الابداعات الادبية المختلفة .

٨ ـ مكتب العلاقات العامة والنشر في عدن :

في اثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م ـ ١٩٤٥م) انشأت السلطات البريطانية في عدن مكتبا للعلاقات العامة والنشر تحت اشراف وزارة النشر في لندن ، وكان الهدف من انشائه تقديم الاخبار ونشرها بين الناس وخاصة اخبار الحرب العالمية الثانية ، وإطلاع الناس في عدن على تطورات الحرب بهدف تعبئة وتوجيه الرأي العام في اليمن للوقوف موقف المؤيد والمساند لبريطانيا ، وكان مكتب الاستعلامات المركزي في لندن هو الذي يزود مكب النشر في عدن بالمعلومات المختلفة حتى سنة ١٩٤٨م ثم تحول الى مصلحة حكومية تابعة لحكومة عدن يدير شئونها ضابط بريطاني .

وعن طريق مكتب النشر في عدن استطاع الناس ان يتتبعوا اخبار الحرب وتطوراتها ، وتمكنوا من قراءة الصحف والمجلات والكتب والكتيبات والنشرات التي كان يوزعها عليهم ، وعن طريقة كانت الصحافة المحلية تحصل على مختلف الاخبار المحلية والعالمية .

ولقد كان مكتب النشر بعدن همزة وصل بين الحكومة البريطانية والصحافة المحلية ، اذ يترجم الى الانجليزية افتتاحيات الصحافة المحلية وبعض المقالات لاطلاع المسئولين الانكليز على محتوياتها ومضمونها كما كان يرسم السياسة العامة لمعظم الصحف ، وهو الذي كان يراقبها ويصدر التراخيص بالاصدار او يعطي اوامر الاغلاق او التجميد او التوقف للصحف .

وفي المبنى الذي وجد فيه مكتب النشر تأسست مكتبة احتوت على بعض المجلات والصحف العربية والانجليزية وبعض الكتب ومعظمها تعني بالشئون البريطانية وتمجيد بريطانيا وتشيد بالشعب البريطاني وبعاداته وتقاليده وحضارته وثقافته وأسلوب معيشته . . الخ كما ضمت المكتبة عددا من الكتب والصحف والمجلات التي تصدر في بعض المستعمرات البريطانية او في دول «الكومنولث» .

وقد اسهم مكتب النشر في عدن بالعديد من النشاطات الثقافية من ضمنها عرض الافلام السينمائية في اوقات معينة كل ليلة ، وكانت معظم الافلام التي تعرض تشيد بالحياة البريطانية وتعرف الناس بالمجتمع البريطاني كما كانت تعرض بعض الافلام العلمية وأفلام الاطفال . . وغيرها .

ولما كانت عدن لاتمتلك اذاعة فقد كانت الاخبار تصلها من مكتب النشر الذي يبثها بواسطة مكبرات الصوت والاسلاك الارضية في كل من التواهي والمعلا وحجيف وكريتر والشيخ عثمان .

وقد ساهمت مكبرات الصوت التي كانت تعلق على واجهات مراكز الشرطة في توعية الناس في كثير من القضايا ، وقد برز دورها اكثر عندما تم تحويل العملة في عدن من الروبية الهندية الى شلن شرق افريقا ، كما كانت مكبرات الصوت أيضا تنقل نشرات الاخبار التي تبثها هيئة الاذاعة البريطانية من لندن باللغة العربية . .

وقد توسع مكتب النشر في عدن فيما بعد وامتد نشاطه ليصل الى بعض مناطق الجنوب اليمني ، إذ افتتح عدة مكاتب في كل من لحج والمكلا وسيئون وتريم وشبام وزود هذه المكاتب بالصحف والمجلات والنشرات من المكتب الرئيسي في عدن .

وقبل انشاء محطة عدن للاذاعة كان مكتب النشر هو الوسيلة الرئيسية للحصول على المعلومات ، وخصوصا اخبار الحرب وتطوراتها ونتائجها ومخاطرها . . . الخ

وقد انبثق عن مكتب النشر بعدن مكتب اخر يعني بشئون النشر اسمه (مجلس عدن الثقافي) الذي صدرت عنه عدد من الكتب المحلية لمؤلفين يمنيين مثل [الحكم الذاتي] لعلي محمد لقمان . . و [يوميات مبرشت] لعبدالله الطيب ارسلان . . وغيرهما .

٩ـ المجلس الثقافي البريطاني ـ في عدن

عندما رأت سلطات الادارة البريطانية في عدن اقبال الناس على الثقافة واتجاههم نحو التزود بالمعارف المختلفة ، وحماسهم في انشاء العديد من المراكز الثقافية والنوادي الادبية والجمعيات المختلفة خشيت ان تتسرب الى صفوفهم بعض الافكار التحررية او التقدمية من خلال التجمعات الثقافية التي بدأت تظهر اثارها في بعض النوادي والمراكز الثقافية التي كان الناس يترددون عليها ويقرؤون مايجدون فيها من كتب وصحف ومجلات ، او يلتقون ببعض المفكرين او رجال الادب والثقافة ويستمعون اليهم ويحاورنهم وتخوفا من ذلك كله اقدمت على فتح مركز ثقافي بريطاني يخضع لاشراف بعض ضباطها اسمته «المجلس البريطاني» يؤدي عمله بوساطة معهدين بريطانيين احدهما خاص بالرجال والاخر خاص بالنساء وذلك في حوالي عام ١٩٤٣م .

لقد كانت السلطات البريطانية تستهدف من افتتاح هذا المركز الثقافي نشر وشرح السياسة الاستعمارية وفي احد الكتيبات الصادرة عن المجلس البريطاني عام ١٩٤٩م نجد بيانا يوضح اهدافه نورد هنا بعض ماجاء في مقدمته بهذا الخصوص .

«ان عمل المجلس البريطاني في عدن هو ان يسعى لنشر وشرح الثقافة البريطانية بواسطة تهيئة الفرص لاولئك الذين يمكنهم ان يجدوا رغبة في الاجتماع للدراسة والابحاث الرسمية وغير الرسمية والتمثيل المسرحي وقراءة المسرحيات والموسيقى والافلام السينمائية والمعارض التي تبين الاعمال الفنية البريطانية . . وغيرها . »(١٨) .

ومن الواضح أن الهدف الرئيسي من تاسيس وانشاء (المجلس البريطاني) في عدن هو لغرض نشر وتوضيح السياسة الاستعمارية البريطانية ، وتحقيقا لهذه الغاية مارس المجلس جملة من النشاطات الثقافية منها :

١ ـ تقديم المحاضرات وعرض الافلام السينمائية التي تؤدي الى البحث والنقاش والاسئلة عن صور الحياة في بريطانيا .
٢ ـ تمكين وتشجيع الساكنين في عدن من مختلف الطوائف على الاجتماع والمساهمة في حلقات قراءة المسرحيات والقصص وفرق التحدث بالعربية والانجليزية وفرق البحث وغيرها .
٣ ـ تهيئة التسهيلات الرياضية التي بها يمكن فهم النشاط الرياضي في بريطانيا .
٤ ـ تهيئة مكتبة وعدد من الصحف المختاره .

وقد استطاع المجلس البريطاني من خلال معهديه أن يستقطب عددا من الشباب ، ويؤثر في ثقافتهم ويربطهم بثقافته ، حتى تجمع في المعهد عدد كاف من الشباب لتكوين جمعية ادبية هي (جمعية الادب والمناظرات).

١٠ ـ جمعية الأدب والمناظرات في عدن :

في مساء يوم السبت ٢٧ نوفمبر ١٩٤٣م اجتمع في مقر المعهد البريطاني في عدن لفيف من شباب المعهد ، حيث استقر رأيهم بعد مداولات ومناقشات على تأسيس جمعية من أعضاء المعهد من مختلف الجنسيات ، تسمى (جمعية الادب والمناظرات) تضم لفيفا من أبناء الطوائف المختلفة ، فكان من جراء ذلك ان التقى فيها العربي الى جانب الهندي والانجليزي . . أو غيرهما ، لأن من شروط العضوية في الجمعية إجادة اللغة الانجليزية قراءة وكتابة وحديثا.

وكانت اجتماعات الجمعية تعقد أسبوعيا ، وفي كل اجتماع يلقي أحد الاعضاء حديثا باللغة الانجليزية أو باللغة العربية ، على شرط موافقة ادارة المعهد على موضوع الحديث مسبقا ، من الاعضاء المؤسسين للجمعية محمد حسن خليفة وعبدالقوي حسن مكاوي ، فقد كان الأول رئيسا والثاني سكرتيرا (١٩).

ومن الواضح أن اشتراط موافقة ادارة المعهد على أي كلمة تلقى يدل على أن هناك قيودا تفرض على نشاط الجمعية اذ كانت تتخوف من أن يستغل البعض الجمعية لممارسة النشاط السياسي المعادي لحكومة الاحتلال البريطاني في عدن ، أو أي نشاط أخر لايتمشى والسياسة الاستعمارية التي رسمتها بريطانيا.

وقد أعطت سلطات الاحتلال لهذه الجمعية بعض الدعم والمساعدة لتتمكن من استقطاب أعضاء جدد من الطلاب والمثقفين اليمنيين حتى لاينخرطوا في التجمعات في بقية النوادي والمراكز الثقافية الأخرى ، ويتحولون مع الايام الى قوة سياسية ضاغطة.

وحتى تستطيع الجمعية القيام بهذا الدور المناط بها انبثقت عنها جمعية اخرى لمساعدة الطلبة الفقراء في يوم الخميس ١٧ أكتوبر ١٩٤٢ هي (جمعية أولاد الفقراء) تولى قيادتها عدد من المثقفين منهم الشيخ عبدالقادر محيرز ومحسن حسن خليفة وعلي عثمان سلطان ، وحمزة لقمان ، وعلي عبدالله باصهي ، وحامد الصافي ، وعلي محمد لقمان ، وعيدروس الحامد ، وعبدالرزاق فكري وعبدالرحمن جرجرة . وغيرهم.

١١ ـ مكتبة (ليك) مسواط:

افتتح المعهد البريطاني التابع للمجلس البريطاني في عدن مكتبة عامة ضمت عددا كبيرا من الكتب باللغة العربية واللغة الانجليزية ، لينتفع بها الاعضاء ، وكانت هذه المكتبة تنمو باستمرار حتى صارت مكتبة ضخمة ، فكثر مريدوها وزاد عدد القراء المنتفعين بها ، وكانت هذه المكتبة هي النواة الاولى لمكتبة كبيرة هي مكتبة (ليك) نسبة الى (الكولونيل موريس ليك) (سي .إم .جي) أحد البريطانيين الذين عملوا في المجلس البريطاني.

ثم انتقلت المكتبة فيما بعد الى بلدية عدن لتصبح مكتبة عامة للجمهور ، وتحول اسمها الى (مكتبة مسواط) نسبة الى المرحوم محمد سعيد مسواط ، أحد التربويين ، ومن مؤسسي الحركة النقابية اليمنية ومن كتاب القصة القصيرة البارزين.

وقد اتاحت هذه المكتبة فرصة القراءة للكثيرين من المثقفين ، وبفضلها اطلعوا على كل جديد في عالم الفكر والادب والفنون ، وكان لها نظام خاص للاستعارة يسهل على المرء أخذ الكتاب الذي يحتاجه الى بيته ، كما احتوت على قاعة للقراءة الداخلية توجد فيها

الصحف والمجلات المختلفة باللغتين الانجليزية والعربية الى جانب الكتب والنشرات والمعاجم المختلفة.

وقد ظلت هذه المكتبة تخدم الثقافة في عدن حتى عام ١٩٨١م فاثرت الحياة الثقافية والادبية ، ثم انتقلت محتوياتها من الكتب الى المكتبة الوطنية الجديدة المعروفة بمكتبة باذيب.

وكان يتبع هذه المكتبة سيارة متنقلة بين مناطق مختلفة من المستعمرة تحوي عددا من الكتب لتسهيل عملية الاستعادة لسكان
الاحياء البعيدة عن موقع المكتبة ، ولها برنامج خاص للتنقل بين كل من الخساف والتواهي والمعلا في مواعيد محددة اسبوعيا.

١٢ - نادي يعرب بن قحطان في الشيخ عثمان:

في يوم الاحد ١٩٤٣/٧/٢٤م تأسس في منزل الشيخ علي ناصر الازهري في الشيخ عثمان ناد أدبي عرف باسم (نادي يعرب بن قحطان) نسبة الى يعرب بن قحطان * جد العرب . وقد حضر حفل الافتتاح عدد من الادباء والمثقفين وفي هذا النادي عقدت الندوات الفكرية والمحاضرات الأدبية وألقيت فيه القصائد والمساجلات الشعرية خوغيرها.

ومن المناظرات الشهيرةالتي اقيمت فيه مناظرةآجريت بين عبدالمجيد الاصنج وعلي ناصر الازهري موضوعهاأيهماأجدى صلاح الرعية أم صلاح الراعي؟

«وكان رأي الشيخ علي ناصر ان صلاح الراعي أجدى من صلاح الرعية ، بينما كان رأي الاصنج أن صلاح الرعية أجدى ، وانقسم الحاضرون بين مؤيد لهذا وذاك ، وكان كل من المتناظرين يدلي بحجته وبراهينه أمام الحاضرين الذين لم يعهدوا مثل تلك المناظرات من قبل» (٢٠).

وقد أطلق على دار الشيخ علي ناصر (نادي يعرب بن قحطان) وكانت تمارس فيه عدد من النشاطات الثقافية والحوارات الفكرية الى أن مات الشيخ علي ناصر.

١٣ - نادي الشباب الثقافي في الشيخ عثمان:

في يوم الأحد ٢١ ديسمبر ١٩٤٧م أقيم حفل الافتتاح الرسمي لنادي الشباب الثقافي ، في الشيخ عثمان ، بدار أحمد طالب ، وكان عدد أعضائه عند تأسيسه حوالي أربعين عضوا معظمهم من الشباب ، ولعل هذا ماكان يميزه عن سائر النوادي الاخرى ، التي كان معظم أعضائها من الاعيان والشيوخ وكبار موظفي الحكومة.

وكان نادي الشباب الثقافي يقود الحركة الثقافية في الشيخ عثمان ، من خلال اقامته للمحاضرات والمناظرات واحيائه الندوات والامسيات الشعرية والادبية المختلفة ، وتمكن من نشر الوعي وتطوير المعارف عبر المسابقات الفكرية والادبية التي كان ينظمها بين الحين والآخر.

وقد سعى لتأسيس مكتبة داخلية في مقره ، ليرتادها الاعضاء بين الحين والآخر ، ويقرأوا مافيها من كتب ونشرات وصحف مختلفة.

---

* يعرب بن قحطان : هو ابن قحطان رأس قبائل اليمن العربية الذي تنتسب اليه قبائل حمير وكهلان اليمنيتان ، وكانوا يطلقون عليهم العرب العاربة ، وهم أصل العرب ، وكانواحضرافي الاغلب ، ومجتمعاتهم زراعية وتجارية ، تقوم على الرق المجتلب ، ونهضت لهم دول ذات شأن في عهود مبكرة من التاريخ لوجودهم على الطريق التجارية بين الهند وشمال الجزيرة العربية ، ومن دولهم (سبأ) التي ظهرت في القرن العاشر قبل الميلاد ، (وسبأ وذي ريدان) التي ظهرت في القرن الاول الميلادي ، وتفرع من حمير دولة التبابعة ، التي تعرضت للانحطاط بعد تحول طرق التجارة عن اليمن ، وسقطت دولتهم على أيدي الاحباش في القرن السادس الميلادي . وهي الدولة التي عرفت في النقوش المسندية بـ«سبأ وذي ريدان وحضرموت وقتبان والاعراب في الجبال وتهامة».

وفيه ظهرت اولى تباشير الدعوة القومية ، وانتشرت بين أعضائه افكار حركة القومين العرب وقام بعض أعضائه في المراحل اللاحقة من تطور الوعي السياسي والفكري ، قاموا بتشكيل أولى الخلايا السرية للجبهة القومية التي قاد الكفاح المسلح في الجنوب حتى تحقق النصر والاستقلال في ٣٠ نوفمبر ٦٧م.

كما أنشأت حركت القوميين العرب عدة فروع للنادي في كل من تعز والمكلا وسيؤن .

١٤ـ رابطة الجامعيين العدنيين :

في عام١٩٤٧كان قدتخرج من بعض الجامعات عدد من شباب عدن الذين تهيأت لهم الفرص ، للدراسة في الجامعات العربية أو الأجنبية ، من أمثال : محمد عبده غانم ، وإبراهيم روبلة ، وعبدالرحمن جرجرة ، وغيرهم .

وفي إحدى اللقاءات صادف أن معظم الموجودينهم من الجامعيين ، فظهرت فكرة تأسيس رابطة للجامعيين في عدن ، وتم تشكيل أول مجلس إداري لها في يوم الخميس ٣ إبريل عام ١٩٤٨م . من الآتية أسمائهم :

١ـ محمد عبده غانم ـ رئيسا .
٢ ـ ابراهيم روبله ـ سكرتيرا .
٣ـ عبدالرحمن جرجرة ـ أمينا للمالية .
٤ـ محسن خليفة ـ عضوا .
٥ـ علي محمد الشاذلي ـ عضوا .

وقد قامت الهيئة التأسيسية بإعداد برنامج للرابطة الذي حددت فيه أهدافها . ونشرته جريدة (فتاة الجزيرة) في عددها رقم ٤٢٤ ـ الصادرة بتاريخ ٦ يونيو عام ١٩٤٨م . ص٣

وكانت أهداف الرابطة كما يلي :

١ـ التظافر على أداء رسالة العلم والفكر .
٢ـ بث روح التضامن بين الأعضاء والعمل على رفع مستواهم أدبيا واجتماعيا .
٣ـ محاولة رفع مستوى الشعب الثقافي عامة .

ومن وسائل الرابطة في تحقيق تلك الأهداف :

١ ـ القـاء المحـاضرات ، واعـداد البحـوث الدورية ، وتقديم المناظرات والندوات وإصدار النشرات العلمية .
٢ـ دعوة من توافق عليهم الرابطة لالقاء بعض المحاضرات ومبادلة الرأي .
٣ـ إقامة الحفلات الاجتماعية .... الخ .

وقد ظهرت دعوة في الصحف لتوسيع الرابطة لتشمل جميع الخريجين بمن فيهم خريجو المعاهد المختلفة .

١٥ـ حلقة الملاح التائه في الشيخ عثمان :

عندما توسع النشاط الثقافي في نادي الشباب الثقافي في الشيخ عثمان ، ونظرا لوجود مكتبة في مقره ، فقد وجد بين صفوف أعضاء النادي بعض الذين لديهم اهتمامات بكتابة القصة والشعر والمسرحية ، وغيرها من الأعمال الابداعية ، وكان لابد من تنظيم لقاءات دورية منظمة بين هؤلاء المبدعين وتوسيع مجالات اهتماماتهم

وقراءاتهم ، فقد ظهرت الحاجة لقيام حلقه أدبية تابعة للنادي ، تكون على غرار (مخيم أبي الطيب) و(حلقة شوقي) و (كرمة أبي العلاء) ، و أطلق علي هذه الحلقة اسم (حلقة الملاح التائه)تيمنابالشاعر العربي/ علي محمود طه ، صاحب ديوان (الملاح التائه) . ويبدو أن الأدباء في تلك الحالة كانوا من المعجبين به .

وقد ظلت حلقة الملاح التائه تنشط بين الشباب نشاطا ملحوظا ، تنظم اللقاءات الدورية بين المبدعين وتهي لهم فرص اللقاء بجمهور القراء ، وكانت تجرى المباريات الشعرية والمداولات الثقافية بين الحين والآخر ويتزايد ذلك في شهر رمضان المبارك ، غير أن خلافا شب بين أعضاء حلقة الملاح التائه ، ونادي الشباب الثقافي أسفر عن عملية إنشقاق في الحلقة ، وخروج عدد من الأدباء منها ليشكلوا تجمعا أدبيا جديدا هو (نادي الأدب والفن) .

١٦- نادي الأدب والفن في الشيخ عثمان :

تعمقت هوة الخلافات بين بعض أعضاء حلقة الملاح (التائه) التابعة لنادي الشباب الثقافي ، والتي انعكست آثارها على صفحات الجرائد والصحف ، حول كثير من المسائل الثقافية والاتجاهات الأدبية المعاصرة ، فانشق بعض الأدباء عن الحلقة ، وشكلوا (نادي الأدب والفن) الذي اتخذ من مسجد العيدروس في الشيخ عثمان مقرا له ، وكان أبرز أعضاء هذا التجمع الأدبي هم : عبدالله فاضل فارع ، عبدالرحيم الأهدل ، محمد سعيد جرادة ، وعبده سعيد الصوفي وغيرهم .

١٧- نادي الشباب الأدبي في كريتر :

في شهر رمضان المبارك عام ١٣٧١هـ (١٩٥١م) ، تأسس في مدينة كريتر ناد أدبي عرف باسم (نادي الشباب الأدبي) ، ومن أهم أغراض تأسيسه مايلي :

١- نشر الثقافة على العموم وبين أعضائه على وجه الخصوص ، ورفع مستواهم الأدبي وتشجيع الأعضاء القادرين ليتقدموا لاحراز شهادات تؤهلهم لدخول الجامعات التى كانت موصدة في وجوههم .

٢- التعاون الصادق والمتين مع الجمعيات والنوادي في الأعمال التى تعود على البلاد بالنفع والفائدة .

ومن المهام التى أنجزها النادي مايلي :

أ - فتح صفوف ليلية لتدريس التلاميذ الضعاف في دروسهم لمساعدتهم في استذكار دروسهم خصوصا التلاميذ الفقراء .

ب - إنشاء فرقة تمثيلية تابعة له ، تعنى بتمثيل بعض المسرحيات الاجتماعية والتاريخية . . . الخ .

ج - نظم عددا من المحاضرات في عدد من الموضوعات الثقافية والاجتماعية والأدبية . . . الخ .

وفي إحدى المنشورات الصادرة عن النادي عام ١٩٥١م نجد خبرا مفاده أن النادي قد نظم محاضرة ألقاها الأستاذ/ علي طريح شرف عن الصحافة ، وأخرى عن فن القصة ألقاها حامدعبدالله خليفة ، كما يفيد المنشور ذاته إلى عزمه عن إقامة مناظرة دينية بين بعض العلماء .

وكانت أول هيئة إدارية للنادي مكونة من أحد عشر عضوا منهم الأستاذ/ حسين سالم باصديق رئيساللنادي ، ومحمد عبدالباري نائباله ، وعلي بن علي لقمان سكرتيرا . . واخرون .

وفي حديث شخصي مع الأستاذ/ حسين باصديق بتاريخ ١٩٨٣/٨/٤م ، أخبرني بأن

فكرة تأسيس النادي ظهرت في مبر ز عائض سالمين باسنيد في كريتر والذي كان يضم عددا من خيرة المثقفين آنذاك من أمثال عبدالله وعلي باذيب وعائض سالمين ، وحسين محمد صالح (دنمار) ولطفي جعفر أمان وعبدالله محيرز وحسين باصديق وعلي بانافع وغيرهم .

وقد ظهرت في هذا المبر ز فكرتان الأولى إخراج مجلة أدبية هي (المستقبل) التى صدرت عام ١٩٤٩م ، والثانية تأسيس ناد ثقافي لالقاء المحاضرات وتنظيم الندوات . . . . الخ .

وكان هذا النادي هو (نادي الشباب الأدبي) الذي كان مقره في حارة حسين ، ولقد استمر النادي يمارس نشاطه الثقافي والأدبي حتى عام ١٩٥٢م حين ظهرت فكرة تأسيس (رابطة أبناء الجنوب) كرد فعل لدعوة (الجمعية العدنية) الرامية الى جعل (عدن للعدنيين) .

وحول نشاط النادي أكد الأخ باصديق أن النادي قد افتتح صفوفا دراسية كتحسين مستوى التلاميذ وهو ماأشرنا إليه آنفا ، إلى جانب المحاضرات والندوات الثقافية التى كان ينظمها بين الحين والآخر في ساحة مدرستي بازرعة والقديس يوسف العليا (البادري) في كرتير . كما عمل على تقديم بعض العروض السينمائية للجمهور . وأسس مكتبة ، وأصدر مجلة حائطية ، وغير ذلك من النشاطات .

وكان نادي الشباب الأدبي في كريتر نظيرا لزميله نادي الشباب الثقافي في الشيخ عثمان .

١٨ـ رابطة شباب عدن في كريتر :

في شهر أغسطس ١٩٥٣م تأسس في كريتر/ عدن ناد ثقافي اجتماع عرف باسم (رابطة شباب عدن) برئاسة/ حامد عبدالله زليخي .

ومن أهداف هذه الرابطة كما نص عليها دستورها مايلي :

١ـ السعي للمصلحة العامة والتعاون لرفع مستوى الشعب .

٢ـ العناية بشئون أعضاء الرابطة ، وذلك بدرس مشكلاتهم وشكاويهم المتعلقة بمصالحهم الخاصة وحلها بالطرق القانونية المشروعة .

٣ـ السعي لمكافحة الأمية عن طريق تسهيل تداول الكتب والمجلات والنشرات الثقافة وتوفيرها لهم ، وإيجاد صفوف لمحو الأمية والمشاركة بالتدريس فيها من قبل الأعضاء ، وإعداد قاعة للمطالعة وإلقاء المحاضرات .

وقد شرعت الرابطة عند تأسيسها بمزاولة بعض النشاط الثقافي والاجتماعي في حدود امكانياتها المتواضعة غير أن صعوبات كثيرة حالت دون استمرارها ، فتعثرت ثم توقفت .

١٩ـ المنظمة المتحدة للشباب اليمني في الشيخ عثمان :

في عام ١٩٥٩م تأسس في الشيخ عثمان مكتب لمقاطعة إسرائيل يتولى مراقبة دخول البضائع الاسرائيلية إلى عدن ، ويقوم بالحملات الاعلامية المضادة لاسرائيل وتوجيه المواطنين لمقاطعة البضائع الاسرائيلية أو الشركات التى تتعامل مع (إسرائيل) ، وقد نشط هذا المكتب نشاطا ملحوظا وساعده على ذلك تجاوب المواطنين لنداءاته واستجابتهم لدعوته الرامية لمقاطعة (إسرائيل) .

وقد تمكن المكتب من تطوير نشاطه وتوسيع نطاق عمله ، فصار يهتم بمختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في اليمن ، وفي الوطن العربي ، وكان المكتب عبارة عن ستار

يختفي من ورائه عدد من الشبان الوطنيين الديمقراطيين الذين يحملون أفكارا تقدمية ، أو من ذوي الاتجاهات اليسارية الذين لم يكن بإمكانهم ممارسة نشاطهم الثقافي بصورة علنية بحجة أنهم يحملون أفكارا ماركسية أو من يدعون للخلاص النهائي من الاستعمار البريطاني أو من يعادون الامبريالية والصهيونية والرجعية ، ومن ينادون بتوطيد العلاقات مع المنظومة الاشتراكية .

ثم تحول هذا المكتب فيما بعد الى منظمة شبابية ثقافية اجتماعية يمارس من خلالها بعض النشاط السياسي ، تعمل في أوساط الشباب والعمال والشغيلة والكادحين ، وانضم إليها عدد من المثقفين الثوريين ، وصارت تحمل اسم (المنظمة المتحدة للشباب اليمني) بقيادة عبدالله عبدالحميد السلفي .

ومن الأهداف المعلنة للمنظمة عند تأسيسها العمل على بناء جيل يمني ديمقراطي مثقف شجاع مشبع بروح التعاون وحب الوطن عن طريق الوسائل التالية : (٢١) .

١ـ نشر الثقافة الوطنية الصحيحة الهادفة إلى تعريف الشباب في جنوب اليمن وشمالها بعظمة بلادهم وأمجادها ، وتوعيتهم بحق شعبهم في الحياة الحرة الكريمة الفضلى والعمل من أجلها .

٢ـ تأكيد وتوضيح معالم الشخصية اليمنية داخل الاطار العربي والانساني عموما .

٣ـ العمل على رفع مستوى الشباب الثقافي وزيادة معرفتهم ببلادهم وقضاياها ومشاكلها في سبيل التغلب عليها وذلك بواسطة :

أ ـ القاء المحاضرات وتنظيم الندوات الفكرية وتشجيع النشاطات الثقافية المختلفة .

ب ـ إصدار نشرة داخلية للأعضاء أسبوعية ومحاولة إصدار جريدة عامة .

ج ـ تكوين مكتبة وتزويدها بأحسن وأفضل منتجات الفكر اليمني خصوصا والفكر العربي والعالمي .

د ـ العمل من أجل الحصول على منح دراسية ثقافية تدريبية مهنية في البلاد العربية والعالمية بوجه عام وإرسال البعثات من الشباب اليمني العربي في الشمال والجنوب ، للدراسة والتدريب .

هـ ـ تعريف الشباب اليمني بتاريخ وطنهم وحضارته القديمة .

و ـ إنشاء فصول تعليمية للأطفال ومكافحة الأمية بين صفوف الشعب .

ز ـ تنظيم الزيارات والرحلات للشباب للتعرف على معالم بلادهم وآثارها ومواطن الثروة والجمال الطبيعي فيها .

٤ـ دعم روح التعاون بين الشباب وتوطيد عرى الصداقة والتفاهم فيما بينهم والعمل من أجل توحيدهم .

٥ـ الحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة ومحاربة الميوعة والتفسخ والانحلال الخلقي بين الشباب .

٦ـ الاشتراك في كل عمل وطني وقومي يعود بالنفع على اليمن ، ويرفع من مستوى الشعب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي . . . . الخ .

٧ـ تقوية وتشجيع الروح الرياضية ، وتنمية الذوق الفني الرفيع والهوايات الجميلة عند الشباب مثل الرسم والموسيقى والتمثيل . . . . الخ ,

٨ـ العمل على إيجاد وتوثيق العلاقات بين الشباب اليمني وشباب البلدان العربية وشباب اسيا وافريقيا وسائر بلدان العالم ، وذلك بواسطة :

أ ـ تبادل المعلومات الصحيحة ووسائل التعارف .

ب ـ تبادل الزيارات وحضور مؤتمرات الشباب والمهرجانات في يمننا لو أمكن .

وقد نص دستور المنظمة على أنها «تؤمن بالوحدة العربية الشاملة ، وينبع إيمانها هذا من

حقيقة واقع الأسس الموضوعية العلمية التى تشكل الرابطة القومية للأمة العربية في كل أنحاء الوطن العربي الكبير» .

ويأتي إيمان المنظمة بالوحدة العربية من واقع الشعور القومي الداعي إلى وحدة الأمة العربية ، خاصة بعد نجاح ثورة ٢٣ يوليو في مصر ، ومادعت إليه من مفاهيم قومية ، ودخول مصر في تجربة وحدوية مع سوريا عام ١٩٥٨م ، غيرأن الايمان بالوحدة العربية يرتبط ارتباطا موضوعيا بالوحدة الوطنية ، أي وحدة اليمن الطبيعية ، بعد تحريرها من الاستعمار والرجعية ، لذلك فإن دستور المنظمة قد أكد على ضرورة تحرير اليمن شمالا وجنوبا . . وتوحيدها على طريق الوحدة العربية ، ومما جاء في الدستور بهذا الخصوص مايلي :

« . . وبالرجوع إلى واقع اليمن الراهن في الشمال والجنوب وواقع البلدان ؛ العربية الشقيقة تكافح المنظمة من أجل تحرير اليمن شمالا وجنوبا من الاستعمار والرجعية وتمتين الروابط المشتركة بين كل الشعوب العربية . . إيمانا منها بأن هذا الكفاح يشكل الخطوات المبدئية الأساسية الأولى لتحقيق الوحدة العربية الشاملة ويخلق أوسع الظروف الطبيعية لانجازها في الطريق السليم والمعبر عن مصالح الأمة العربية المجيدة»(٢٢) .

وقد استطاعت المنظمة أن تمارس العديد من النشاطات العلنية في كثير من المجالات الثقافية كالندوات الفكرية التى شارك في تقديمها عدد من المفكرين والمثقفين اليمنيين ، إلى مساهمتها في إصدار بعض الكتب والنشرات الدورية أو توزيع المنشورات على المواطنين لتوضيح وجهات نظرها في القضايا المختلفة .

ومن المثقفين الذين شاركوا في القاء محاضرات على الجمهور في مقر المنظمة الواقع في مكتب مقاطعة (إسرائيل) في قسم ٩ حارة الهاشمي في الشيخ عثمان نذكر على سبيل المثال عبدالله عبدالرزاق باذيب . وعلي محمد عبده . . وغيرهما .

فقد ألقى الأول محاضرة بعنوان (اضراب الطالبات الخالد) بتاريخ ٦ مايو ١٩٦٢م ، دار موضعها حول اضراب طالبات كلية البنات بخور مكسر احتجاجا على تعسف إحدى المدرسات الانجليزيات وهي «مسز بيتري» وما تبع ذلك من إجراءات تعسفية ضد الطالبات المضربات وكانت من ضمنها محاكمة ست طالبات في يوم الجمعة ١٦ مارس ١٩٦٢م وشهد هذا اليوم مظاهرات طلابية حاشدة احتجاجا على تلك الاجراءات التعسفية . أما الثاني فقد ألقى محاضرة حول (امكانية تطوير الثروة الزراعية والحيوانية في شمال اليمن وجنوبه) ، في يوم الأحد ٢١ يناير ١٩٦٢م .

وكانت المنظمة تنشر الاعلانات في الصحف أو توزع منشورات . . لدعوة الناس لحضور مقر المنظمة للاستفادة من نشاطاتها الثقافية . ومن هذه المنشورات نعرض إحداها كنموذج وفيما يلي نصه :

«أيها العامل . . أيها المزارع . . أيها الطالب . . أيها التاجر الحر . . ليست الثقافة ملكا لفئة أو جماعة دون أخرى ، أو وقفا لشعب دون شعب ، بل وفي امكانك أن تثقف نفسك الثقافة الديمقراطية الوطنية السليمة ، وهذا هو نفس ماتؤمن به المنظمة المتحدة للشباب اليمني وقد نصت على ذلك في دستورها وأهدافها ، وهي توفر للجميع وسائل الثقافة والتوعية . . . فالمحاضرات كل أسبوع مرة . . مكاتب مكافحة الأمية للعمال والمزارعين وكافة فئات الشعب . . والصفوف الدراسية للطلبة عصر كل يوم ، وفي امكانك أن تكون المواطن الصالح والعضو النافع في المجتمع ، لو كلفت نفسك حضور مقر المنظمة المتحدة للشباب اليمني للالتحاق

بصفوف محو الأمية ، أو بالحاق طفلك في الصفوف الدراسية عصر كل يوم ، أو بحضور محاضرات المنظمة لتثقيف نفسك لتعرف الكثير» أ. هـ .

وقد كانت المنظمة المتحدة تضاعف نشاطها الثقافي والاجتماعي في المناسبات المختلفة ، أو حينما يطرأ على الوضع السياسي أي طارئ ، وكانت من المنظمات السياسية النشطة التى تبادر دوما لتحديد موقف واضح من الأحداث التى جرت في البلاد ، ومن ذلك مثلا موقفها من الهجرة الأجنبية التي اجتاحت عدن . . والتى كانت مثار غضب مختلف الهيئات الشعبية الوطنية ، إذ تقدمت المنظمة إلى مؤتمر الهيئات الشعبية الذي انعقد في ساحة المؤتمر العمالي في ٢٢ يونيو ١٩٦١م بمذكرة شرحت فيها موقفها من الهجرة وضمنتها آراءها ومقترحاتها في موضوع الهجرة الأجنبية ، ومما قالته في هذا الخصوص :

« . . لقد أصبحت هذه الجاليات في وقت ما ورغم أنها لاتعدو أن تكون جاليات أجنبية تستطيع أن تحظر علينا دخول مناطق معينة إذا كنا نحمل بعض المواد الغذائية المعينة اي انهم قد اصبحوا مشرعين ، ونتيجة لتشجيع الاستعمار لهم رأينا بعضا منهم وقد سيطروا على المجلس التشريعي الحكومي ، ، مما يساعدهم على تخطيط قانون الهجرة ، بل لقد عمل الاستعمار من جانبه على تقديم كل عون لهم وحماية الى ان اصبحوا من القوة والثراء . . كما اشركهم في حق المواطنة في الوقت الذي حرم فيه ابناء الشعب اليمني من ممارسة حقوقهم السياسية المشروعة في جزء من بلادهم(

وقد حددت المذكره موقف المنظمة من الهجرة الاجنبية بوضوح بقولها :

(اننا باسم الشعب العربي في هذا الجزء من اليمن الطبيعية والتي هي بشطريه جزء من الوطن العربي الكبير . . نعلن ونقولها صريحة واضحة في وجه الاستعمار ورؤساء الجاليات الاجنبية وكل من يدور في فلكه مايلي :

١ ـ ان شعب هذه البلاد مصمم على الظفر بحقوقه كاملة غير منقوصة

٢ ـ نحذر كافة الجاليات الاجنبية من التدخل في شؤوننا وقضايانا الوطنية والوقوف ضد ارادة هذا الشعب العربي . .

٣ ـ نحمل رؤساء هذه الجاليات الاجنبية مسئولية كل ماسيحدث نتيجة لمواقفهم العدائية من قضيتنا الوطنية . .

٤ ـ نؤكد للاستعمار أننا سنقاوم بكل قوة مشروعة وبلا هوادة كل مشروع نحو خطوة تهدف إلى فسخ عروبتنا وتدعيم الجاليات ، وفصل عدن عن اليمن الطبيعية ، كما نعلن تمكسنا بكل ما جاء في الوثيقة الوطنية للهيئات الوطنية الشعبية التي اتخذت موقفا موحدا أثناء زيارة وزير المستعمرات الأخيرة .

٥ ـ إن موقفنا من الجاليات الأجنبية لايمكن أن يوصف بالتحيز العنصري أو التعصب القومي أو الديني ، فإن هذه البلاد عربية وهي جزء لايتجزأ من اليمن الطبيعية أرضا وشعبا ، ولشعبها العربي وحدة حق تقرير مصيرة .

٦ ـ إذا وقفت الجاليات الأجنبية في حركتنا الوطنية وساندتنا في قضايانا ضد الاستعمار ، فهي لا شك ستتمتع في طل الحكم الوطني الذي سيحققه الشعب بكفاحه المرير بكل ماتتمتع به الجاليات الاجنبية في البلدان المستقلة» .

وخلاصة القول ، لقد كانت المنظمة المتحدة للشباب اليمني تتصدى علنا للاستعمار البريطاني ، وتدعو للوحدة اليمنية على طريق الوحدة العربية الشاملة ، واستطاع أعضاؤها أن ينفذوا إلى داخل المؤتمر العمالي وتمكنوا من إحداث تغييرات في مسار الحركة الوطنية والعمالية في

اليمن ، واستطاع بعض أعضائها من السيطرة على بعض النقابات وتوجيه بعضها الآخر ، وكانوا طرفا من أطراف الصراع الذي دار رحاه داخل المؤتمر العمالي ، وشقت الحركة النقابية اليمنية مما أدى في الأخير إلى ظهور النقابات الست التى انشقت عن المؤتمر العمالي ، وقد أدى ذلك الصراع الى اغتيال زعيم المنظمة عبدالله عبدالمجيد السلفي ، فتسمت المنظمة باسمه فيما بعد ، وصارت تعرف باسم (منظمة السلفي للشباب اليمني) .

وقد ساهمت المنظمة مساهمة كبيرة في مسار الحياة الثقافية اليمنية ، فأحدثت تأثيرا كبيرا في عقليات بعض الشباب ، وغيرت من تفكير بعضهم وعقائدهم ، وكانت للعناصر التقدمية فيها أدوار لايستهان بها .

٢٠ـ جمعية المرأة العربية في عدن :

كنا قد أشرنا في موضع سابق من هذا الكتاب أن (المجلس البريطاني) أنشأ في مدينة عدن معهدين أحدهما للرجال والآخر للنساء : في حوالي عام ١٩٤٣م .

ويمكن أن نعتبر أن (المعهد البريطاني للنساء) كان أول ناد نسائي في عدن ، وقد كانت تديره سيدة انجليزية معينة من المجلس البريطاني ، يساعدها مجلس إداري مكون من ممثلات لجميع الجاليات الأجنبية الموجودة في عدن ، يتم اختيارهن بحسب أهميتهن ومراكزهن الاجتماعية .

ولم يكن للنساء العربيات أي وجود في هذا المعهد باستثناء عدد قليل من النساء المسلمات المنحدرات من اصل هندي أو إيراني ممن تربط بعضهم صلات مصاهرة ببعض العائلات العربية .

وكان المعهد يعطي دروسا في اللغة الانجليزية مقابل اشتراك شهري لايزيد عن شلنين ، وتمارس فيه النساء ـ إلى جانب الدروس بعض النشاطات الرياضية والترفيهية .

ولم يكن الغرض من هذا المعهد سوى الدعاية للحلفاء أثناء الحرب ، ونشر الثقافة الانجليزية وعندما انتهت الحرب استوفى غرضه الدعائي وتحول الى مجرد مكان تتجمع فيه نساء بعض العائلات الأجنبية للتعارف وقضاء أوقات الفراغ أو لاقامة بعض الحفلات .

وفي اكتوبر عام ١٩٥٢م تحول المعهد إلى ناد اجتماعي يعرف باسم (نادي نساء عدن) ترأسه زوجة نائب حاكم عدن . وظل النادي تحت الاشراف المباشر للادارة البريطانية ، ومعظم عضواته من نساء الجاليات الأجنبية أو من نساء الضباط الانجليز ، أما النساء العربيات فلا وجود لهن في النادي باستثناء بعض صديقات نساء الانجليز ، أو من عائلات بعض كبار موظفي الحكومة ، أما بقية النساء فكن يرفضن دخول النادي و الالتحاق فيه أو التردد عليه .

وكانت بعض النساء الانجليزيات يصطحبن معهن احيانا صديقاتهن العربيات او تلميذاتهن في مدارس البنات ، فبدأت المرأة العربية تتردد على المعهد ثم بعد ذلك على النادي ، وشيئا فشيئا تزايد عددهن حتى صار لهن وجود مؤثر خصوصا بعد وصول بعضهن الى قيادة النادي

ولم تصل المرأة العربية الى احتلال موقعها القيادة في نادي نساء عدن الا بعد سلسلة من الصراعات مع قيادته الاجنبية ، وبزيادة نفوذ العنصر العربي في النادي تعمق الصراع حتى اسفر عن تمرد بعض الفتيات وتشكيل ناد اخر لهن وعرف بأسم الجمعية العدنية للنساء اتخذ من مركز البس مقرا له .

وكان من أسباب الصراع محاولة بعض النساء العربيات ابطال نفوذ العناصر الاجنبية في قيادة النادي وتغليب العنصر العربي فيه .

وبمرور الايام تزايد عدد النساء العربيات في الحركة النسائية ، وتقلص تدريجيا عدد النساء الاجنبيات حتى تمت السيطرة الكاملة على قيادة الحركة النسائية من قبل بعض الفتيات العربيات . وأعلن عن تأسيس جمعية المرأة العربية في الاول من يناير عام ١٩٦٠م . تحت شعار [وطن واحد ، ومسئولية واحدة] .

وكانت اهداف جمعية المرأة العربية كما نص عليها دستورها مايلي :

١- خلق المواطنة الصالحة للاسهام في بناء مجتمع سليم ومستقبل افضل .

٢- القيام بواجبها نحو زوجها واولادها وإدارة بيتها حسب مقتضيات العصر وحسب الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي تصبو اليها البلاد .

٣- تساهم في تطوير المجتمع وحل مشاكله بما يرضي التطور وسمعتها العربية وتزودفكرها بكل أنواع الثقافة والمعرفة .

٤- تتحمل مسئوليتها كاملة كمواطنة عربية يمنية وتؤدي واجبها نحو بلادنا .

وقد سعت (جمعية المرأة العربية) من أجل تحرير المرأة من قيود التقاليد العتيقة ، وتخليص المرأة من أوهام الخرافات الناتجة عن الجهل والتخلف .

واقتحمت معترك الحياة سافرة الوجه قوية الايمان ، أكسب الرزق الحلال وأساهم مساهمة فعالة في بناء مجتمع سليم» . ثم تتساءل قائلة«فماذا كانت نتيجة سفوري ؟ لم تحدث ضجة ولا دوي انفجار في اوساط المتزمتين كما يتوهم بعض الرجال والنساء . . لقد سارت الامور طبيعية كما كنت أتوقع واستفدت من سفوري كثيراً ، توسعت آفاق تجاربي في الحياة ، اطللت على الحياة بوجهي وقلبي وفكري بعد أن كنت لا اعرف منها سوى فضاء خانق بين جدران أربعة ، وجدت ان للكفاح الشريف لذة وللكسب الحلال متعه ، وللخدمة الاجتماعية رسالة نبيلة ، احترمني الرجال واحترمتهم ، شعرت بأنني مخلوقة حية بكل معاني الحياة ، لي كرامة الحرية التي كنت مسلوبة منها ، وإنني أستطيع ان كون عضواً عاملاً في بناء المجتمع السليم» .

ولم ينحصر نضال المرأة في محاربة الحجاب والدعوة للسفور عند الاماني والاحلام ، بل تجاوز ذلك الى الفعل ، حين خرجت لأول مرة بعض الفتيات الى شوارع عدن وهن سافرات متحديات بذلك معارضي السفور ،

وقد اثار فعلهن ذلك اهتمام الصحافة في عدن ، وتجاوبت معهن صحيفة (العامل) الصادرة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٥٩م في عددها رقم (١٠١) حين قالت :-

«خرجت ست فتيات من فتيات الشعب العربي بعدن ، خرجن سافرات ، وسرن في شوارع عدن فكن محل استغراب البعض واعجاب البعض الآخر . ودرن على مكاتب رؤساء الصحف ليعلن أن المرأة قررت انتتخلصمن «الشيذر» وانها خرجت بالفعل ولن يثنيها عن طريقها كائن مهما كان» . .

وأوردت الصحيفة بعض التصريحات لتلك الفتيات ثم اردفت قائلة :-

«وتقول الاخبار أن الايام القليلة المقبلة ربما شهدت ثورة اجتماعية تصنعها نساء بلادنا ، فلا تستغرب اذا رأيت بعد اليوم نساء بلا خنة ولا شيطر» .

٢١ـ الرابطة القومية للكتاب العرب :

في الاول من يناير ١٩٦٢م اجتمع عدد من الكتاب اليمنيين المعروفين بميولهم القومية وقرروا تأسيس رابطة لكتاب اليمن القوميين تعرف باسم [الرابطة القومية للكتاب العرب باليمن] حضرها كل من :-

١ ـ محمد سالم علي
٢ ـ عبدالله الاصنج
٣ ـ محمد سعيد مسواط
٤ ـ طه احمد مقبل
٥ ـ نور الدين قاسم
٦ ـ احمد المروني
٧ ـ عبد الملك اسماعيل
٨ ـ عبد القادر با صالح
٩ ـ سالم زين محمد
١٠ ـ محمد الصباغ
١١ ـ سعيد الجناحي
١٢ ـ محمد سالم با سندوه

وشكلوا هيئة تنفيذية مكونة من :

١ ـ محمد سالم علي
٢ ـ طه احمد مقبل
٣ ـ محمد سالم با سندوه
٤ ـ عبد القادر با صالح
٥ ـ محمد الصباغ (٢٣).

وتتلخص مبادئ هذه الرابطة فيما يلي :-

١ ـ وحدة الامة العربية ووحدة الوطن العربي .
٢ ـ وحدة القضية العربية والنضال العربي .
٣ ـ الوحدة العربية ذات المضمون الاشتراكي الديمقراطي .
٤ ـ حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها حسب مشيئتها .
٥ ـ الحياد، الايجابي كوسيلة فعالة في تنمية التعاون الحر المنزه بين الامم والسبيل الوحيد لاقرار الامن والسلام وتمكين الشعوب من تأدية رسالتها الانسانية لخير البشرية وازدهارها وحضارتها .
٦ ـ عدم التعاون مع الشيوعيين في الوطن العربي أو الالتقاء معهم .
٧ ـ إن الشعب العربي في اليمن جزء من الامة العربية .
٨ ـ ان اليمن شمالاً وجنوباً جزء من الوطن العربي الكبير .

٩ ـ وحدة نضال الشعب العربي في اقليم اليمن كجزء من النضال العربي العام (٢٤).
وقد استوحت الرابطة القومية للكتاب العرب باليمن مبادئها من مبادئ حركة القوميين العرب حينذاك التي انتعشت في اواخر الخمسينات واوائل الستينات ، وكانت حينها القوة المؤثرة في الوطن العربي ، ولها فروع في كثير من البلدان العربية .

وقد حددت الرابطة مهامها في تحقيق الامور الآتية :ـ
١ ـ الاسهام الفعال والجاد في توعية الشعب العربي في اليمن توعية قومية تهدف الى جعل الشعب يمارس مسؤوليته النضالية لتحرره الكامل غير المشروط من الاستعمار والرجعية وتحقيق وحدته العربية .
٢ ـ الاسهام الفعلي الجاد في القضاء على النزعات المذهبية والنعرات القبلية والاتجاهات الانفصالية والاقليمية والامية وبث الوعي القومي الصحيح وتعميمه في نفوس الجماهير اليمنية ورفع مستوى وعيها السياسي والثقافي .
٣ ـ فضح كل المشاريع والمخططات الاستعمارية وكشف التحالف المصلحي بين الرجعية المتحكمة في الشمال والاستعمار في الجنوب ضد نضال شعبنا العربي وقضيته الوطنية .
٤ ـ شرح القضية وتوضيحها والدعاية لها في كافة المجالات المحلية والعربية والدولية .
٥ ـ اعتماد مسئولين لها في اقليم اليمن .
٦ ـ التعاون الجدي المثمر مع المنظمات الوطنية ذات الاتجاه القومي الواضح لخدمة القضية الوطنية

٧ ـ العمل على مساواة المرأة بالرجل في كل الحقوق والواجبات .
٨ ـ دراسة الكتب والمناهج الدراسية وكشف الاخطاء والتوجيهات المغلوطة التي ادخلها الاستعمار .
٩ ـ الدفاع عن الكتاب القوميين الاعضاء ومساندتهم .
١٠ ـ بناء روابط وثيقة مع الكتاب العرب القوميين في كل الوطن العربي ، ومع الكتاب الاحرار في كل من آسيا وافريقيا . (٢٥).
وقد حدد دستور الرابطة الوسائل الكفيلة لتحقيق مهامها ومنها :ـ
١ ـ تنظيم المحاضرات والندوات الفكرية والسياسية .
٢ ـ الكتابة المنتظمة المستمرة في الصحف المحلية .
٣ ـ اصدار النشرات والكتيبات .
٤ ـ تنظيم المسابقات .
٥ ـ اقامة مهرجانات شعبية في المناسبات الوطنية والقومية .
٦ ـ اصدار مجلة فكرية .
لقد كان الاتجاه القومي واضحاً في هذه الرابطة ، بل كانت تشترط لقبول العضو في عضويتها وضوح هذا الاتجاه فيه ، الى جانب قيامه بنشاطات فعلية تؤكد التزامه بهذا النهج الفكري وايمانه الفعلي باهداف ومبادئ الرابطة . وربما يرجع هذا التشدد بالالتزام بالنهج القومي الواضح الى اعتبارين :ـ
الأول : التخوف من تغلغل بعض الشبان من ذوي الميول الماركسية المعارضين للنزعات القومية العاطفية ، خصوصاً بعد تزايد نشاط الكتاب الشيوعيين وانتشار مقالاتهم في بعض صحف عدن ، من امثال عبدالله وعلي با ذيب واحمد سعيد با خبيرة .. وغيرهم . فقد كان هؤلاء

يعارصون وبشكل علني عبر الصحافة وفي مجالسهم الخاصة والعامة ، وفي كتبهم ونشراتهم ، يعارضون أي حماس عاطفي للقومية العربية غير المستند على اساس موضوعي ، فهم يرون أن الارتباط القومي حقيقة موضوعية لا جدال فيها تبرز في وحدة اللغة المشتركة والارض المشتركة والتاريخ المشترك والتراث النفسي المشترك الذي يجد تعبيرا له في الثقافة المشتركة ، ومن وحدة الاوضاع الاقتصادية المشتركة التي تمم بعضها بعضاً» (٢٦) .

ويرى اعضاء هذه المنظمة ان «النضال من أجل تحقيق وحدتنا العربية الشاملة ينبغي ان يقودنا اساساً الى النضال من أجل تحقيق مهماتنا الوطنية الديمقراطية فيما يتعلق بتحقيق التحرر الوطني والديمقراطية في بلادنا ، والنضال من اجل تحقيق وحدتها وتوثيق وحدة كفاحها مع كل شعوبنا العربية ، ودعم وتمتين روابطنا القومية ودعم نضالنا العربي ليجد طريقه الطبيعي نحو الوحدة العربية الشاملة ، وبذلك فقط نستطيع ان نسهم مع شعوبنا العربية في أرجاء وطننا العربي الكبير في خلق اوسع الظروف نحو قيام الوحدة العربية» (٢٧) .

وكان الكتاب القوميون في اليمن يعارضون الافكار الماركسية ويثيرون معارك قلمية ضد الماركسيين اليمنيين ، ويحرضون الرأي العام في اليمن للوقوف ضدهم ورفض افكارهم ، بهدف ابعاد الناس عنهم واضعاف تأثيرهم في عقليات الشباب .

والثاني : انتشار روح العداء للشيوعية في المنطقة العربية وخاصة في اعقاب الصراع الدامي الذي حصل في العراق في عهد عبد الكريم قاسم بين الشيوعيين العراقيين من جهة وبين البعثيين والقوميين العرب من جهة اخرى ، وانتقال ذلك الصراع الى اليمن والى غيرها من الاقطار العربية ، وربما لسبب معارضة الشيوعيين للوحدة الاندماجية بين مصر وسوريا التي تمت عام ١٩٥٨م . . او لغيرها من الاسباب . .

ونستطيع القول ان الرابطة القومية للكتاب العرب في اليمن قد ساهمت مساهمة فعالة في نشر الوعي القومي وساعدت على زيادة وعي الناس بالقضايا القومية .

٢٢ـ مؤتمر الخريجين في عدن :

في عام ١٩٦٢م كان عدد الخريجين اليمنيين قد تزايد وكثر عددهم ، غير أنهم كانوا موزعين في وظائف مختلفة وفقاً لتخصصاتهم ، وكانوا مشتتين لا يربط بينهم رابط ولا يجمع بينهم جامع . .

وفي اواخر عام ١٩٦٢م عقد الخريجون اليمنيون عدة اجتماعات في عدن ، لغرض جمع شملهم وتوحيد جهودهم . وبعد عدد من اللقاءات والاجتماعات استقر رأيهم على عقد مؤتمر للخريجين في يوم الخميس الموافق ٦ ديسمبر ١٩٦٢م وفي هذا المؤتمر اتفقوا على صيغة دستور لمنظمتهم التي اسموها (مؤتمر الخريجين) .

وانتخبوا هيئة ادارية للمؤتمر مكونة من :

١ ـ حسين علي الحبيشي ـ رئيساً .
٢ ـ علي جعفر محمد ناصر ـ مقرراً .
٣ ـ شكيب محفوظ خليفة ـ أميناً للمال .

والهدف من تأسيس مؤتمر الخريجين كما نص عليه دستوره ما يلي :-

١ - رفع المستوى الثقافي ونشر الوعي الاجتماعي .

٢ - توعيـة الاعضاء والمواطنين بقضايا بلادهم عن طريق البحث والتحليل والمناقشة وتبادل وجهات النظر والنشر وغير ذلك من الوسائل . (٢٨) .

وقد انحصرت عضوية مؤتمر الخريجين على خريجي الكليات الجامعية والمعاهد العليا فقط ، ولم يكن يسمح في عضوية المؤتمر لمن لا يحمل شهادة جامعية او معهد عال ، كما ينص على ذلك الدستور في مادته الرابعة حين قال :-

«يصبح الشخص عضواً في مؤتمر الخريجين اذا توفرت لديه :-

١ - شهادة جامعية .

٢ - شهادة من احد المعاهد العليا مسبوقة بشهادة الثانوية العامة او ما يعادلها .

والى جانب هذين الشرطين هناك شروط اخرى .

كما اعطى الدستور للهيئة الادارية الحق في منح عضوية المؤتمر الفخرية لمن ترى الهيئة العامة أنه قد بلغ مستوى يؤهله لذلك :-

اما اعضاء الهيئة التأسيسية لمؤتمر الخريجين فهم :-

١ - ابو بكر الباقر .

٢ - حسين الحبيشي

٣ - سعيد الضحيلي

٤ - سلطان عبده ناجي

٥ - شكيب خليفة

٦ - صالح زوقري

٧ - عبدالله فاضل فارع

٨ - عبدالله محيرز

٩ - عبد الرحمن يوسف

١٠ - علي عوض با مطرف

١١ - عبدالله شهاب

١٢ - عوض بن عوض مبجر

١٣ - علي جعفر محمد ناصر

١٤ - عبدالله علي قرشي

١٥ - عبدالله بيضاني

١٦ - فضل عنبول

١٧ - فؤاد عبدالله با رحيم

١٨ - محمد محيرز . (٢٩) . .

وكـان لمؤتمر الخريجين مجلة مطبوعة شبه دورية غير منتظمة الصدور اسمها (دراسات) صدر منها اربعة اعداد فقط ، غير ان محتوياتها كانت على درجة عالية من الجودة ، فقد اشتملت على البحوث العلمية والدراسات الاكاديمية الجادة ، وامتازت بشمولية موضوعاتها وتنوع بحوثها وعمق الدراسات التي كانت تنشر فيها باللغتين العربية والانجليزية ، فقد كانت بعض اعدادها تحتوي على دراسات عميقة وبحوث جادة في مختلف القضايا الاقتصادية والتاريخية والقانونية

والادبية ، كما احتوت بعضها على عروض تحليلية لبعض الكتب اليمنية التي صدرت في تلك الفترة : أو محاولات تفسيرية لبعض الاتفاقيات والقوائين الصادرة حينذاك . .

لقد كانت مجلة (دراسات) مجلة رائدة متميزة غير ان الظروف السياسية المتقلبة حالت دون استمرارها خصوصاً بعد ما تجاذبت التيارات معظم الخريجين وجرفتهم صراعاتها فتفرقوا شذر مذر .

وكانت آخر هيئة ادارية لمؤتمر الخريجين هي التي انتخبت عام ١٩٦٦م بعد ان وصل الصراع بين الاعضاء الى قمته ، وهذه الهيئة مكونة من :-

١ - علي جعفر محمد ناصر - رئيساً .
٢ - عبد الرحمن يوسف - اميناً عاماً .
٣ - شكيب محفوظ خليفه - اميناً للمال .

وعدد من الاعضاء هم :-

١ - عبدالله علي عقبه
٢ - نديم حسن علي
٣ - محمود عبد القادر علوان
٤ - محمد عبدالله الجفري . (٣٠) .

وعلى الرغم من الفترة القصيره التي عاشها مؤتمر الخريجين التي تخللتها الصراعات بسبب تباين وجهات النظر ازاء القضايا السياسية الا انه استطاع في عمره القصير ان يسهم مساهمة فعالة في اثراء الحياة الثقافية في اليمن ، عن طريق البحوث والدراسات التي كان اعضاؤه يعدونها ، والمقالات والكتب التي كانوا ينشرونها ، والمحاضرات العلمية التي كانوا يلقونها بين الحين والآخر وغيرها من النشاطات الثقافية .

٢٣ - منظمة الشباب العربي في عدن :-

في الساعة الرابعة مساء من يوم السبت ١٣ ابريل ١٩٦٣م انعقد في فندق احسان الله بكرتير المؤتمر التأسيسي لمنظمة الشباب العربي ، وفي ٦ مايو ١٩٦٣م انعقد اجتماع للمنظمة في مقر نادي الاصلاح العربي بالتواهي لاقرار دستور المنظمة . (٣١) .

وقد نصت مقدمة الدستور على الآتي :-

«ايماناً منا بأن الشباب هو القوة الحقيقية الدافعة لأي تطور في اي بلد . . واعتقاداً منا بأن الشباب العربي في هذا الجزء من الوطن العربي الذي يعيش بمنأي عن الاحداث الجارية في بلده ، يستطيع ان يكون كذلك متى ما اكتشف ذاته وانتزع من اعماقه مراكز الضعف فيه ، وتغلب على الخوف والتردد المسيطرين على نفسه ، قررنا تكوين هذه المنظمة هادفين من وراء ذلك خلق شباب واع يشعر بواجباته ويتحمل مسئولياته تجاه بلده بامانة واخلاص ، ويعمل على تحرير ارضه العربية من الجهل والمرض والفقر ليبني مجتمعاً اخلاقياً قوياً . » .

وقد نص دستور المنظمة على اهدافها التي هي :-

أولاً : رفع المستوى الثقافي والاجتماعي للشباب بالوسائل التالية :-

أ - المحاضرات .

ب ـ الندوات .
ج ـ المناقشات العامة .
د ـ اصدار كتيبات .
هـ ـ بناء مكتبة .
و ـ اصدار نشرة داخلية .
ز ـ القيام بدراسات للمشاكل العامة .
ثانياً : تشجيع الروح الرياضية ، ودفع الاعضاء لممارسة مختلف الالعاب الرياضية وتكوين فرق عديدة لمختلف الالعاب .
ثالثا : توثيق عرى الصداقة بين الشباب عن طريق حفلات التعارف والاجتماعات والرحلات وغير ذلك .
رابعاً : تنمية المواهب وفسح المجال لها عن طريق انشاء فرق عديدة داخل المنطقة ، كل فرقة فيها تضم اصحاب موهبة معينة مثل :ـ
١ ـ فريق للموسيقا .
٢ ـ فريق للتمثيل .
٣ ـ فريق للرسم .
٤ ـ فريق للتصوير . . الخ .
خامساً : الاحتكاك وتوثيق عرى الصداقة بمنظمات الشباب في كافة انحاء العالم ، وخاصة منظمات الشباب العربي عن طريق :ـ
١ ـ الاشتراك في المهرجانات الشبابية .
٢ ـ ارسال وفود الى منظمات الشباب في كافة انحاء العالم .

ومن النشرات التي اصدرتها منظمة الشباب العربي باليمن كتيب صغير اسمه (من الفكر الثوري حول الديمقراطية) تناول عدداً من المسائل المتعلقة بالديمقراطية والعمل السياسي . . ويمكننا هنا أن نقتبس بعض الفقرات مما جاء في هذا الكتيب لنتعرف من خلالها على بعض ما كان يطرح من افكار حول مفهوم العمل السياسي .

لقد جاء في صفحة(٣ ، ٤)من الكتيب ما نصه :ـ

«للعمل السياسي شكلان ايجابيان اساسيان :ـ
الاصلاح والثورة ، والشكل المطلوب من العمل ـ لتطور بلد من البلدان وتقدمه ـ تحدده اوضاع هذا البلد نفسه .

فالعمل الاصلاحي يمكن ان يكون الاسلوب المناسب لتطور وتقدم بلد يعيش اوضاعاً طبيعية صاعدة من حيث تقدمية تنظيمه الاجتماعي ، وديمقراطية نظامه السياسي . وارتفاع نسبة استثمار ثروته المادية والبشرية . . وتلاؤم علاقات الانتاج مع علاقات توزيع الثروة الوطنية فيه ففي مثل هذه الحالة تستطيع جماهير المواطنين مراقبة الحكم ومعالجة نواقصه واخطائه وتطوير الجهاز الحاكم او تغييره بواسطة احزابها ونقاباتها ومؤسساتها العامة العاملة كلها في جو ديمقراطي ، دونما حاجة الى تجاوز الاطر الدستورية القائمة بوسائل العنف .

اما العمل الثوري فهو الاسلوب المناسب لتطوير أي بلد وتأمين تقدمه عندما يكون البلد المعني متخلفاً بشكل فاضح في اسس كيانه .

فالبلد المتخلف فكرياً واجتماعياً واقتصادياً ، والبلد الذي لا تتوفر فيه شروط ديمقراطية

للتطور يكون بحاجة الى عمل ثوري يقلب النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي القائم من جذوره لفساد مؤسساته وتعذر اصلاحها ، ويكون هدف العمل الثوري من هذا التغيير الجذري في وضع البلد المعني بناء المجتمع وفق نموذج حضاري جديد يؤمن به الثوريون .

والعمل الثوري لا يلازمه مفهوم العنف دوماً بل يلازمه مفهوم التغيير الجذري .. ولا يصبح العنف من ضروريات العمل الثوري الا عندما لا تتوفر شروط ديمقراطية للعمل السياسي».

وتعرض الكتيب ايضاً الى عدد من القضايا في العمل السياسي ، كالعنف ، والديمقراطية ، ورفض الحكام لمشاركة الجماهير في الحكم ، والانقلابات العسكرية .. الخ .. مقدماً معالجات لكل قضية . لأن هذه القضايا كانت مثار اهتمام المثقفين اليمنيين في اوائل الستينات خاصة في العام الاول للثورة حين كان الناس يبحثون عن الاسلوب النافع لتغيير اوضاع بلادهم وتطوير حياتهم ، فاختلفت وجهات انظارهم بين من ينادي بالاصلاح وبين من ينادي بالتغيير الثوري واجتثاث جذور الفساد وبقايا العهود البائدة .

والكتيب يمكن اعتباره مؤشراً مهماً لمعرفة مستوى تطور وعي الناس ومدى ما وصلوا اليه من فهم للعمل السياسي في تلك المرحلة ، ويمكن اعتباره ايضاً انموذجاً لبعض النشرات التي كانت توزع على الناس من قبل بعض الهيئات الشعبية اليمنية ، مما يؤكد مساهمة بعض النوادي في الحياة الثقافية ومشاركتها في عملية الثقافة الجماهيرية ، لتجعل الناس يتقبلون الافكار الجديدة ، ويتفاعلون مع المد الثوري الذي شهدته المنطقة في فترة الستينات .

اثر النوادي والجمعيات في الحياة الثقافية :

كان لقيام النوادي والجمعيات المختلفة أثرها البارز في الحياة الثقافية اليمنية الحديثة ، فقد ارتبط ظهور الحركة الثقافية في اليمن بظهور النوادي فيها . وانتعشت بانتعاش النوادي وتطورت بتطورها وزادت بزيادة نشاطاتها .

لقد ساهمت النوادي مساهمة كبيرة في انعاش الثقافة وعملت على نشر الوعي بين جموع الشعب عن طريق المحاضرات والمناظرات والندوات التي اقامتها في مقراتها والكتب والمجلات والنشرات التي تبادلها اعضاؤها والمناقشات الادبية والفكرية التي دارت بينهم بين الحين والآخر .

ان لتلك المحاضرات والجلسات الادبية والمناقشات المختلفة التي كانت تدور في النوادي بين الحين والآخر ، كان لهاعظيم الاثر في انعاش الحياة الثقافية ، غير ان بعض النوادي دخلت في صراعات فيما بينها مما ابطل دورها ، واضعف تأثيرها لأنها ظلت لفترة من الزمن تحصر نشاطاتها في قضايا هامشية غير ضرورية ، وان كانت تبدو مهمة في وقتها الا انها صرفت الناس عن الدرس والتقصي والبحث والتنقيب عن المعارف فظلوا يدورون في حلقات مفرغة ، ولكنها على كل حال غرست البذور الاساسية للثقافة الحديثة في اليمن .

وفي حين كان ينبغي لتلك النوادي ان تغدو مراكز حقيقية للثقافة ، ومشاعل للهدي والارشاد ، وفي حين كان ينبغي لروادها ان يستفيدوا منها ، كانوا في معظم الاحيان يجتمعون على لا شئ ويخرجون بلا شئ ، بسبب تلك الصراعات التي اضعفت دورهم ، وابطلت تأثيرهم في المجتمع ، فخسروا عطف الناس وسند الجماهير .

وعلى الرغم من السلبيات التي رافقت نشاط بعض النوادي بسبب صراعاتها الا ان ذلك

اثر تأثيراً ايجابياً في تنشيط الجو الثقافي والادبي احياناً ، لأن الصراعات الداخلية في النوادي انعكست على الحياة العامة ، وظهر تاثيرها على صفحات الجرائد

ومن الشواهد التي يمكن ان نستدل بها على وجود بعض الصراعات في بعض النوادي ما نقرؤه في كتيب صغير وزعه نادي الاصلاح العربي في التواهي يرد فيه على هجوم نشرته صحيفة (فتاة الجزيرة) في عددها رقم ٣٤٠ الصادر بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٤٦م جاء فيه . .

«يحاول بعض الناس من ذوي النفوس الضعيفة الاصطياد في الماء العكر ، فنجد بين وقت وآخر في جريدة فتاة الجزيرة نبذاً سخيفه عن نادي الاصلاح في التواهي يراد بها تشويه سمعته ونشر الفتنة بين اعضائه فلم نستغرب ذلك من صاحب الجريدة ومحررها محمد علي لقمان واولاده لأنه صارت له شهرة ملحوظة في نشر مثل هذه السفاسف حينا بين ادباء حضرموت وحيناً اخر بين بعض الشخصيات البارزة في عدن ، ظناً ان هذه السفسطة من اسباب رواج الجريدة ، أما عن نادي الاصلاح العربي في التواهي فهو مؤسس منذ ١٨ سنة شامخ الانف رهيب الجانب رغم كل العقبات ورغم كل حسود . والنادي لا يكترث لكل ما يقال عنه من الاكاذيب الملفقة التي يراد بها هدم النادي ، والنتيجة المحتمة له ولأمثاله هي انه سيحطم قرنية المتصدعين على صخرة النادي الثابته ، ونحن نتمثل بقول جرير :-

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا
ابشر بطول سلامة يا مربع

ولسنا في حاجة لابراز ما نشرته فتاة الجزيرة من هجوم على نادي الاصلاح العربي ، لأن ذلك يفهم من الرد عليه .

ويتضح من ذلك أن صراعات النوادي الداخلية كانت تنتقل الى خارجها وتنعكس آثارها على صفحات الجرائد او في الكتيبات والنشرات التي كانت توزع على المواطنين .

واذا بحثنا في اسباب تلك الصراعات أو الخلافات التي ظهرت داخل النوادي فإننا يمكن ان نرجعها الى ما يلي :-

١ - صراعات ناتجة عن الزعامة وحب السيطرة من قبل اعضاء بعض النوادي .

٢ - صراعات ناتجة عن الاحقاد الشخصية .

٣ - عدم حرية الاراء مما ادى الى استبداد في الرأي من قبل بعض الاعضاء نتيجة للتعصب او التحزب .

٤ - عدم الانسجام الفكري بين الاعضاء ومحاولة بعضهم فرض ارائهم على الاخرين وبسط نفوذهم .

٥ - طغيان المجاملات الشخصية ، وسيطرة المحسوبية في التعامل مع الاعضاء .

٦ - تحويل بعض النوادي الى دور للسكنى او الى مبارز للقات او دور للمخادر واقامة الاعراس

٧ - عدم تنظيم حسابات النوادي تنظيماً دقيقاً مما ادى الى خلافات بين الاعضاء حول ميزانياتها ونزاعات حول اساليب تصريف اموالها .

٨ - كسل بعض الاعضاء او تقاعسهم عن المشاركة في نشاطات النوادي .

٩ - اندساس بعض الاعضاء في النوادي الوطنية او التقدمية لحرف مسيرتها او تغيير اهدافها .

١٠ - ازدياد النشاطات السياسية وظهور عدد من الاحزاب او التنظيمات السياسية في المنطقة . ومحاولة بعضها النفوذ الى النوادي او السيطرة عليها والتأثير فيها . مما نقل الصراعات الحزبية الى داخل النوادي .

ورغم ما احدثته الصراعات التي ظهرت في بعض النوادي من خلل وما تركته من سلبيات الا ان هناك جوانب ايجابية كثيرة برزت في بعض النوادي لا يمكن نكرانها او اغفالها ، أهمها انها وسعت قاعدة القراء وساعدت على زيادة المثقفين ، مما اوجد مناخاً صالحاً وبيئة مناسبة لانتعاش الثقافة وتطور الادب وزيادة الاهتمام بالتعليم .

إنه في الفترة التي ظهرت فيها النوادي المختلفة في عدن ازداد اهتمام الناس بالتعلم لأنهم ادركوا اهمية العلم ، فاقبلوا على ادخال اطفالهم المدارس وطالبوا السلطات المحلية بتوسيع التعليم وتطويره وساهموا بجهودهم الذاتية في بناء العديد من المدارس وارسال بعض الطلاب الى الخارج لمواصلة دراساتهم فكان من جراء ذلك زيادة عدد المتعلمين واتساع قاعدة القراء الذين اقبلوا على قراءة الصحف والمجلات والكتب المختلفة ، لذلك فان للنوادي اثرها البارز في الحركة الثقافية ، فهي الى جانب اسهامها في توسيع قاعدة القراء عملت على نشر الثقافة بين اوساط الشعب عن طريق المحاضرات والمناظرات والندوات الفكرية والادبية والاجتماعية والسياسية التي اقامتها :-

أو الامسيات الشعرية التي احيتها بالاضافة الى اللقاءات المتكررة التي كانت تتم بين الادباء والمفكرين بين الحين والاخر ، مما ساعد على تنشيط الثقافة :-

فاقبل الناس على القراءة ، واهتموا بمناقشة الكتب ونقدها ، فانتعشت حركة التأليف وكثرت الصحف المتداولة ، فظهرت الى الوجود عشرات الكتب والدواوين الشعرية ، وصدرت المجلات الادبية ، وانتشرت الصحف اليومية والاسبوعية التي تعالج قضايا الناس المختلفة .

ومن الكتب التي صدرت في فترة ظهور النوادي الكتب التالية :-

١ ـ هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن . لأحمد فضل العبدلي تناول فيه تاريخ نشوء السلطنة العبدلية وما حدث في ايامها وعلاقة السلطنة بعدن . . الخ . .

٢ ـ المصدر المفيد في غناء لحج الجديد : لاحمد فضل العبدلي . . ويحتوي على بعض الاغاني اللحجية الشهيرة ، ومنها الاغاني التي الفها ولحنها المؤلف . .

٣ ـ فصل الخطاب في اباحة العود والرباب : لأحمد فضل العبدلي . . ويشتمل على بعض ما قيل من الآحاديث النبوية واراء علماء الدين في جواز الغناء والموسيقا والطرب والعزف بالعود والرباب وهو رد على بعض ما نشر في الصحف من مقالات تهاجم فيه الغناء والموسيقاء وتعتبر ذلك حراماً

٤ ـ لماذا تقدم الغربيون ؟ ـ لمحمد علي لقمان . . وفيه بيان بمزايا الاخلاق التي كانت دعامة من دعائم النهضة الاوربية وسبباً من أسباب تقدم الاوربيين وسر رقيهم وفيه مقارنة بين ما يمارس في الشرق من عادات وتقاليد جامدة كانت سبب تأخر الشرقيين ، وبين اسلوب الحياة الاوربية الراقية .

٥ ـ قصة الدستور اللحجي : لمحمد علي لقمان . وفيه شرح لأزمة الصراع على السلطة في سلطنة لحج ، وبيان لأسباب النزاع ونتائجه ، وما رافق ذلك من مطالب دستورية وتشكيل مجلس وصاية على عرش السلطنة بعد اقالة سلطانها فضل عبد الكريم .

٦ ـ الشعب البريطاني . لمحمد علي لقمان . فيه عرض لنمط الحياة في بريطانيا .

٧ ـ انتصار الفكر ـ لمحمد علي لقمان . (قضايا فكرية) .

٨ ـ رسالة رجب ـ لمحمد علي لقمان (رسالة توجيهية) .

٩ ـ بأقلام المخيم . كتاب اصدره مخيم ابي الطيب جمع فيه ملخصات لبعض المحاضرات التي كانت تلقى في المخيم .

١٠ ـ نصيب عدن من الحركة الثقافية الحديثة ـ لاحمد محمد سعيد الاصنج . . موضوعات مختارة مما كان يكتبه الادباء حينذاك . .

١١ ـ اوبج عدن ـ لاحمد محمد سعيد الاصنج ، فيه مقالات متنوعة .

١٢ ـ خواطر ـ لحمزة علي لقمان . . فيه مقالات متنوعة

١٣ ـ تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ـ لحمزه علي لقمان .
فيه تتبع تاريخي لمدينة عدن عبر العصور :ـ

١٤ ـ هدية المريد الى سبيل الحق والتوحيد ، لأحمد محمد العبادي . . وهي منظومة شعرية من الشعر التعليمي في التوحيد والعقيدة . .

كما صدرت ايضا عدد من المسرحيات المتنوعة الشعرية والنثرية مثل :ـ

١ ـ بجماليون ـ لعلي محمد لقمان .
٢ ـ همام اوفي بلاد الاحقاف ـ لعلي احمد با كثير .
٣ ـ سمراء العرب ـ لعلي محمد لقمان .
٤ ـ قيس وليلى ـ لعلي محمد لقمان
٥ ـ العدل المفقود ـ لعلي محمد لقمان
٦ ـ سيف بن ذي يزن ـ لمحمد عبده غانم .

وصدرت ايضاً عدد من الدواوين الشعرية مثل :ـ

١ ـ الوتر المغمور ـ لعلي محمد لقمان
٢ ـ ليالي غريب ـ لعلي محمد لقمان
٣ ـ انات شعب ـ لعلي محمد لقمان
٤ ـ على رمال صيره ـ لعلي محمد لقمان
٥ ـ هدير القافلة ـ لعلي محمد لقمان
٦ ـ اشجان في الليل ـ لعلي محمد لقمان
٧ ـ موج وصخر ـ لمحمد عبده غانم
٨ ـ على الشاطئ المسحور ـ لمحمد عبده غانم
٩ ـ بقايا نغم ـ للطفي جعفر امان
١٠ ـ الدموع الضاحكة ـ لعبدالله هادي سبيت
١١ ـ مع الفجر ـ لعبدالله هادي سبيت ـ (باللهجة العامية) .
١٢ ـ قصة الفلاح والارض ـ لعبدالله هادي سبيت ـ (باللهجة العامية) .
١٣ ـ فردوس القرآن ـ لمحمد سعيد جراده
١٤ ـ وحي البرده ـ لمحمد سعيد جراده
١٥ ـ كفاح شعب ـ لعلي عبد العزيز نصر . . وغيرها . .

كما ظهرت بعض الكتب في بعض العلوم المختلفة مثل :ـ

١ ـ النهر الفائض في علم الفرائض ـ لعبد القادر مكاوي
٢ ـ الايضاح في حقوق النساء واحكام النكاح ـ لعبد القادر مكاوي
٣ ـ مبادئ الكيمياء ـ لعبد القادر مكاوي
٤ ـ عبادة ودين ـ لمحمد سالم البيحاني ـ وغيرها

وظهرت ايضاً بعض القصص والروايات مثل :-

١ ـ سعيد ـ رواية لمحمد علي لقمان

٢ ـ يوميات مبرشت ـ رواية لعبدالله الطيب ارسلان

٣ ـ أنت شيوعي ـ قصة لصالح الدحان

وغيرها من القصص . .

كما صدرت ايضاً بعض الكتب المتنوعة . لبعض المؤلفين اليمنيين وصدرت نشرات وكتيبات عن بعض النوادي والجمعيات .

ويمكننا القول انه بفضل النوادي اتيح للناس فرص القراءة ، فأقبلوا على قراءة الصحف والمجلات والكتب وبمرور الايام ازدادت اهتمامات الناس بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فظهرت الحاجة للصحافة المحلية لتعالج قضايا الناس المختلفة فانتشرت الصحف في عدن وكثر عددها حتى وصل عدد ما يصدر منها يومياً يزيد عن عشر صحف في منتصف الستينات ، بالاضافة الى الصحف العربية الاخرى ، فاتسعت قاعدة القراء ، وصاروا بحاجة للكتاب والصحيفة والمجلة ، فجاءت (مكتبة مسواط) لتلبي هذه الحاجة اذ مكنت الناس من استعارة الكتب وقراءتها بمقابل اشتراك رمزي اتاح لذوي الدخل المحدود من الحصول على الكتاب المطلوب بيسر وسهولة . ومن حينها صار الناس يقرؤون الكتب والمجلات ويناقشون مضامينها في مجالسهم ونواديهم ويحللون افكارها ومعانيها وينتقدونها فتقبلوا الافكار الجديدة ، وانخرطوا في التنظيمات السياسية المختلفة التي ظهرت في الساحة اليمنية ، وشارك بعضهم في الحركة الوطنية التي مهدت لثورتي ٢٦ سبتمبر و ١٤ اكتوبر المجيدتين . .

ونتيجة لاتساع قاعدة القراء وجدت الكتب سوقاً رائجة في عدن ، حيث اقبل الناس على شراء الكتب والمجلات فظهرت العديد من المكتبات التجارية التي تستورد وتوزع الكتب والمطبوعات ومن هذه المكتبات على سبيل المثال :-

١ ـ مكتبة لقمان في حارة حسين بكريتر .

٢ ـ مكتبة الجيل الجديد بفروعها المختلفة ـ لسالم علي الزغير .

٣ ـ مكتبة دار المعارف ـ لعبد الحميد حاج عبادي واولاده بكريتر .

٤ ـ المكتبة العربية ـ لهبة الله علي بسوق البهرة بكريتر .

٥ ـ المكتبة الاسلامية . لمنشي غلام محمد في السوق الطويل بكريتر .

٦ ـ مكتبة الشيباني ـ بالمعلا ـ لعلي محمد صالح الشيباني .

٧ ـ مكتبة الشيباني في الشيخ عثمان ـ لبعدالله اسماعيل الشيباني .

٨ ـ المكتبة الفضلية في طريق العيدروس بكريتر ـ لمصطفى محمد فضل .

كما تأسست وكالة تجارية متخصصة باستيراد المطبوعات والكتب وتوزيعها هي (وكالة الاهرام التجارية) كما كانت معظم المكتبات تتعامل مباشرة مع دور النشر المختلفة في المشرق العربي ، حيث تصلها الكتب الجديدة باستمرار بعد طبعها مباشرة ، فصار القارئ اليمني قادرا على متابعة كل جديد في عالم الفكر والثقافة والادب والفنون ، غير ان سلطات الاحتلال البريطاني في عدن ، خشيت من تسرب بعض الافكار التقدمية عبر تلك الكتب ففرضت حظرا على بعض الكتب التي تنادي بالحرية او تحرض على الاستقلال ، او تدعو الى الاشتراكية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، ومنعت الكتب الماركسية من التداول في الاسواق علنا ولكنها انتشرت

بين اوساط بعض المثقفين بصورة سرية . .

والى جانب المكتبات المتخصصة بتوزيع وبيع الكتب العربية ظهرت مكتبات اخرى متخصصة بالكتب الاجنبية وعلى وجه الخصوص الكتب الانجليزية والهندية . .

وعن طريق القراءة تابع الناس اخبار الادباء والمفكرين ومشاهير رجال الفن والموسيقا ، والسينما والمسرح فافتتحت بعض دور السينما التي كانت تعرض احدث الافلام العربية والاجنبية كما انشئت محلات تسجيل الاسطوانات وتوزيع الاغاني مما اعطى للحياة الثقافية زخما جديدا . .

هوامش القسم الرابع :-

١- انور الجندي اضواء على الادب العربي المعاصر . ص ٢٦٥
٢- فتاة الجزيرة العدد ٢٣٠ - ١٦ يوليو ١٩٤٤م ص ١
٣- النظام الاساسي لنادي الاصلاح العربي بالتواهي . ط ١ ص ١ . ط٢ ص٣
٤- كتيب اليوبيل الفضي لنادي الاصلاح العربي
٥- احمد محمد الشامي . رياح التغيير في اليمن . ص ١٤٠
٦- دور العبادي في مناهضة الاستعمار . مجلة الحكمة العدد (٣٧) بريل ١٩٧١م ص ٤٧
٧- مجلة الاكليل - العدد ١ السنة ٢ صيف ١٩٨٢م ص ١١٤
٨- المرجع السابق . ص ١٢٤
٩- فتاة الجزيرة . العدد (٢٣٢) يوليو ١٩٤٤م ص ١٢
١٠- المرجع السابق الصفحة ذاتها
١١- فتاة الجزيرة - العدد ٢٣٢ - ٣٠ يوليو ١٩٤٤م ص ١
١٢- المرجع السابق الصفحة ذاتها
١٣- باقلام المخيم ص ٤
١٤- المرجع السابق . ص ٥
١٥- فتاة الجزيرة - العدد ١٤٤ - ١ نوفمبر ١٩٤٢م ص ٤
١٦- فتاة الجريرة - العدد ١٠٦ - ١ فبراير ١٩٤٢م ص ٥
١٧- فتاة الجزيرة - العدد ١٠٦ - ١ فبراير ١٩٤٢م ص ٥
١٨- كتيب (المجلس البريطاني) بعدن . المقدمة ص ١
١٩- فتاة الجزيرة - العدد ١٤٤ - ١ نوفمبر ١٩٤٢م ص ٥
٢٠- فتاة الجزيرة - العدد ١٨٠ - ١٨ يوليو ١٩٤٣م ص ٩
٢١- دستور المنظمة المتحدة للشباب اليمني
٢٢- دستور المنظمة المتحدة للشباب اليمني
٢٣- الحقيقة - العدد ٣٠ - ٣ يناير ١٩٦٢م . ص ١
٢٤- العدد السابق الصفحة ذاتها
٢٥- انظر دستور الرابطة القومية للكتاب العرب باليمن
٢٦- علي باذيب . حركتنا الوطنية اين تتجه ؟ ص ٢٤
٢٧- المرجع السابق ص ٢٥
٢٨- دستور مؤتمر الخريجين - المادة الثالثة - صحيفة اليقظة العدد ٢٩٣ - ١٤ ديسمبر ١٩٦٢م ص ٣
٢٩- مجلة مؤتمر الخريجين (دراسات) العدد ٣ - ابريل ١٩٦٦م
٣٠- مجلة (دراسات) العدد ٤ - نوفمبر ١٩٦٦م
٣١- من بطاقتي دعوة عثرت عليهما في ارشيف حنبلة

علماء المسلمين ونظرية كروية الأرض

محمد سالم شجاب

الارض هي ثالث الكواكب السيارة ، تدور حول الشمس وحول نفسها ولها تابع هو القمر يدور حولها ومعها حول الشمس ، وباتجاه ثابت من الغرب الى الشرق.

قال الاستاذ عبدالرزاق نوفل : «الأرض كوكب من الكواكب التي تدور حول الشمس وتتبعها في سيرها أينما سارت ، وهي الكوكب الخامس من حيث الحجم والثالث من حيث القرب من بين الكواكب التسعة ـ السيارة ـ التي تتكون منها المجموعة الشمسية .. والأرض تكاد تكون كرة الا أنها متبعجة قليلا عند خط الاستواء ، ومفلطحة عند القطبين ـ الشمالي والجنوبي ـ ويقدر طول قطر الارض المار بالقطبين بـ«٧٩٠٠» ميل ، وقطرها عند خط الاستواء «٧٩٢٧» ميلا . ومحيط الارض عند القطبين «٣٤٢٢٠» ميلا ، ومحيطها حول خط الاستواء «٢٤٩٠٠» فيل ومساحة سطحها «٢٠٠» مليون ميل مربع .

ويشغل اليابس منها نحو أمن ٥٠ مليون ميل مربع والماء حوالي ١٥٠ مليون ميل مربع». ومدة دورانها حول الشمس ٢٥/ ٣٦٥ يوما ، ومدة دورانها حول نفسها ٥٦/ ٢٣ ساعة ، ولها قمر واحد . ويقال : إن وزنها التقريبي يبلغ خمسة الف وثمانمائة وستة وسبعين مليون مليار طن.

وقد تضاربت أقوال المؤرخين في أول من قال بنظرية كروية الارض ودورانها حول نفسها وحول الشمس .. فقيل : أول من قال بذلك هو الفلكي اليوناني «اريستاخورس الساموسي» المولود عام ٣١٠ف.م والمتوفي عام ٢٣٠ ق.م.

وقيل : إن أول من أعلن نظرية دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس هو الفلكي «سيلوكيدس» المتوفي عام ١٥٩ ق.م وهو من أهل سلوقيا التي كانت قائمة على شاطىء دجلة المعروفة الآن باسم «سلمان باك» ويذكر «برترا ندرسل» في الجزء الأول من تاريخ الفلسفة الغربية أن الفلكي المذكور تلقى اقوالا مبهمة من «اريستاخورس» لاتدل دلالة قاطعة على تصور محدد لدوران الأرض.

وقيل إن الفلكي اليوناني «أرسطرخس» الذي عاش في القرن الثالث الميلادي كان من اوائل واضعي نظرية حركة الارض ودورانها حول الشمس ودورانها حول محور مائل على مستوي دائرة البروج ممايسبب فصول السنة والليل والنهار .. ولم يبق من مؤلفات الفلكي المذكر سوى «أحجام وأبعاد الشمس والقمر» ، ولكن بعض نظرياته عرفت عن طريق

«إرشميدس(١)» و«كوبرنيكوس».

ويقال : إن الفلكي البولوني «كوبرنيكوس نيقولا»(٢) المولود عام ١٤٧٣م والمتوفى عام ١٥٤٣م هو أول من قال بنظرية دوران الأرض والكواكب حول الشمس ، التي على أساسها بني علم الفلك الحديث وقرر أن مايظهر للناس من حركة الشمس والقمر والنجوم من الشرق الى الغرب إنما هو ناتج عن دوران الارض حول نفسها من الغرب الى الشرق ، وان الارض والسيارات ليست الا أجرام تدور حول الشمس وقد أهدى هذا البحث الى البابا الثالث ، ولكنة لم ينشر الا في عام ١٥٤٣م بعد ما أحاط رأيه بالاخفاء مدة تقرب من اربعين سنة ، حيث اتهمه رجال الكهنوت بالكفر والمروق عن الدين .

ففي ٢٣ مايو من عام ١٥٤٣م تسلم «كوبر نيكوس» وهو على فراش الموت أول نسخة من كتابة الذي يعالج موضوع دوران الاجرام السماوية والذي أوضح فيه عقيدته بأن الارض تسبح من حول الشمس .

ولم تمض غير ساعات معدودات حتى أغمض عينيه عن عالم العصور الوسطى .

وفي عام ١٦١٠م اي بعد كوبر نيكوس بسبع وستين سنة كان الفلكي الايطالي «جاليليو»(٣) يبحث عن أجسام صغيرة ظهرت في مجال منظاره الفلكي المكبر «تلسكوب» ولقد راح يرصدها ليلة بعد ليلة وهي تسبح من حول كوكب المشتري وهنا توافرت صورة مصغرة لنظام شمس يشبه نظامنا الشمسي ، وتوافر كذلك دليل على صحة النظرية المنسوبة الى «كوبر نيكوس» . . وفي عام ١٦٣٦م حوكم «جاليليو» وارغم على انكار كروية الارض ودورانها حول ذاتها وحول الشمس ، وان يسلم بأن الارض هي مركز الكون - ثانية - وقد اتهمته السلطات الايطالية حينذاك بالالحاد بسبب تعارض هذه النظرية ، مع تعاليم الكنيسة الكاثوليكية وأصدرت حكما بتحديد إقامته .

تلك لمحة سريعة عما يدعيه علماء النهضة الأوروبية من إحراز قصب السبق في هذا المجال ، وشايعهم الغرب في ادعائهم .

والحقيقة أن «كوبر نيكوس» و «جاليليو» توسعا في الفكرة بعد أن مهد لهما الطريق العرب وعلماء المسلمين وسبقوهما الى ذلك بعدة قرون .

فقد ظهر في الشعر الجاهلي دلائل على ان العرب كان لديهم في الجاهلية بعض المعرفة عن مبادىء علم الفلك ، حيث عرفت اسماء الكواكب من قصائد الشعراء ، واتضحت معالم هذا العلم في العصر العباسي .

اعطى العرب اهمية كبيرة لعلم الانواء لمعرفة اوقات الرياح الموسمية ، وكانوا يتأملون النجوم في السماء الصافية بالصحراء للاهتداء بها في اسفارهم ومسامراتهم ، واتضح ذلك جليا في قصائد اشعارهم . . واستطاع العرب صناعة الازياج التي تقوم على قوانين حسابية عديدة من حيث سرعة الكواكب وبطئها والاستقامة والرجوع . ولقد نادى علماء العرب والمسلمين بابطال الافكار الوهمية في التنجيم والتي يربط المهتمون بها بين حركة الكواكب وظهورها وبعض مايحدث للانسان من أحداث سعيدة أو غير سعيدة واعتبروها اوهاما لاتمت للاسس العلمية بصلة .

وتوصل العرب المسلمون الى معرفة استدارة الارض حول محورها ، وحساب طول السنة الشمسية ومواقع النجوم ، ورصد الاعتدال الربيعي والخريفي .

ان القول بكروية الارض ودورانها حول نفسها وحول الشمس هو مما نظر فيه المسلمون نفيا واثباتا ودرسة بحاثوهم قبل أن يحلم به غيرهم من علماء مايسمى بالنهضة الاوروبية . مثل أبي الريحان محمد بن احمد البيروني التوفي سنة ٤٤٠هـ ١٠٤٨م وأبي سعيد احمد الجزي المتوفي سنة ١٠٢٤م والمسعودي المتوفي سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م وأبي حامد الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م وامام الحرمين الجويني المتوفي سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م وابو عبدالله القرطبي المفسر المتوفي سنة ٦٧١هـ واين عربي الحاتمي الصوفي المتوفي سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م فإنه

بحث القضية علميا في فتوحاته المكية وقال في باب «معرفة بدء الجسوم الانسانية» : «غير أن حركة الأرض خفيفة عندما ، وحركتها حول الوسط لانها أكرة» . . وابن تيمية المتوفي سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م . وابن الشاطر المؤذن المتوفي سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥٪ . وممن قال بكروية الارض ودورانها النقادة أبو زيد عبدالرحمن بن أحمد الملقب بعضد الدين الأيجي أحد بحاثي القرن الثامن الهجري وأفذاذ مفكريه والداهية القاضي الجرجاني الذي كان آية من آيات القرن الثامن واوائل القرن التاسع للهجرة وشارح ماكتبه عضد الدين الايجي وكان المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية كثيرا ماينشد بيتي القاضي عبدالوهاب الجرجاني:

ومن أعجب الاشياء أنك قاعد
على الارض الدنيا وأنت تسير
ومسيرك ياهذا كسير سفينة
بقوم قعود والشراع تطير

وهذا يدل على ان ابن تومرت كان يعتقد حركة الارض ويقول بفكرة دورانها.

وكان إمام الحرمين أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني ينفي فكرة دوران الارض وكرويتها ، فقد اشار بصراحة في كتابه «الشامل في أصول الدين» الى أن هناك قوما زعموا ان الارض كرة متتابعة الدوران ، وأعلن رفضه لهذه الفكرة قائلا: «إن لديه أدلة على بطلانها» وذلك قبل كوبر نيكوس باربعمائة وستين سنة .

وفي تفسير قوله تعالى : «وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا» الاية رقم (٣) من سورة الرعد.

قال ابو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ: «في هذه الآية رد على من زعم ان الارض كالكرة ، ورد على من زعم أن الارض تهوي أبوابها عليها . . . والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القول بوقوف الارض وسكونها ومدها ـ أي أنها غير كروية ـ وأن حركتها انها تكون في العادة بزلزلة تصيبها» .

واختلف المؤرخون أيضا في أول من قال بفكرة كروية الارض ودورانها من علماء المسلمين . فقيل اول من قال بذلك هو ابو الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفي سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م.

قال الاستاذ أسامة عانوتي : «ومن مآثر البيروني العلمية . . ارتئاءه دوران الارض على محورها قبل «غليليو» بستمائة سنة ، واستخراج مقدار الارض ، ووضع أصول الرسم على سطح الكرة».

وقال المستشرق «سارتون» : «ان البريوني ناقش هذه القضية ، ولكنه لم يصل الى نتيجة حاسمة»(٤) .

وقيل : إن أول من قال بكروية الارض ودورانها هو ابو سعيد احمد السجري المتوفي حوالي سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٤م

وأشار المستشرق الايطالي «نلينو كرلو» في كتابه «علم الفلك تاريخه عند العرب في العصور الوسطى» الى «أن أحدا من العرب بمن فيهم البيروني ، لم يقل بأن الكرة السماوية ساكنة الارض دائرة على محورها الا السجزى» . .

وذكر فيه ايضا « ان أبا سعيد الجزري صنع «اصطرلابا» صممه على اساس ان الشمس ثابته والارض متحركة . . والى هذا أشار البيروني رغم توقفه في مسألة دوران الارض حول الشمس التي افترضها ابو سعيد السجزي الذي يقول بدوران الارض حول نفسها وحول الشمس . وقد وردت حكاية تشير الى ذلك حدثت في مجلس السلطان مسعود (٥) وهو راعي البيروني (٦) ، الا ان السلطان ارتاع لقول البيروني بأن الارض تدور ، فأمره بالسكوت ، وعدم تكرار أمثال هذه الاقاويل وهذا يدل دلاله واضحة على أن فكرة دوران

الارض حول نفسها وحول الشمس نطق بها علماء الاسلام الأعلام قبل أن يكون للكفار والمشركين علم فلك ولانظر في النجوم.

ولامعارضة بين دورانها وبين مافي النصوص الشرعية من نسبة الشروق والغروب الى الشمس لجريانه على نظم استعمال قانون اللغة، على أن الحركة الشمسية المنصوص عليها هي نفس الحركة الارضية، لكنها نسبت للشمس باعتبار مايظهر للرائي.

وهناك حركة أخرى للشمس هي ومجموعتها حول كوكب أخر، فالشمس تجري والارض تجري. ومن المحسنات البديعية اطلاق اللفظ على حسب مايراه النظر ويتخيله، كما ذكره ابن القيم في «الفوائد المشوقة لعلوم القرآن وعلم البيان» مثل قول الله تعالى: «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» ولم يصر القمر كذلك الا في الظن ورأى العين.

وقد أشار القرآن الكريم الى حركة الارض ودورانها قوله تعالى: «وترى الجبال تحسبها جامدة، وهي تمر مر السحاب. صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون» سورة النمل آية (٨٨).. فالجبال في رؤية العين كالقائمة وهي تسير، وكذلك كل شيء عظيم وجمع كثير يقصر عنه النظر لكثرته، وبعد مابين أطرافه فهو في حسبان الناظر كالواقف، وهو يسير. قال النابغة في وصف جيش.

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم
وقوف لحاج والركاب تهملج(٧)

وذكر القشيري (٨) في تفسير هذه الآية: أن هذا المشهد للجبال يكون في يوم القيامة. أي أن الجبال لكثرتها ترى كأنها جامدة أي واقفة في مرأى العين، وإن كانت في أنفسها تسير سير السحاب المتراكم يظن انه واقف وهو في حقيقة الامر يسير، أي أن الجبال تمرمر السحاب حتى لايبقى منها شيء.

والظاهر - والله اعلم - ان الله سبحانه وتعالى ضرب المثل لحركة الارض بمرور الجبال. وهي أبرز ماعليها، وليس ذلك في يوم القيامة لأنه في يوم القيامة لن تكون هناك جبال. ففي سورة طه يقول المولى جل شأنه «ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا. فيذرها قاعا صفصفا، لاترى فيها عوجا ولا أمتا». أي أن الله تعالى يقلع الجبال من أصولها يوم القيامة ويذر مواضعها أرضا ملساء بلانبات ولابناء ومستوية لا انخفاض فيها ولا ارتفاع.

وفي سورة عم: «وسيرت الجبال فكانت سرابا» أي لاشيء، كما أن السراب كذلك يظنه الرائي ماء وليس بماء. وقيل معنى «سيرت» نسفت من أصولها، وقيل: أزيلت عن مواضعها.

وفي سورة الواقعة «وبست الجبال بسا، فكانت هباء منبثا» بست: فتت كما يبس الدقيق اي يلت.

والبسيسة: السويق او الدقيق يلت بالسمن أو بالزيت ثم يؤكل دون طبخ، وقد يتخذ زادا قال الراجز:

لاتخبزا خبزا وبسابسا
ولاتطيلا عناخ حبسا

ذكر أبو عبيدة - معمر بن المثنى - ان هذا الشاعر كان لصا من غطفان أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن ذلك فأكله عجينا دون خبز.

والمعنى أن الجبال خلطت فصارت كالدقيق الملتوت بشيء من الماء.. أي أن الجبال تصير يوم القيامة ترابا فيختلط البعض بالبعض.

وقال الحسن البصري، «وبست» قلعت من أصلها فذهبت نظيرة «ينسفها ربي نسفا».

وفي سورة المعارج «يوم تكون السماء كالمهل، وتكون الجبال كالعهن». والعهن الصوف الأحمر أي أن الجبال تكون يوم القيامة كالصوف الآحمر المصبوغ، وهو أضعف الصوف ومنه قول زهير:

كأن فتات العهن في كل منزل
نزلت به حب القنا لم يحطم

وقيل العهن الصوف ذو الالوان فشبه الجبال به في تلونها الوانا والمعنى انها تلين بعد الشدة

وتتفرق بعد الاجتماع .

وفي سورة القارعة «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» اي تكون الجبال كالصوف الذي ينفش باليد . والمعنى أنها تصير هباء وتزول . . إن القول بحركة الارض دليل على عظيم صنعه تعالى في الارض وهو أبلغ من قولنا بثبوتها وقرارها . واذا تحركت الارض بقدرة الله تعالى في حركتها اليومية أو السنوية فإنه يتحرك معها كل شي حركة جماعية واحدة فيها وكل شي يبقى في محله ، فلاجبل نقم يكون محل عيبان ، ولاعيبان يكون في محل صبر ، ولاصبر في محل جبال الالب او الأطلس ، وكذلك الشأن في البلدان والاشجار والانهار والبحار والقبلة لاتتغير على الناس لان كل شيء في محله لأن الحركة كلية جماعية عامة للارض ولما على الارض ولمن على الارض سواء بسواء . وليس غريبا أن لايحس الانسان بمثل هذه الحركة الجبارة للارض . لانه أقل من الذرة وأصغر من النملة بالنسبة لضخامة وعظمة الكرة الأرضية ، فكيف يحس بحركتها وهو يتحرك معها من حيث لايشعر ولايدري والمحرك هو الله تبارك وتعالى الذي خلق كل شي فقدرة تقديرا .

ان الانسان وهو راكب في الباخرة قد لايحس بحركتها وهي تسير وكذا في الطائرة لولا صوتها لايحس بحركتها وهي تطير وتنهب الجو نهبا . فما الانسان بالنسبة لهذا الكوكب الارضي العظيم الاذرة .

وما الارض كلها بالنسبة الى الكائنات المخلوقة في هذا الكون العظيم الاذرة أيضا . قال الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي :

وما الارض بين الكائنات التي ترى
بعينيك الاذرة صغرت حجما
وأنت على الارض الحقيرة ذرة
تحاول جهلا أن تحيط بها علما

وقوله تعالى : «وجعل فيها رواسي» معناه : جعل في الارض جبالا ثوابت في أحيازها من الرسو أو ثبات الاجسام الثقيلة .

وهذا لاينافي حركة الارض اليومية والسنوية التي قال بها علماء الفلك ، فان الله تبارك وتعالى لو لم يخلق في الارض الجبال لمادت اي اضطربت . والميد : اضطراب الشيء العظيم . . وذلك ان الارض لما دحيت مادت فأرساها الله تعالى بالجبال ، كما قال جل شأنه : «وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم» و«والقى في الارض رواسي ان تميدبكم» . والميد التحرك والدوران ، يقال : ماد رأسه أي دار . والارساء الثبوت . قال عنترة :

وعرفت أن منيتي إن تأتني
لاينجني منها الفرار الأسرع
فصبرت عارفة لذلك حرة
ترسو إذا نفس الجبان تطلع

وقال تعالى : «والجبال أرساها» أي اثبتها في لارض اوتادا لها .

وانشد المبرد :

دحاها فلما رآها استوت
على الماء أرسى عليها الجبالا

وقال زيد بن عمرو :

وأسلمت وجهي لمن اسلمت
له الارض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها
بأيد وأرسى عليها الجبالا

فلما ألقى الله تعالى في الارض الرواسي ، وهي الجبال الثوابت انتفى ذلك الميد والاضطراب .

ووجه كون القاء الجبال في الارض مانعا لاضطرابها . . انها كالسفينة على وجه الماء . . والسفنة اذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب ، وتميل من جانب الى جانب بأدنى حركة شيء ، وان وضعت فيها أجرام ثقيلة تستقر . فكذا الارض لولم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت ، فالجبال بالنسبة اليها كالاجرام الثقيلة الموضوعة في السفينة بالنسبة اليها .

والمقصود أن جعل الرواسي في الارض لايعارض القول بحركتها بوجه من الوجوه ، كما أن السفينة اذا كان فيها أجرام ثقيلة تمنع اضطرابها وميلها من جانب الى جانب لاينافي حركتها .

قال علماء الفلك : ان السيار التابع للنظام

الشمس الذي نحن ساكنون عليه هو الارض . وذهبوا الى أن حركة الارض وكذا سائر الاجرام السماوية من الغرب الى الشرق لا كما يتراءى للناظر أن حركة هذه الاجرام من الشرق الى الغرب .

وأن للأرض حركة أخرى غير الحركة اليومية وهي الحركة السنوية . فللأرض عندهم حركتان : حركة يومية وهي دورانها على محورها مرة من الغرب الى الشرق ، ومنها اختلاف الليل والنهار ، وحركة من الغرب الى الشرق حول الشمس مرة واحدة في كل سنة ومنها تتكون الفصول الاربعة .

أما كون الارض كروية فقد قال بذلك علماء المسلمين ومنهم ابن تيمية حيث ذكر أن الافلاك كلها - بما فيها الارض - مستديره وليست مسطحة ووافق في ذلك علماء الفلك والحساب

. . فقد نقل رحمه الله تعالى عن أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي ، وأبي محمد ابن حزم ، وأبي الفرج ابن الجوزي . . أنهم حكوا الاجماع على ان الافلاك مستديرة . اذقال رحمه الله تعالى : فاما قوله تعالى «وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا» . فقد قيل : الحساب ، وقيل بحسبان كحسبان الرحا ، وهو دوران الفلك ، فإن هذا مما لاخلاف فيه : فقد دل الكتاب والسنة واجمع علماء الامة على مثل ماعليه علماء المعرفة من أهل الحساب من أن الافلاك مستديرة لامسطحة» .

وقال مجاهدا الحسبان الفلك المستدير شبهته بحسبان الرحاء وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنه .

وقوله تعالى «وهو الذي مد الارض» لا ينافي الكروية ، وما على الارض من الجبال والاودية والبحار لايخرج الارض عن الكروية ، فإن اعظم جبل بالنسبة اليها كنسبة سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع .

ولاينافى كرويتها مايدل عليه ظاهرها من المد والبسط والفرش ، فان هذا كلة لاينافي الكروية ، لأن المراد من بسطها وتوسعتها ومدها مايحصل به الانتفاع لمن حلها ، ولايلزم من ذلك نفي كرويتها ، لما ان الكرة العظيمة لعظمها ترى كالسطح المستوي ، وكأن كل قطعة منها سطح مفروش يصبح العقود والنوم عليه ، والكرة كلما عظمت قربت أقواس سطحها الى الخط المستقيم .

وفي الشريعة دلائل كثيرة تدل على كروية الارض . منها اعتراف الائمة باختلاف المطالع . فان الصبح في بعض البلاد يوافق المساء في بلاد اخرى ، وطلوع الهلال في بعض الافاق يوافق غيبوبته في بلاد أخرى .

والمراد باختلاف المطالع هو أن يتباعد المحلان بحيث لورؤى الهلال في أحدهما لم ير فى الآخر غالبا . ولايمكن اختلافهما في أقل من اربعة وعشرين فرسخا . اي مسير ثلاثة أيام على الدابة أو على الاقدام .

فاذا أخبر مخبر برؤية الهلال في بلد فان قرب ذلك البلد فالحكم واحد وان بعد فلأهل كل بلد رؤيتهم . كما روى عن عكرمة وابن عباس وغيرهما واليه أشار البخاري حيث بوب «لأهل كل بلد رؤيتهم» .

وحكى ابو عمر الاجماع على أنه لاتراعى الرؤية فيها بعد من البلدان كاالاندلس من خراسان ، وقال : ولكل بلد رؤيتهم الاماكان كالمصر الكبير وماتقارب أقطاره من بلدان المسلمين .

روى مسلم عن كريب انه قال : «رأيت الهلال بالشام ، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت ، رأيناه ليلة الجمعة . فقال انت رأيته؟ فقلت ، نعم ، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية . فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلانزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه . فقلت : اولاتكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال : لا «هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

وهذا حجة على أن البلاد اذا تباعدت كتباعد الشام من الحجاز فالواجب على اهل كل بلد أن تعمل على رؤيته دون رؤية غيرهم .

وقول ابن عباس «هكذا امرنا رسول الله صلى

الله عليه وسلم» يحتمل أنه اراد قول النبي صلى الله عليه وسلم «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» . . وقال ابن العربي: «واختلف في قول ابن عباس هذا ، فقيل ، رد قول كريب لأنه خبر واحد ، وقيل رده لأن الاقطار مختلفة في المطالع ، وهو الصحيح ، لأن كريبا لم يشهد ، وإنما أخبر عن حكم ثبت بالشهادة . . » .

ويقال : ان مطلع اليمن يختلف عن مطلع الحجاز اذ إن مطلع اليمن يعتبر من حلي ابن يعقوب الى باب المندب .

ويلزم من رؤية الهلال في البلاد الشرقية رؤيته في البلاد الغربية ولاعكس إذ أن الليل يدخل في البلاد الشرقية قبل البلاد الغربية فيلزم من رؤيته في مكه رؤيته في مصر ولاعكس .

وهكذا الشمس وسائر الكواكب . . ففي بعض الافاق يرى القطب الشمالي فوق رؤس أهله ، والقطب الجنوبي لايرى أصلا وسكان خط الاستواء يرون القطبين على الافق ، وفي بعض البلاد تكون الحركة فيه دولابية ، وفي البعض حمائلية ، وفي البعض الأخر رحوية . وكل ذلك مبني على كروية الارض ولولاها لما كان شيء من ذلك .

واذا كان أبو الريحان البيروني المتوفي سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م أو أحمد ابو سعيد السجزى المتوفي سنة ١٠٢٤م أول من قال بفكرة حركة الارض وكرويتها من المسلمين فان أبا الحسن علاء الدين على بن إبراهيم بن محمد الانصاري المعروف بابن الشاطر الدمشقي المؤذن المتوفي سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م هو أول من برهن على حركة الارض وكرويتها بالارصاد الفلكية قبل «كوبر نيكوس» و «جاليليو» بحوالي خمسة قرون من الزمان .

ولد ابن الشاطر وتوفي بدمشق الشام . وقضى معظم حياته في وظيفة التوقيت وزئاسة المؤذنين في المسجد الأموي بدمشق . ونال شهرة عظيمة بين علماء عصرة في المشرق والمغرب كعالم فلكي ، ولقبوه بالعلامة ،ـ والعلامة صيغة مبالغة تدل على كثرة العلم ـ درس في القاهرة والاسكندرية علمي الفلك والرياضيات وبرع في علمي الهندسة والحساب ، ولكنه لم يلبث حتى توجه الى علم الفلك وتخصص فيه فأبدع فيه وأجاد ، وهذا يظهر من ابتكاراته مثل الاصطرلاب ، وتصحيحه للمزاول الشمسية وتعليقة على ذلك وشرحه وانتقاده لكثير من نظريات بطليموس .

طلب الخليفة العثماني مراد الأول ـ الذي حكم الشام مابين ٧٦١ ـ ٧٩١هـ / ١٣٦٠ ـ ١٣٨٩م ـ من ابن الشاطر أن يصنف له زيجا ـ جداول فلكية ـ يحتوي على على نظريات فلكية ومعلومات جديدة فاستجاب له ابن الشاطر ، والف زيجا جديدا قدم فيه نماذج فلكية قائمة على التجارب والمشاهدة والاستنتاج الصحيح . ولكن «كوبر نيكوس» البولوني او البولندي لم يتورع عن ادعاء هذه النظريات والنماذج لنفسه ، وخدمه لاحقوه في أوروبا في هذا الادعاء حتى القرن العشرين .

ذكر المستشرق الانجليزي الدكتور «ديفيد كنج» أن الكثير من النظريات الفلكية المنسوبة لكوبرنيكوس قد أخذها هذا الاخير من العالم المسلم ابن الشاطر فقد وجدت في عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م مخطوطات عربية في «بولندا» مسقط رأس «كوبر نيكوس» ، واتضح بهذا جليا أن «كوبر نيكوس» كان ينقل تلك المخطوطات العربية ويدعيها لنفسه . كما نقل الطبيب الانجليزي «وليم هارفي» مخطوطة ابن النفيس ونسب اكتشافاته الطبية في الدورة الدموية لنفسة .

يعتبر ابن الشاطر أول فلكي مسلم برهن على ان الارض والكواكب متحركة ، وأول من عدل نظرية بطليموس المتوفي بعد عام ١٦١م «٩» القائلة : «إن الارض هي مركز الكون ـ اي ثابتة ـ وإن الاجرام السماوية كلها تدور حول الارض دورة كل ٢٤ ساعة» .

إن الذين سبقوا ابن الشاطر الى تخطئة نظرية بطليموس هذه لم يقدموا اي تعليل او تعديل لتلك الاخطاء امثال السجزي والبيروني وابن الهيثم ونصير الدين الطوسي وغيرهم .

قال ابن الشاطر : ان كلا من ابن الهيثم

ونصير الدين الطوسي وغيرهم من علماء العرب والمسلمين قد ابدوا شكوكهم في نظرياته بطليموس الفلكية ، ولكنهم لم يقدموا تعديلا لها.

فقد كان العالم كله في عهد ابن الشاطر يعتقد بصحة نظرية بطليموس . . ولكن الارصاد الفلكية التي قام بها العالم العربي المسلم ابن الشاطر برهنت على عدم صحة تلك النظرية . ويعلل ابن الشاطر ذلك بقوله : «ان الاجرام السماوية لايسري عليها هذا النظام الذي وضعه بطليموس ، فعلى سبيل المثال ذكر - بطليموس - أنه اذا كانت الاجرام السماوية تسير من الشرق الى الغرب فالشمس إحدى هذه والكواكب تسير . ولكن لماذا يتغير طلوعها وغروبها ، واشد من ذلك أن هناك كواكب تختفي وتظهر وسموها الكواكب المتحيزة لذا فالأرض والكواكب المتحيزة تدور حول الشمس بانتظام ، والقمر يدور حول الارض» . . وهذا الاثبات بواسطة الارصاد الفلكية الذي قام به ابن الشاطر هو بالحرف الذي نسب الى «كوبر نيكوس» قرونا عديده بعد ابن الشاطر ثم جاء «جاليليو» الايطالي الذي تشبع بفكرة ابن الشاطر فابتكر أول تلسكوب وأخذ يراقب حركة النجوم باستخدام هذا الجهاز ووجد اكثر من دليل علمي على أن نظرية ابن الشاطر صائبة .

فابن الشاطر اول فلكي مسلم عرف بالارصاد الفلكية أن الارض كوكب يسبح في الفضاء . وأول من قال : ان دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها يسبب اختلاف الليل والنهار ، ثم اختلاف الفصول الاربعة : الصيف والخريف والشتاء والربيع . وهو أول من توصل الى نتيجة صائبة ودقيقة في قياس زاوية انحراف دائرة البروج . فقد وجه ابن الشاطر اهتمامه البالغ لقياس انحراف دائرة البروج فوصل الى نتيجة دقيقة جدا وهي ٢٣ درجة و٣١ دقيقة .

وقد شهد له بذلك المستشرق «جورج سارتون» . اذ يقول في كتابه «المدخل الى تاريخ العلوم» : «إن ابن الشاطر عالم فائق في دكائه ، فقد درس حركة الاجرام السماوية بكل دقة وعناية ، فأثبت أن زاوية انحراف دائرة البروج تساوي ٢٣ درجة و٣١دقيقة ، وذلك سنة ١٣٦٥م ، مع العلم أن القيمة الصحيحة التي توصل اليها علماء القرن العشرين بواسطة الآلات الحاسبة هي ٢٣درجة و٣١دقيقة و٨ر١٩ثانية» .

وهكذا نرى أن علماءنا سبقوا أوروبا الى دراسة نظرية حركة الأرض وكرويتها ، ومحاولة اثباتها بالاجتهاد - واستنباط الادلة الشرعية ، وبواسطة الارصاد الفلكية . وأن نظريات ابن الشاطر الفلكية القيمة سيطر عليها «كوبر نيكوس» وادعاها لنفسه . كذبا وبهتانا ، وأيده في كذبه علماء الغرب في الفلك لمدة تضاهي خمسة قرون .

لقد سيطر علماء النهضة الاوروبية على الانتاج العلمي الاسلامي وادعوه لانفسهم ولازال الغرب الى يومنا هذا يتبعهم في ادعائهم رغم الادلة القاطعة التي أتى بها علماء المسلمين المتخصصون ، وأتى بها علماء الغرب انفسهم الدالة على خطئهم أمثال الدكتورة «زيغريد هونكه» والدكتور «ديفيد كنج» والدكتور «جورج سارتون» وغيرهم من المستشرقين وإنه لمن المؤسف جدا أن تصل تلك الادعاءات الى كتبنا الثانوية والجامعية التي تترجم حرفيا والتي يندر فيها جدا أن تنسب اية نظرية او انتاج علمي مبتكر الى أهله الحقيقيين ومبتكريه الاول .

إنني أكرر القول بأن العلماء العرب المسلمين سبقوا «كوبرنيكوس» و«جاليليو» الى فكرة كروية الارض ودورانها ، واقاموا البراهين والمراصد الفلكية التي اثبتوا من خلالها أن الارض والكواكب مستديرة ، وتدور حول الشمس بانتظام وأن القمر يدور حول الارض . . يقول المسعودي المتوفي سنة ٢٤٦هـ/ ٩٥٦م ، واما الدلائل على أن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع مافيها من الكواكب ، وأن الارض بجميع اجزائها من البر والبحر على قدر مثال الكرة ، وأن كرة الارض مثبتة في وسط

السماء كالكرة وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة في الدائرة صفرا ، واختلاف الليل والنهار ووصف المواضع التي تطلع الشمس فيها شهورا لاتغرب ، وتغتب شهورا لاتطلع ، ووصف الربع المسكون من الارض ومايعرض من دور الفلك . فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما اتضح عليه وما انتصب من البراهين وما قاله الناس في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب «أخبار الزمان».

إن اسهام امتنا العربية والاسلامية وابتكاراتهم العلمية التي يدين لها العالم أجمع ، والتي قاموا بها في الوقت الذي كانت فيه اوروبا تعيش في عصور مظلمة لم يحظ بالاهتمام اللائق من قبل الباحثين في البلاد العربية والاسلامية حيث كان اهتمامهم بدراسة العلوم الدينية والادبية فقط وهذا ما أكد ادعاء علماء الغرب الذين تمكنوا من تقديم دراسات مستفيضة في المجال العلمي نسبوها الى انفسهم مما ادى الى طمس الحقيقة وبالتالي تنكروا لما قدمه علماء العرب والمسلمين من ادوار بارزة ومميزة.

الهوامش

١ ـ ارشميدس أو ارخميدس ولد عام ٢٨٧ق.م وتوفي عام ٢١٢ق.م في صقلية ، وهو عالم يوناني له الاكتشافات العديده منها : نسبة قطر الدائراة الى محيطها . وهي نسبة ٧ الى ٢٢ . والقانون المعروف باسمة وهو «ان كل جسم اذا نغمس في سائل يتلقي دفعة عمودة من أسفل الى اعلى توازي ثقل ما شغل مكانه من السائل.

(٢) كوبر نيكوس نيقولا : ولد في مدينة بولونية واسمها: «تورون» عام ١٤٧٣م درس في جامعة «كراكاو» ببولونيا اولا ثم في الجامعات الايطالية ، حتى تضلع في الادب والرياضيات والفلك والطب والقانون والاقتصاد . وقد اطلع على نظريات ابن الشاطر ونماذجه الفلكية ، وتشبع بفكرته ، ولم يتورع عن ادعاء تلك النظريات والنماذج لنفسه ، وخدمه لاحقوه في أوروبا في هذا الادعاء حتى القرن العشرين وتوفي كوبر نيكوس عام ١٥٤٣م.

٣ ـ جاليليو او غاليليو الايطالي ولد عام ١٥٦٤م وتوفي عام ١٦٤٢م اشتغل بعلم الفلك والرياضيات والطبيعة وضع أسس العلم التجريبي الحديث ، اتجه اولا للدراسات الطبية ثم تغلبت عليه رغبة البحث في الرياضيات والطبيعة . فاثبت بالتجربة ان مدة ذبذبة البندول ثابتة مهما تغيرت سعتها . .

اخترع ميزان الحرارة واثبت خطأ تعليميا ارسطو عن حركة الأجسام فوجد انها تسقط بنفس السرعة وبعجلة ثابتة مهما اختلف وزنها واثبت ان مسار القذيفة قطع مكافىء وفي عام ١٦٠٩ صنع اول منظار فلكي اظهر به ان سطح القمر جبلي وان الطريق اللبنية بها عدد لايحصى من النجوم . .

٤ ـ قالت المستشرقة الالمانية «زيغريد هو نكه» : «ان كوبر نيكوس (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣م) الفلكي البولوني برهن عن دوران الكرة الأرضية على ذاتها وحول الشمس ، فغير النظرية القديمة ـ القائلة ـ بأن الارض ثابتة وأن الشمس تدور حولها ، وهو بذلك يعتبر مؤسس علم الفلك الحديث ولكن الفضل الاول يرجع الى البيروني العلامة العربي الذي قال ذلك قبل خمسمائة عام».

٥ ـ السلطان مسعود هو ابن السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند . . ظهرت الدولة الغزنوية في حدود سنة ٤٠٠هـ ١٠١٠م.

وقد استقر أبو الريحان البيروني في بلاط يمين الدولة وأمين الملة أبي القاسم محمود بن سبكتكين السلطان الغزنوي الذي فتح الهند وامتد سلطانه من الهند الى نيسابور . وكان تركي الاصل مستعرب ، وكان ذاحكمة وحزم وعلم ، من اعيان الفقها ، أديبا خطيبا . وكان يقدر البيروني حق قدره فقربه اليه في غزنة وجعله في صحبته حينما غزا الهند توفي السلطات محود الغزنوي في غزنة سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م وتولى الحكم بعده ابنه محمد ، ولكن السلطان مسعود انتزع الحكم من أخيه محمد لما دخل غزنة سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م . وكان مسعود في زمن أبيه واليا على اصفهان . وبعد ان تولى الحكم سار على منوال أبيه في تكريم البيروني ، ومن هنا انهى البيروني تأليفه الذي ألفه سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م وأهداه الى السلطان مسعود ، سماه «القانون المسعودي في الهيئة والنجوم». كان السطان مسعود موفقا ذافتوحات وانتصارات وآثار ، شجاعا كريما محسنا . . ولكن الجند ائتمروا به وقتلوه سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م.

٦ ـ البيروني : جاء في «الانساب للسمعاني» مادة «البيروني» بكسر الباء الموحدة وسكون ، الياء آخر الحروف ، وضم الراء وبعدها الواو ، وفي أخره نون . هذه النسبة الى خارج خوارزم . فان بها من يكون من خارج البلاد ولايكون من البلاد نفسها ، يقال له :

فلان بيروني . والمشهور بهذه النسبة ابو الريحان محمد بن أحمد المنجم البيروني».

ويقول ياقوت في معجم الادباء» جـ١٧ ص١٨٠ : « وهذه النسبة (البيروني) معناه (برا) ، وسألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلا وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم ، كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريبا وما أظنه يراد به الا انه من أهل الرستاق - السواد والقرى - يعني أنه من برا البلد».

وأخطأ ابن أبي أصيبعة في كتابه «عيون الانباء» جـ٢ص٢١٠ لما ظن أن البيروني «منسوب الى البيرون ، وهي مدينة في السند». فقد خلط ابن أبي أصيبعة بين «بيرون» في خوارزم . . و«النيرون» المدينة المشهورة على شط نهر مهران أو نهر السند المسماه الآن «نيرون كوت» أو «حيدر أباد السند».

فالبيروني فلكي عربي من أصل فارسي ولد حوالي عام ٩٧٣م في بيرون بضاحية خوارزم . درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندية . .

وكانت بينه وبين ابن سينا علاقة وثيقة . . وأتاحت غزوات السلطان محمود الغزنوي للبيروني دراسة بلاد الهند وعلومها دراسة طوى عليها كتابه الذي وضعه سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م عن تاريخ الهند الموسوم : «تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» . ووضع معادلة لاستخراج مقدار محيط الارض ، يسميها علماء الافرنج : «قاعدة البيروني» ويعترف «نيللينو» بأن قياس البيروني لمحيط الارض من الاعمال العلمية المأثورة للعرب . كما كان اول من أثبت حركة أوج الشمس . وقد لازم البيروني البلاط الغزنوي الى أن توفي في الثالث من رجب سنة ٤٤٠هـ الموافق ١٣/ ١٢/ ١٠٤٨م كما يذهب بعض من عكفوا على دراسته . ويذكر ابن الاثير أنه توفي في حدود سنة ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م أما المستشرق «جورج سارتون» فإنه يحدد وفاته في سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م وكذلك يرى بروكلمن . . اما المستشرق «كندي» فعنده أن موته كان بعد سنة ١٠٥٠م أي سنة ٤٤٢هـ.

٧ - تهملج : تمشي مشية سهلة في سرعة . يقال دابة هملاج أي حسنة السير في سرعة .

٨ - القشيري : هو أبو القاسم عبدالكريم بن هو ازن صوفي شافعي له التفسير الكبير ، والرسالة القشيرية . توفي سنة ٤٦٥هـ.

٩ - بطليموس : هو كلوديوس بطليموس . عالم فلك ورياضة وجغرافيا وفيزيقيا . ومؤرخ يوناني الأصل مصري النشأة نشأ في الاسكندرية في الربع الثاني للقرن الثاني للميلاد . اكتشف عدم انتظام حركة القمر . وله ارصاد عامة عن حركات الكواكب ، وكان يرى أن الشمس في مركز الكون ثابتة غير متحركة ، وأن الشمس وباقي الاجرام السماوية تدور حولها في دوائر وبسرعة منتظمة .

المراجع

١ - الموسوعة العربية الميسرة جـ١ ص١١٧ وجـ٢ ص١٤٩٥ .

٢ - تقدم العرب في العلوم والصناعات . لعبد الله بن العباس الجراري ص٣٠-٣١ .

٣ - كنوز من الفكر العربي . لأسامة عانوتي ص١٨٦ - ١٩١ .

٤ - العلم اسراره وخفاياه . تأليف «هارلو شابلي» وترجمة : (محمد صابر سليم جـ١ ص٤٧) .

٥ - شمس العرب تسطع على الغرب للدكتورة زيغريد هونكة ص١٨٨ .

٦ - المسلمون وعلم الفلك . لمحمد محمود الصواف . ص٤٦-٦٣ .

٧ - اعانة الطالبين للسيد البكري الدمياطي جـ٢ ص٢١٩ .

٨ - تفسير القرطبي جـ٢ ، جـ٩ ، جـ١٠ ، جـ١١ ، جـ١٣ ، جـ١٧ ، جـ١٩ .

٩ - مجلة الافكار البيروتية ١٤/٤/١٩٨٦م العدد ١٩٩ .

١٠ - مجلة العربي ابريل ١٩٧٧م العدد ٢٢١ .

١١ - مجلة الفيصل مايو ١٩٧٩م العدد ٢٤ .

١٢ - الاطلس الجديد للعالم ص٨-٩ .

١٣ - الله والعلم الحديث للاستاذ عبدالرزاق نوفل ص٤٣ .

١٤ - معجم الادباء جـ١٧ ص١٨٠ .

١٥ - عيون الانباء جـ٢ ص٢١٠ ١٦٠ - طبقات سلاطين الاسلام ص٢٦٤ - ٢٦٩ .

١٦ - مقدمة الطبعة الاولى لكتاب «أخبار الزمان» للمسعودي ص١٣ .

فنون وآداب شعبيّة



سمر :

بريشة الفنان :
عبد العزيز ابراهيم

العتاب في أغاني المرأة الريفية

إبراهيم عبد الرشيد

كل من يحب ويخلص ، من حقه ان يعاتب من احب او من يحب ، والعتاب اما ان يكون رخم يكفل استمرار هذه العلاقة السامية او يكون نغم يكشف موقف احد المحبين من حب مضى . ومن عبير العتاب في اغاني المرأة الريفية تتكشف امامنا العديد من الحقائق وتتضح الكثير من البراهين والادلة ، فالمرأة الريفية بكل صدقها ووضوحها وبساطتها كما عرفناها في اغاني اخرى نجدها كذلك صادقة وفيه ودودة في اغاني العتاب . انه عتاب من يحب ويحرص جهده على عدم فقدان قلب الحبيب . وكما لاحظنا في مواضع مختلفة من اغاني المرأة فاننا سنلاحظ في اغاني العتاب الطابع العاطفي النفسي المستوحي دائما من صميم حياة ومعاناة المرأة الريفية . .

وهو عتاب موجه كله دوما نحو من تحب او من تربطه علاقة ما بمن تحب . . ان المرأة لاتمانع من ان للهجرة اسباب واقعية في كثير من الاحوال . . الا انها مع ذلك تريان الرجل لو فكر بمن يقلقهم ويشقيهم غيابه ربما لعدل عن الهجرة وتصور المرأة هذا الموقف بقولها :-

من ضاق حاله توجه له الخبوت (١)

سيب حبيبه يجي والا يموت

انهما موقفين متناقضين كما تصورهما هذه الاغنية ففي الشطر الاول رأى موضوعي في عوامل الهجرة وفي الشطر الاخر نقف امام تيار من العاطفة تستجدي من خلاله المرأة الرجل بان يراعي مشاعرها واحاسيسها كأنسانة رقيقة ذنبها انها تحب . . ان المرأة هنا تتعامل مع الواقع والهجرة كخصمين لها ، ولذلك فهي تعاتب حبيبها على استسلامه لظروفه وبالتالي قبوله بواقع الهجرة على حساب حياة ومشاعر حبيبته . كذلك يظل الحب والفراق أبدا عدوان لدودان لبعض لايمكن الجمع او التوفيق بينهما . . ان المحب الحقيقي يتمنى دائما ان يعيش الى جانب . . حبيبه وليس الذي يقلقه بالتفكير فيه ، وها هي المرأة تصور هذا الموقف بقولها :-

الشمس غابت واختفت بكبه (٢)

محبه المبعد تصير كذبه

فالمرأة تريد ان تقول بان من يغيب عن العين يغيب عن القلب ايضا فهي لا تتصور ان الرجل يمكن ان يحب حبيبته ويغيب عنها بعيدا في وقت واحد . . وتبدو المرأة هنا بائسة من هذا الحب الذي ابتلى بالفراق والبعد حتى فقد معناه الحقيقي ولم يبق منه الا ما تختزنه الذاكرة من المواقف والذكريات عن ماض جميل يورق صاحبته هذه ويقلقها . .

وفي لحظات النشوة والسعادة والحب التي تسبب موعد رحيل الحبيب بعيدا عن حبيبته وارضه واهله كثير ما يكيل لها الوعود الجميلة

مستخدما الالفاظ المختلفة في سبيل التعبير عن حبه لها وعن صدق هذا الحب وانه لن يفرط ولا قيد شعره واحدة بهذا الرباط المقدس القائم بينهما . . الا ان الرجل بعد ذلك قد لايستطيع لسبب او لآخر الوفاء بوعوده وعهوده لها . . فتصور المرأة ذلك الموقف بقولها :-

حبيبي اركتني ركينة (٣)

خليتني راكب على سفينية

ان المرأة هنا تبدو مازالت حائرة مع وعوده العريضة لها ، فلم تدر بعد ان كانت تلك الوعود صادقة ام كاذبة مما جعلها تعيش في عالم من الخيال الذي صورنه بقولها « راكب على سفينة . . ولهذا السبب سوف تحاول ان تذكره بوعوده وعهوده لها لكيلا يستمر في تجاهله فتقول :-

طرحتلي عهدك على البنان

انك حبيب قلبي طول الزمان

فهي هنا تذكره بذلك العهد الذي اعطاها اياه واكد لها خلاله بانه سوف يكون حبيبها من دون كل النساء طوال حياتها . . فما باله اليوم قد بدأ يتجاهل هذا القسم . . ومع ذلك فهي مازالت حائرة بين ان يكون قد نسى او انه يتناسى . .

وتستمر المرأة في عتاب حبيبها محاولة استثارة عواطفه بذكر بعض الاماكن التي جمعتهما معا في اشد لحظات الحب والعناق فتقول :-

طرحتلي عهدك فوق القعادة (٤)

والعرش مفتوح والنجوم شهادة

فالمرأة هنا تستخدم اقصى ما تستطيع من اثارة عاطفية وجنسية كذلك ، فالسرير والنجوم اسماء لاشياء يعرفها ليل العشاق والمحبين وهي وحدها التي تشاركهم في كل ما يفعلون خلال ذلك الليل الساكن بعيدا عن اعين الاخرين . . اما كلمة العرش مفتوح . . فتشير الى استثارة دينية ، فالله العالم بما دار بينهما في تلك الليلة من حب وود وصفاء وعهود قادر على ان يثيب الوفي ويعاقب الجاحد . .

وتمضي المرأة في استعراض مجمل مادار بينها وبين حبيبها في تلك الليلة من لياليهم الجميلة . . فتذكره بكل الوعود والعهود وكيف كان يصيفها فتقول :-

طرحتلي عهدك وحدك لوحدي

ليطرحوا لحدك جنب لحدي

انها تذكره بان احدا لم يرغمه على ذلك العهد الذي منحه لها واعدا اياها بانها سوف تكون حبيبته حتى الموت . . ولشدة تعلقه بها وحبه اكد لها حرصه على الا يفترقا حتى بعد الموت . . وفاءا لذكرى ونقاء هذا الحب . .

وبعد هذا العتاب العاطفي الممزوج باثارة ذكريات الماضي ولحظاته الجميلة التي جمعت هذه المرأة الطيبة مع حبيبها الغائب عنها . . تعود فتتساءل من جديد عن مصير تلك العهود المتعددة فتقول :-

عادك على عهدك او قانسينا (٥)

او قاحكم (٦) رب السماء علينا

انه تساؤل بريء اجمل ما فيه ان المرأة جعلت من نفسها طرفا مباشرا في هذا المصير الغامض لعلاقتها بحبيها . . اما في الشطر الثاني من هذه الاغنية فتتضح النزعة القدرية التي تميز سلوك الريفي عامة ، حيث نجد المرأة مقتنعة بانه في حالة انتهاء علاقتها مع من تحب فان ذلك قدر محتوم . . وخارج عن ارادتيهما معا . .

الا ان المحب الصادق يصعب عليه نسيان حبه بهذه البساطة فالحياة والحب والشباب امور لاتعوض . . وعندما تتبين المرأة ان كل محاولاتها السابقة في سبيل اعادة المياه الى مجاريها بخصوص علاقتها بحبيبها يتملكها الحزن والغضب وتكتشف ان كل وعود وعهود حبيبها لها كلها كانت كاذبة وصادرة من انسان مجرد من مشاعر العطف والحب والوفاء . . فتقول :-

عرفتلي وآزندقي وابن سوق

تركتلي عهدك وسط صندوق

انها المرة الأولى التي اضطرت فيها المرأة لان تصدر حكما قاسيا على من كانت تربطها به علاقة حب سابقة بعد ان اكتشفت بان عهوده معها كانت مجرد خداع ودجل مما جعله يرمي

جانبا بذلك العهد الذي قطعه لها غير مبال بأي قيمة اخلاقية او انسانية . . وتستمر المرأة في تجسيد غضبها الشديد وتقززها من هذا الانسان الذي لعب بعواطفها واستهتر بمشاعرها في حين كانت هي مطمئنة اليه وصادقة في حبها له وشعورها نحوه . . فتقول :-

عرفتلي وازندقي والطلاس (٧)
تشل خبر مني وتعلم الناس

فهي هنا سائرة في تعداد مساوىء هذا الرجل الذي خانها وخان حبها ، فوصفته اولا بانه «زندقي» و «ابن سوق» وخائن العهد واضافت في الاغنية الاخيرة بانه طلاس . واخيرا وصفته بانه واش لايؤتمن على سر . .

لكن ماذا يفيد العتاب وماذا تفيد الشكوى مادامت قضايا الحب والخيانات فيه من جانب الرجل غير قابلة للنقاش وليس للمرأة الحق في المطالبة بحقوقها في هذه القضايا مهما كانت الاسباب . . فنجدها تقول :-

رحت اشتكي والمحكمة مبند (٨)
ياقلة الانصاف يادين محمد

ان عدم الانصاف لن يكون الا في محكمة مفتوحة ، لكن ماذا تفعل هذه المرأة المغلوبة على امرها ونظام المحاكم لايعرف للحب طريق . .
اما الشطر الاخر من الاغنية فهو صرخة واضحة في وجه الحكام الذين لايراعون العمل وفق احكام الشريعة الاسلامية التي تحرم الظلم والقهر وامتهان كرامة الانسان . . كما ان شريعة الاسلام وضعت المساواة كمبدأ اساسي في سبيل ارساء دعائم المجتمع الاسلامي ، فما بال هؤلاء الحكام اليوم لايعملون وفق احكامها . . وحتى لو افترضنا ان المرأة وصلت بقضيتها الى المحكمة وطرحتها امام الحكام فانها لن تجد منهم سوى السخرية واللوم الشديد لانها تشكو رجل لاتقر لها المحكمة بشيئ عنده او بعقاب يستحقه . . فتقول :-

رحت اشتكي والمحكمة تبكي
ابكي على ابن الناس ما هوش بملكي (٩)

ها هي اخيرا قد اقتنعت بالامر الواقع وعادت الى نفسها راضية بحظها فلا المحاكم ولا الدموع ولاغيرها يمكن ان تعيد لها حبيبها الذي اضاع حبها وحياتها . .

لكن المرأة بعد ان تهدأ اعصابها وتستكين عواطفها وتسترجع ذكريات ماضيها الجميل تتدخل عاطفتها الانثوية تعود من جديد لتكشف كل اوراقها وتفضح كل مشاعرها الرقيقة . . فتصور مدى ارتباطها النفسي والشعوري بذلك الرجل الذي احبته في يوم ما واخلصت له مما جعل من الصعب عليها ان تتناساه حتى بعد ان ايقنت بانه قد بعد عنها كلية وذهب يبحث عن غيرها . . فتقول :-

يامرة القهوة وعادني اسكب
لما علمت ان الحبيب يخطب

غريب امر هذه المرأة وغريب امر عواطفها فقد اصبحت تتجرع المر مرة تلو الاخرى ومع ذلك فما زالت تسميه حبيب وهو في حالة خطوبته الرسمية لا مرأة اخرى . . لكنها عواطف المرأة التي لاتعرف الا الحب والصدق والوفاء . . ان الحب قد اعماها عن ان ترى شيئ وان الوضوح العاطفي الذي يميزها قد اعماها عن ان تنظر الى الحقيقة بعين متأنية ومتزنة . . فنجدها تسير في نفس هذا الشعور وتقول :-

يامرة القهوة والبن محوج
لما علمت ان الحبيب تزوج

ها هو طعم الحلو اصبح مرا بعد ان تزوج حبيبها السابق . . وليس هذا غريبا ، انما الغريب هو اصرارها وتمسكها بان تسميه حبيب دون تفريط في هذا المعنى الذي لم يعد لها منه سوى الذكريات والرباط الشعوري القديم ، رغم اقتناعها بانه لن يعود لها ابدا .

لكن يبقى لكل انسان في الحياة رأيه ومزاجه ، والمرأة في كل هذا تحدد موقفها واحساسها ومشاعرها . . من ظروف ولحظات عاشتها واقتنعت بها . . وثقتها من سلوكها هذا تجعلها تستغرب على الاخرين فضولهم وتدخلهم في خصوصيات حياتها فتصور هذا الموقف بقولها :-

تجلجل الدمع قالوا تكذب
قاني على عهدي قالوا مبطل

لكنه طبع الحساد الذين لايبرحون من عبثهم بانسانية الاخرين ولا يهدأ لهم جفن الا بعد اقلاق راحة الطيبين . .

اننا مهما بعدنا قليلا او كثيرا في جوانب وابعاد عتاب المرأة مع من تحب فنحن امام تيار من الحب والعاطفة سرعان ما تتجدد . . فبعد كل ما آلت اليه علاقتها مع حبيبها تعود من جديد الى عتابه الرقيق المفعم بالصدق والبساطة في التعبير فتقول :-

ويلك من الله عيبت بي واعائب
شاشهد علوك مطلع السحائب

انها لاتملك من الرد على هذا الرجل الذي انتقص كرامتها وخدش كبريائها كذبا وزورا امام الاخرين الا ان تلسم امرها الى الله ليحكم بينهما ، ثم تمضي الى ابعد من هذا في عتاب من كانت تحبه وخان حبها مبينة له بانه لم يكن لها اي ذنب في كل ما اوقعه بها من اذي وتشهير ، وربما كان العذال هم الذين اوقعوا بينهما فتقول :-

ترمي رصاص واني ارجمك بفلي
لا علموك الناس عليا قول لي

ما اجمل هذه البساطة في التعبير وهذا الوضوح في المعنى واستخدام الرمز المناسب فالرصاص هنا مقصود به كلمات التشهير امام الاخرين بعد ان خان حبها ، ومع ذلك فهي ترد على رصاصاته باغصان جميلة من الورد الجميل . . يالها من صورة جميلة تنهيها باعتقادها المتفائل بان الاخرين ربما يكونوا هم سبب ذلك الفراق وهذا التشهير . .

ويستمر هذا العتاب الرقيق والتأسي على الماضي والبكاء على اطلالة فتقول :-

داري ودارك يا الحبيب مقابل
يامن ترك الحب له القنابل

انه ندم عاطفي رقيق على فرصة ذهبت بعد ان توفرت فيها خصائص اخرى غير الحب مثل الجوار وفقدانها لهذا الحب افقدها هذه المزايا التي قد لا تعوض . . لكن قد تكون هناك ظروف اخرى غير الواقع الاجتماعي وغير ان يكون لاحد الطرفين فيها سببا في الفراق . . كأن يكون الاب ، اب الزوجة او اب الزوج مثلا هو السبب الوحيد في الفصل بين حبيبين عاشقين كانا يعيشان في قمة السعادة فتصور المرأة هذا الموقف بقولها :-

جذعتني جذع الخبش من امه
واحرمتني صدر الحبيب لاشمه

فهي هنا تعتب على ابيها سلوكه اللا انساني الذي ادى الى ان ينتزعها من العش الذي كانت تعيش فيه سعيدة معززة مكرمة تتبادل الحب مع حبيبها فاحرمها بالتالي من كل ذلك الحب والحنان فصورت سلوك اباها هذا معها كالذي ينزع وليدا خروفا من امه ، وما اقسى ان ينزع وليد من امه ـ حيوان كان أم انسان ـ انه موقف آخر من مواقف المرأة تجاه ما يفرض عليها عنوة من تقاليد في غاية القسوة والشراسة . .

● الهوامش :-

١ـ الخبوت الاراضي الصحراوية الواسعة
٢ـ الكبة : الاكمة المرتفعة
٣ـ اركتني : وعدتني ، والركينة الوعد المؤكد
٤ـ القعادة : تعني باللهجة اليمنية السرير
٥ـ قانسينا : اي قد نسينا
٦ـ قاحكم : اي قد حكم
٧ـ طلاس : اي مراوغ وكذاب
٨ـ مبند : تعني مقفل

الشيخ وولده الأسعد

إعداد/ صالح السعيدي

دخل الأسعد على ابيه وقال اسمع ياوالدي اشتي اتزوج ، أنا وحدي الذي جالس بدون زواجه وكل أسناني(١) قد تزوجوا وأنا باقي بدون زواج . فقال والده: اسمع ياولدي خذ لك هذا المال وسير في الدينا واعمل به الصواب وتجنب الخطأ ، فأخذ الولد المال وركب على حصانه وسافر وظل يسير دبي ودبي أرض تبدي وأرض وأرض تِغِبْدي(٢) وبينما كان يسير ابصر انسانا يحرث الأرض فقال له ياأخي شيء عندك مطلوبي فقال له البعض موجود والبعض يصل الينا الآن فعرف الأسد أن الماء موجود والعيش غير موجود ، وقال حينما توصل زوجتي بالغداء واختبي انت ، وحينما أبدأ أنا بالأكل جئني وكل معي فاختفى الأسعد ، وحينما وصلت الزوجة ومعها الغداء قفز الأسعد مثل الأسد وتغدى مع الرجل وحينما فرغوا من الأكل قامت الزوجة الى زوجها وهاجمته بالكلام ولولا أن الأسعد موجود كانت ضربته فقال له الأسعد إيش الذي دفع زوجتك بالتهجم عليك . فقال له السبب انك تغديت معي فقال له الاسعد وكيف تصبر عليها وهل هي ابنت عمك . أو من اسرتك فما هكذا شرع الناس يخافون على الطعام ولايتقابحون عند حضور الضيف فقال له اسمع ياأخي انا واحد ممن عاقبهم الله في نسائهم ولا أدري كيف وقعت في حبال هذه المراة ، وحنبت ولاعد قدرت اخرج منها وأنا ماناشي فقير انا رجل غني وعمي أغنى مني وهوه في هذه البلاد الحاكم والوالي وكنت قد خطبت بنته ولكن هذه الملعونةتصورت لي ولا ادري كيف خدعتني وظللت على عقلي وتزوجتها واصبحت حانب فيها حتى ان اهلي واقاربي هجروني ورحرموا الدخول بيتي ولا بقي احد منهم ينفعني حتى اضطربت ان أخرج بنفسي أحرث الأرض وازرعها ولا اقدر اخالف لهذه الخبيثة أمرا ولا دريت كيف اخرج من حبالها فتعجب الأسعد من بلادة الرجل ، وقال له وتشتي تخرج منها فقال نعم ، ولكن كيف: قال له الأسعد قول لها انتي طالق وخلاص فقال الرجل الله . الله كيف انستني هذه الملعونة كلمة الطلاق ، فالتفت اليها وقال لها: إنتي طالق بالف طالق فرصخت المراة وقامت تبكي وتتذلل عند زوجهاوتقول خلني خدامتك ولا تطردني من البيت فقال لها لو رايتش تدخلي بيتي قتلتش .. فقال الأسعد اسبقها الى البيت قبل أن تصل اليه وتاخذ مافيه ، فقال قد أخذت كل شيء داخل الدار وباعته وأصبحت فقير بعد ان كنت أغنى الناس ، وعليك أن تقوم معي الى الدار حتى ابحث عما اكافئك به فسار الأسعد معه وحينما استقروا في البيت قال له اسمع ياأخي الآن عود لابنة عمك فتزوجها ، فقال الرجل وكيف اقابل عمي وبأي وجه اقابل ابنته فقال له الأسعد أترك الأمر عليّ وقام الأسعد من وقته وسار وحينما وصل الى بيت عم صاحبه استقبله ورحب فيه ترحيبا كبيرا ، وكان للأسعد شخصية قوية وبعد ان استقر بالجميع الجلوس سأل الاسعد عن اسم عم صاحبه فقالوا له الأمير/ حسان ، وكان الأمير/ حسان قد سأل عن اسم الضيف فقال له اسمي الأسعد ابن عزيز وبعد التعارف قال الأسعد إذا كان لي عليك طلب ياأمير حسان هل تعطيني إياه ، فقال له اطلب وعلينا تلبية طلبك ، قال له أريد أن اجمع شمل ابنتك بابن عمها . فقال الأمير حسبت إنك جيت تدورها لك اما ابن عمها فقد عرضت عليه يومها

ورفضها وسار تزوج بنتا لانعرف من هو ابوها وبعد ان افقرته طلقها وجاء يدور ابنتي . فقال له الاسعد اسمع ياامير/حسان إذا كان ابن اخيك قد غرته هذه الملعونة فهاهو الآن قد عاد الى صوابه وما وصلت اليك إلاّ ولي امل بقبول وساطتي . وفتح كيس الفلوس وقال للامير خذ مهر ابنتك قدر ماتريد وتمت الوساطة ودفع الاسعد المهر وجميع لوازم الزفاف وفي خلال ثلاثة ايام تم العرس وعادة الامور الى مجاريها ، وكان الامير/ حسان يحب ابن اخيه حبا شديدا فولاه على سائر اعماله واموالة ولم تمر إلا ايام قليل حتى اصبح الولد غني كبير . اما الاسعد فإنه بعد أن اتم عمله ، بجمع شمل صاحبه بابنة عمه ، تركهم وعاد الى والده وحينما وصل الى والده شرح له الكلام من اوله الى آخره . فقال الاب لقد عملت صوابا يابني وعليك ان تختار من تريد وتتزوجها . وعمل حسبما قال والده عزيز وايام بايام وحتى نصلي على بدر التمام وتقع على بلاد الاسعد ووالده محوله(٣) حتى اهلكت الزراعة والماشية وتدهورت احوال الاسعد ووالده ورعاياهم واخلف الله عليهم ومُطرت ارضهم ولكنهم كانوا قد اكلوا كل شيء حتى الذري(٤) فقال الشيخ عزيز لابنه الاسعد قم ياولدي الى عند صاحبك واطلب حاجتك من الذري فاستمع الاسعد والده واخذ له جملاً وسار اما الخيل فقد اهلكتها المحوله وحينما وصل الى ديار صاحبه قال لأحد الموجودين على مقربه من دار صاحبه بلغ صاحب الدار ان الاسعد على الباب ، وحينما سمع هذا الانسان كلام الاسعد ضحك ضحكة عاليه . وقال بمثل هذة الحله وهذة الملابس وهذا الجمل الاقرف (٥) وتقول إنك الاسعد قال الاسعد بلغ بما قلت لك ولاتضحك فتركه الرجل ودخل يكلم ابنت الامير حسان بما سمع من الغريب فقالت له عد اليه وادخله حالا ، وحينما دخل جهزت له الملابس الفاخرة واستدعت المزين(٦) وزينوه وطلّعته المكان الذي يلق بالضيف الكريم ورحبت به اعظم ترحيب وعرفت من خلال منظره ان ارضهم محيلة فاستدعت عشرة(٧) جمالة ، وامرت بفتح مدفن(٨) وحملوا الجمال وساقوها الى والد الاسعد وقالت لهم إذا سالكم من اين هذا قولوا من ولدك الاسعد وسال الاسعد عن صاحبه فقالت زوجته هو في القرى القريبة منهم لاصلاح بعض الامور وسيصل في هذه اليومين .

وحينما عادت الجمال امرت الجمالة ان ينقلوا بقية الحب الى والد الاسعد . اما الأسعد فقد اتعبه البقاء د وكان يذكر انتظار والده ولا يدري كيف اصبح حاله ومن معه منُ بقية الأسرة ، كما انه لايعلم بما عملته زوجة الامير/ حسان التي ارسلت الطعام الى والده بدون علمه ، وبينما كان في انتظار الامير وصل ، وحينما عرف أن الأسعد موجود فرح فرحا كبيرا والتقى الاثنان وتعانقا عناق الأخوين ، وبعد أن استقر بهم الجلوس شرح الأسعد سبب وصوله الى ديار الامير/ حسان فقال له الأمير لاتحزن وسنعمل على تلبية طلبك وأمر باحضار عشرين جملا وقال افتحوا أحد المدافن وحملوا الجمال وعجلوا سرعة العزم مع الأسعد صباح غد وأمر باحضار جواد وقال هذا الجواد للأخ الأسعد وقد أمرنا الجمالة أن يوصلوا الجمال ، وبعد أن يفرغوا حمولتها يتركوها في دياركم فقد اصبحت ملككم وجهز للاسعد ولوالده ولكامل اسرته الكثير من الملابس الفاخرة وخرج لموادعة الاسعد ومن معه من الجمالة وسار

الاسعد شاكرا جميل الأمير/ حسان ، وقد أسرع بالسير على أمل أن ينقذ والده وأهله مما هم فيه وحينما وصل الديار شاهد المزارع والزرع قد نبت فيها وحينما التقى بوالده رأى الفرحة على وجهه فسأل والده وقال من أين وصلكم الذري ياأبي فقال الاب ياولدي كل شيء بسعادتك فالجمال التى وصلت من قبل هذه كفتنا طعام وذري فاستغرب الاسعد . وقال يا ابي انا لم ارسل شيئا قبل هذا فقال الاب هذا حسبما قالوا الجمالة الذين وصلوا الينا الطعام . فعرف الأسعد إن كلما سبق ارساله الى والده هو من قبل زوجة الأمير . اما الأسعد وأهله وعشيرته فقد تحسنت احوال بلادهم ومرت الأيام ومع مرورها مرض والد الأسعد وحينما عرف أن منية الموت قد داهمته كتب الوصية وسلمها الى ولده وآخر ماقال فيها اوصيك ياولدي أن لاتغير نصلتك ولا تكر دابتك وعليك باختيار زوجتك وحذاة نسبك ولا وجه مكلفك . اما الأسعد فإنه بعد وفاة والده ، عاد الى الامير/ حسان وطلب منه كريمته فوافق الأمير/ حسان وزف كريمته الى الأسعد وبعد فترة تذكر الأسعد وصية والده بعد أن اعار النصلة لاحد افراد القرية حينما اعرس وبعد نهاية العرس اعاد اليه النصلة وقد تغير راسها وتفلم حدهافقال الأسعد صدق والدي رحمه الله ، ولابد ماجرب كل ماجاء في وصيته فاقبل واحد من اهل القرية وطلب منه ان يكري له الدابة(٩) لمدة ثلاثة ايام وفي اليوم

الثالث وصل الذي سلم اليه الدابة وبيده السبلة(١٠) وقال له إن الدابة ماتت فعرف الأسعد انه اثقل عليها حملها ولم يعاقبه وقال صدق والدي رحمه الله ، وحينما وقع عرس بالقرية طلب منه نساؤه ان يفسح لهما يسيرن يتنفسن(١١) ويشاركن اهل العرس الفرح فاذن لهن ولكنه قال اجرب وصية والدي فخرج قبل أن يخرجن وسبقهن واختبا سفال بيت العرس وحينما وصلت زوجته الأولى من يده وشبح في ثوبها فتخلصت منه وطلعت درج الدار وفي نفس اللحظة وصلت زوجته الأخيرة (اخت الأمير حسان ، فامسك ثيابها وجرها اليه وكان الوقت حسبما روى الراوي بعد صلاة العشاء .

واخذ عليها الحلية من رقبتها وتركها وعاد الى البيت ، أما زوجته فبعد أن انتهت من النفس عادت الى البيت مع زوجته الأولى ولم يظهر لها أي شيء مما جرى أو يسالها وتركها هناك واستبقى زوجته الاولى وقال في نفسه ثلاث أشياء من الوصية جربتها باقي لي حاجة واحدة وهي حذاة نسبي ولا وجه مكلفي وكان قد زوج كريمته على شخص من الناس الكرام من ذوي الوجاهة العالية وفي ذات يوم سار يزور كريمته ولبس بعض الملابس البالية وحينما وصل دخل على كريمته وسلم عليها وبعد أن نظرت اليه وهو بتلك الحالة سألته عن الأسباب فقال لها ياأختي ذلت أحوالنا وضاعت أموالنا حتى أصبحنا كما ترين ، فقالت له يا الله خذ لك هذه اللقمة وهذه النقود واهرب لك قبلما يصل زوجي ويضحك عليك ، فاخذ ماأعطته وخرج وانتظر حتى رآى نسبه ، فاقترب منه وسلم عليه فقال هذا من ، هذا نسبي ، ياالف سبحان الله ماذا جرى ولم ذا أصبحت بهذه الحالة فشرح له مثلما شرح لكريمته ، فقال له لاباس عليك ولا تحمل نفسك الهموم ، فكلما هو ملكي اعتبرع ملكك هي ادخل معي الدار ، وبعد أن دخل معه اخرج الثياب الفاخرة والبسة ورحب به أعظم ترحيب ، وقال له اطلب ماتريد ، فانا واموالي رهن اشارتك وبقي معه الى اليوم الثاني .

وفي الصباح غافل نسبه وعاد الى دياره فقام النسب يبحث عنه فلم يجده فاخذ معه ماشاء الله من المال وسار حتى وصل ديار نسبه فوجده في أحسن حال وحينما رآه استقبله واقام له ضيفة عظيمة وبعد أن اكمل ضيفته قال له أسالك بالله أن تقول لي لماذا اتيت الى بيتي وانت في مثل ذلك الحال ، فقال له تنفيذا لوصية والدي فقال ماهي وصية والدك فعرض عليه الوصية واوصل اليه الأشياء التى جرب فيها وعرض عليه النصلة وسلم اليه سبلة الدابة وعرض عليه حلية زوجته وشرح له كيف كان استقبال كريمته له وهو بمثل ذلك الزي فاستغرب النسب وقال وصية والدك عرفتك كيف تعيش .

■■ الهوامش

١- مواليد اليوم الواحد
٢- تبدي تظهر . تغدى تختفي
٣- المحوله السنة المصابة بالجفاف
٤- الذري البذور
٥- الأقرف الهزيل
٦- المزين الحلاق
٧- جماله أصحاب الجمال
٨- مدفن مخزن للحبوب يحفر في الأرض .
٩- الدابة الحمار
١٠- السبلة الذنب
١١- المشاركة في العرس

متـابعـات:

إسْتِدْرَاكْ
تَصْوِيْبْ
إقْتِرَاح
نَقْـد

* تعقيب على مقال «محمد شجاب»
«اللغة والأبجديات»

* من أسرار الحركة الوطنية . استدراك
على موضوع / علوي طاهر

* الاحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل
آل عثمان

تعقيب على ما جاء في موضوع الاستاذ محمد شجاب في العدد الاول من الاكليل للسنة السادسة



بالاضافة الى تعليق [الاكليل] على هامش مقال الاستاذ محمد شجاب حول «كلا مون» نود هنا وحسبما وعدنا به أن نلقي مزيداً من الضوء على هذه الشخصية الارامية التي نسبت اليها الرواية العربية ابتكار الكتابة فنقول . .

ورد في كثير من المصادر والمراجع المعتمدة ان مملكة «شمأل» قد نشأت حوالي ١٠٠٠ ق.م وكان من اوائل ملوكها هو الملك المعروف في النقوش بـ «جبّار» وكذلك في التوراة وهو مؤسس الاسرة الارامية ثم ملك من بعده على شمال ملك آخر اسمه «باماه» ثم «حَيَّاني» الذي تذكره النقوش الاشورية بانه كان يؤدي او ادى الجزية لشلمنصر الثالث ومن بعد حياني هذا إعتلى عرش «شمأل» ابنه «شائيل» ومن بعده أخوه على الارجح ويدعى «كيلامو» الذي عثر له على نقشين باللغة الارامية احدهما كتب على قراب من الذهب لصولجان ملكي مكتوب بالحروف الفينيقية نقله الشيخ وهبه الخازن في كتابه من السامية الى العرب ونحن ننقله عنه لثقتنا به ونصه كالتالي [كلمو برحي «حيان» «وحي قبيلة يمنية قضاعية من خولان صعده اجلبت من اليمن في صدر الاسلام بسبب حروب اهلية جرت بينها وبين بعض العشائر الخولانية وقد استوطنت مصر ومنها ما نزح من خولان الشام الى تهامه «حيس» وتنتسب الى بني عوف بن مالك كما في الاكليل للهمداني ولعله كان لهذه القبيلة نشاط ديموغرافي قبل الاسلام .

وكان يكتفي في النقوش العربية القديمة بذكر أب واحد ثم القبيلة او المشترك الذي ينتمي اليه مدون النقش مثل «يريم ايمن بن همدان» ولم تكن تعني همدان بالضرورة الاب المباشر له بقدر ما كانت تعني قبيلة] - لركب إل ينتله ركب إل ارك حي] - انظر معالم التكامل القومي لـ علي بن علي صبره - انظر كذلك صورة النقش ادنى هذا وركب إل الالـه هو راكب السحـاب عنـد الكنعانيين وكلمة ينتله بمعنى يعطى له ويقابلها في لهجتنا اليمنية الحالية «ينذي له» وهي مخففة من ينطي البدوية وقرئ شاذا «إنا أنطيناك الكوثر الآية» ويلاحظ ان اللغة الارامية والخط الفينقي الكنعاني يهملان حروف العلة كما في لغة المسند كما هو واضح في عبارة «ك.ل.مو» التي هي كيلامو وكذلك عبارة ينتله و «ركب» التي هي راكب] وحي» التي هي حياو بالسريانية واليمنية المسنديه وتعني «حياة» حيث اكتفى الكاتب باثبات الياء فيها وحذف الالف من اخرها فلوكان اثبت الالف والواو في اخرها لكان كتبها حاو ، أو حيو - اذا حذفت الالف وعثر له ايضا في انقاض قصره في شمال على نقش

آخر تولى دراسته الاستاذ ليدز بارسكي في Epemeris Forsemilische - Epiyraphik ..

مجلد ٣ ص ٢١٨ - انظر من السامية الى العرب وكذلك المجله التوراتية ص ٢٥٣ - ٢٥٩ - وكذلك هاليفي في المجلة السامية عام ١٩١٢ ص ١٩ - ٣٠ .

والنقش يمثل مقطوعة من الادب العربي القديم بل ان لغته التي دون بها توحي لنا بنوع من الأسلوب الشعري الذي يجمع بين المدونة التاريخية للاحداث وبين التصوير التعبيري عن بواطن وحقائق تلك الاحداث نورده كاملاً كنموذج متقدم لفن التعبير التصوير في الادب العربي القديم يقول النقش بلسان مدونه وهو صاحبه الملك كيلامو الارامي انا كيلاموبن حي - الحياني «وحي وحيان قبيلة يمنية «جبار» ملك يأودي لم يصنع شيئاً .

وكان «باماه» ولم يصنع شيئاً .

ثم كان اخي «شائيل» ولم يصنع شيئاً .

وانا كيلامو بن ثمت «ترجمت ثمت بـ اسم امه والارجح عندي وكما .

«يوحي بذلك السياق انها تعني من ثمة - اي»

«من بعد هؤلاء الملوك الذين سبقوني ولم يصنعوا شيئاً» .

ما عملت لم يعمله الأولون

كان بيت أبي محاطاً بملوك اقوياء

والجميع ارادوا قتالا ولكني كنت في ايدي هؤلاء الملوك كالنار الحارقة اللحية .

وكالنار الحارقة اليد

وقوياً فوقي كان ملك الدانونيين

ولكني استأجرت ضده ملك اشور

الذي أعاد امرأة فتية مقابل خروف

ورجلاً «من الاسرا» مقابل رداء

ونقش اخر شعري او شاعري على الارجح جاء فيه . .

انا كيلامو بن حي جلست على عرش والدي ازاء الملوك السابقين وكان «المشكب» - المساكين - يحومون مثل الكلاب الجائعة . .

ولكنني كنت لهذا أباً .

وكنت لذاك اماً - هكذا - .

ولهذا الآخر اخاً .

ومن لم يكن رأى راس خروف جعلته مالكاً قطيعاً من صغار البهم ومن لم يكن رأى راس ثور جعلته مالكاً قطيعاً من كبار البهم .

ومالكا ذهباً وفضة .

ومن لم يكن راى قميصاً منذ شبابه في عهدي كسي

وانا امسكت المشكب بيدي وهم تصرفوا ازائي كما يفعل اليتيم بازاء امه .

واذا اعتلى العرش ولد لي من بعدي والحق بهذا النقش ضرراً «يحتوي هذا النقش - اي خالف ما جاء فيه» .

فلينقطع المشكب عن احترام «البعرير» - النبلاء والنجار ولينقطع «البعرير» عن احترام «المشكب» .

واذا حطم احد هذا النقش ليحطم راسه «بعلصميد» اله جبار - وليحطم راسه «بعل خامان» اله بامان وركوب ايل اله البيت «المالك»

نكتفي بهذا القدر من الايضاح وسنتناول موضوع ارام في بحث مستقل عند الحديث عن سوريا الكبرى كمهد ثقافي حضاري عربي كان له تأثيره الكبير في ثقافة وحضارة حوض البحر الأبيض المتوسط . .

«المحرر»

من اسرار الحركة الوطنية:

جمعية الإصلاح بمدينة: إب نشأتها.. وأبعادها

بقلم القاضي/ محمد بن علي الأكوع

طفح طغيان الامام يحيى بن محمد حميد الدين وبنيه وكهنته ومتنفذيه على الشعب اليمني بأنواع واساليب الظلم والاضطهاد والاهانة والاحتقار للناس وسلب الاموال من غير وجهها حتى هجروا اوطانهم وفارقوا ديارهم ولم يبقى الا الاطفال والنساء شاحبة الوانهم هزيلة ابدانهم عجفاء أجسامهم كأنهم موتى نشروا من رميس فقد كان الامام يحيى يمثل نفس السياسة التي انتهجها بعض الائمه والذي قال فيهم امام الحديث الحافظ المجتهد محمد بن اسماعيل الامير رضوان الله عليه من قصيدته العصماء .

رعاياكم في الخافقين تفرقت
ـ وفارقت الاوطان خوف العساكر

وكانوا يرددون مقولتهم المشهوره (نحن الدهر من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع) واشتدت وطأتهم بعد ان وزع الامام يحيى أعمال اليمن بين اولاده سيوف الاسلام الذين قال الشاعر الفلسطيني ابو سلمى الكرمي فيهم قصيدته (وسيوفه أثريه) التي منها : عرج على اليمن السعيد وليس باليمن السعيد .

فكان ان طبقوا تلك السياسة على عموم الشعب اليمني فنهبوا خيراته واحتكروا تجارة السلع الضرورية وارهقوه بطلب البقايا المتأخره من الزكواة لسنوات مضت واحكموا الحصار عليه من كل النواحي واحرموه من العلم والعمل ، فلم ينجو من ذلك غير ان استطاع الفرار الى الخارج او من كانوا يجندون للحرب مع الايطاليين ضد اخوانهم أبناء المغرب العربي وضد جيرانهم الاقربين في افريقيا اذ كانوا يشحنون في السواعي والسفن باسم صفائح فارغة .

في هذه الظروف الحالكة كان يتفاعل الشعب اليمني المكبوت والمغلوب على أمره ويغلي غليانا صامتا ما يدري كيف يرفع نير العبودية والاستبداد عن عنقه ، وكان اشدهم وطنية اشبههم بابيه هو امير لواء ابن الحسن بن يحيى الذي قال فيه القاضي عبدالرحمن الارياني في قصيدة الى يحيى :

انصف الناس من بنيك والا
انصفتهم من بعدك الايام

وفي سنة ١٣٥٦هـ اتيحت لي الفرصة لزيارة مدرسة «تعز وتربة ذبحان المعافر الحجرية» لاختبار مدرسيها ومن خلال اقامتي هنالك برهة غير قصيرة شعرت ان هناك وميض نار اقتبست منها اضواء على الطريق ثم سافرت الى عدن للعلاج وشاهدت مدنية الاستعمار وهالني الفرق الشاسع بين الحكم الاجنبي

الاستعماري في جنوب الوطن وبين الحكم الامامي في شماله .

وفي شهر شوال من السنة المذكورة فر الاستاذ الزعيم المجاهد احمد محمد نعمان الذبحاني المعافري تحت ستار الحج ورحل الى القاهرة المعزية للدراسة في الازهر حيث التقى بالزعيم العظيم ابى الاحرار الشاعر الملهم الشهيد محمد محمود الزبيري رضوان الله عليه وهما ما هما وعقد العزم على النضال ومحاربة الاستبداد والظلم .

كما هرب من صنعاء ايضا في نفس الشهر والسنة المذكورة المجاهد الشهيد محي الدين قاسم العنسي والمجاهد الشهيد الاستاذ احمد الحورش رحمهما الله وذلك بعد عودتهما من بغداد .

عدت الى مدينة إب وانا ريان الافكار الجديدة مجندا التجديد وتغيير الاوضاع والدعوة الى الاصلاح ، وفي اب التقيت بالأخ المرحوم احد الاحرار الأوائل عبدالرحمن محمد باسلامه الكندي وكانت فيه ظاهرة نادرة اذ كان شقشقة هادرة فاذا اجتمعنا بالمقيل ، وكثيرا ما نجتمع يوم الخميس ويوم الجمعة من كل اسبوع في منزل الاخ مدير مالية لواء اب القاضي احمد عبدالله صبره الحميري فلا يدع المجلس يستقر حتى يتثل كنانة ويهدر كالجمل الصائل عن الظلم والظلمات وما يعانيه الناس من فقر وجهل ومرض وفاقة واغتراب وتنافيذ واغرام ومخامنة وكشاف الى غير ذلك من المشاق والعسف والمجلس كل المجلس شاخص بصره اليه وهو لا يتوقف ولا يتعتع ولا يخشى وشاية ولا سعاية اذ كل اهل المجلس على شاكلته الا انهم صموت والهواء يتكلم .

وهكذا ظل دأبه وكل ما لقيته في السوق في الدور وفي اي مجتمع واجتماع .

ثم قررنا ان يكون المقيل يوم ذاك في منزله العامر بحارة الجاة من مدينة اب لنتدارس الوضع وما يجيش في صدورنا وان نبرزه الى حيز الوجود المحسوس وان نفرغ ما في نفوسنا على عمل جاد مثمر ، وكان يحضر اجتماعنا الاخ العلامة القاضي عبدالسلام بن عبدالله النزيلي خصوصا اذ ما عاد من وظيفته من مدينة لحج :

الحوطة . . فانه يمدنا بمعلومات وافرة بالجرائد والمجلات والكتيبات النافعة ويذكي فينا روح الحماسة ويرشدنا الى طريق العمل ، وهو اول ما اتحفنا «بالرنة الأولى» للاستاذ احمد محمد نعمان . ودامت فكرة معالجة الوضع الحكومي ومدارسة طريق العمل مدة قرابة خمس سنوات والامور تزداد تعقيدا وظلمات فوق ظلمات والظروف صعبة وابواب العمل امامنا موصدة اذ كان يساورنا احيانا ان يجانبنا التوفيق ويصاحبنا الفشل .

وصول القاضي عبدالرحمن الارياني إلى إب

بينما كانت افكارنا تعتلج بين جوانحنا وتضطرم النار بين ضلوعنا لحل الأزمة التي اخذت منا كل مأخذ للحل الجذري للمشكلة والى الطريق التي نتخذها لاصلاح بلادنا ورفع الغشاوة عن شعبنا وما بنا من ظلمات وعسف وخسف ومسخ اذ وصل زائرا للسيف الحسن الاخ العلامة عبدالرحمن الارياني فاجتمعنا به عدة مرات في المادب التي اقمناه له وللاخ احمد عبدالرحمن المعلمي احتفاء لهما وتكريما وفي مجلس المقيل خصوصا عند الرائد الاول عبدالرحمن باسلامة ودارت المذكورة وبثينا ذات صدورنا وما يجيش في خواطرنا وما يعانيه الشعب من ويلات وثبور فوجدنا عنده اضعاف اضعاف ما عندنا وتجاوبا منقطع النظير وتنفسنا الصعداء وزال عنا الكابوس الذي كنا نخاف وغادر وقررنا ان احسن طريق لمحاربة الخطر الداهم هو تأسيس جمعية

أول جمعية في اليمن والوحيدة ذات اهداف وبرامج

وفي اليوم الثاني تقادر الاخوان للمقيل في بيت عبدالرحمن باسلامة ، واول من افتتح

الكلام الاخ عبدالرحمن الارياني مصمما على تأسيس الجمعية وتم الاتفاق على قبول ذلك كما تم الاتفاق على تسمية الجمعية وذلك في شهر ربيع اول او صفر سنة ١٣٦٣هـ .

(جمعية الاصلاح اليمنية)

أما اهدافها فمن امرين اثنين : ١ - ان تستمد الجمعية المذكورة دعوتها من وحي القرآن الكريم ومن نفس قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) آل عمران - ١٠٤ وغير هذه الآية ومن وحي السنة المحمدية وهي كثيرة .

٢ - الدعوة للاصلاح بالتي هي احسن وبالطرق السلمية وذلك برفع الظلم باشكاله واساليبه وكف التنافيذ والمخامنة والكشاف وان تكون الزكوة امانة وان يتم فتح مدارس في عموم اليمن وينتشر التعليم وغير ذلك من المطالب العادلة والبسيطة ولكن الحاكمين تحجروا فطوحت بهم طوائح الزمن .

أما برنامج الجمعية فكما يلي .

١ - ان يكون لها رئيس واعضاء وكان الاجماع منعقدا على رئاسة الأخ عبدالرحمن الارياني ولكنه رفض - كما هي عادته الدبلماسية - رفضا باتا وشديدا وحولها على محمد بن علي الاكوع فتنصل جاهدا واخيرا قبلها مكرها لا بطل .

٢ - الأعضاء هم :

١ - احمد عبدالرحمن المعلمي
٢ - عبدالرحمن الارياني
٤ - اسماعيل بن علي الاكوع
٥ - عبدالكريم احمد العنسي
٦ - محمد منصور الصنعاني
٧ - محمد بن احمد صبره
٨ - وانضاف الى الجمعية المذكورة النقيب الشهيد عبداللطيف قائد بن راجح الخولاني .
٩ - والشيخ الحسن بن محمد الدعيس
١٠ - والشيخ الحسن بن محمد البعداني فكان أمة وحدة في النقمة على مظالم بيت حميد الدين ومات منفيا بحبس حجة سنة ١٣٦٦هـ .
١١ - وفي خلال ادارة جلسات الجمعية وفد من صنعاء الاخ المجاهد الشهيد القاضي يحيى احمد السياغي وانضم الى الجمعية .

٢ - البند الثاني من برامج الجمعية ان يدفع كل عضو بما فيهم الرئيس لأول مرة عشرين ريالا : ماريزا تستخدم في اغراض الجمعية ثم في كل شهر عشرة ريالات وفعلا دفع الكل الدفعة الاولى العشرين ريالا .

٣ - اخذ العهد المغلظ من الكل على الثبات على هذا المبدأ وان لا يفشى سر الجمعية او يبيح خبرا واذا ظهرت من احدهم خيانة فهو مباح الدم واخذت العهد من الجميع على هذا الاساس .

٤ - توظيف الاعضاء والرئيس وتعيين اختصاص كل واحد كما يلي :

١ - الرئيس عليه التوجيهات والمشاورات والاتصالات بالمراسلات او نحوها .

٢ - عبدالرحمن الارياني واحمد المعلمي مستشاران .

٣ - محمد منصور مديرا للمالية .

٤ - محمد احمد صبره امين صندوق الجمعية

٥ - عبدالرحمن باسلامة داعية لجميعة الاصلاح

٦ - عبدالكريم العنسي امين سر الجمعية وعليه تنطق الاخبار وموافاة الجمعية بما جد في الساحة السياسية .

٧ - اسماعيل الاكوع مبعوث متجول وهمزة وصل بين اب ويريم وذمار وصنعاء .

٥ - المادة الخامسة من البرنامج ان تبدل اسماء الرئيس والاعضاء بالقاب مستعارة مجهولة

للتعمية والارباك تحسبا فيما اذا ظهر شيء مريب فكان لقب القاضي عبدالرحمن الارياني «اليحصبي» ولقب عبدالرحمن باسلامة «الازدي» وغابت عن ذهني القاب الآخرين .

٦ ـ البند السادس من البرنامج على الاعضاء ورئيس الجمعية الاجتماع اسبوع لغرض أعمال كل واحد وما قام به من مجهود.

٧ ـ البند السابع من البرنامج على كل عضو ان يشكل خلية مؤلفه من خمسة اعضاء على نمط الجمعية وبرامجها الكبرى وان لا يبوح بسر من اسرار الجمعية وهكذا تسلسل الجمعيات على ضوء ما ذكرنا وفي غضون انعقاد جلسات الجمعية اطلعنا الأخ عبدالرحمن الارياني حفظه الله على قصيدته المشهورة التي يحط يده والتي شرقت وغربت وكان لها صدى في الاوساط السياسية صور لنا فيها جرائم بيت حميد الدين وخاصة اعمال السيف الحسن . وامليت على الجميع فغمرنا من السرور والفرح ما لا تستطيع تشخيصه وناوله اياها للاحتفاظ بها بين اوراق الجمعية الى ان عثر عليها «في قصيدة غريبة عند انكشاف اسرار الجمعية» وهذه هي القصيدة :

انما الظلم في المعاد طلام ... وهو للملك معول هدام
وهو العامل الذي سلط الأعـ ... ـدا فاضحى لنا لديهم زمام
كم عروش قد قوض الظلم واشـ ... ـتف وكم دمرت به الايام
وصروح منيعة شامخات ... هي من ظلم من بناها رغام
وإباء يداس ومجد ... يتداعى به وعز يضام

ليس ما حازه المليك من الجـ ... ـور ثراء بل شقوة وأثام
وهو الفقر والنكال وما يمتد مـ ... ـن سحبه فذاك جهام
ليس في الظلم ثروة انما الثـ ... ـروة عدل ورحمة وسلام
ما على نفسه يحرمه الرحمن ... سبحانه فذاك الحرام

ودعآء المظلوم في غسق الليـ ... ـل سيوف قواطع وسهام
لم يضع دونه الإله حجابا ... فاذا ما دعا اتى الانتقام
يطلب الظالم الغشوم إله ... قادر لا يفوته ظلام
مهمل غير مهمل واذا شاء ... انتقاما فليس منه اعتصام
يمطر الظالمين عارض سخط ... منه تهمي تلك الخطوب الجسام

كم ملوك كانوا اشد واقوى ... هلكوا سوف تقتفيهم قثام
لم تذد عنهم المعدات والقـ ... ـوات شيئا ولا الخميس اللهام
فقدوا عزهم واضحوا عبيدا ... وتساوت وهادهم والأكام
فلماذا سرتم الى الظلم تعدون ... أأنتم عما يجر نيام
ما جهلتم عواقب الظلم لكن ... اسكرتكم جباية وحطام
«صبيرة قد زوزت كثيرا من المـ ... ـال اليكم ولم يفتها غرام
وهي قد سميت لكم زكاة ... هكذا هكذا يكون الغرام
فعلها في عقولكم لا اراه ... عظا تنتهي اليه المدام
قد سكرتم بكاسها ولكم بعـ ... ـد الى الظلم والترا هيام

آه مالي وللرعية قد اضحت بهذا اللواء خسفا تسام
قد تولى امورها الحاكم المطلق فهو الامير وهو الامام
حسن ابن الامام لا احسن الله اليه ولا عداه السقام
«قد آتانا» بصبرة يقشعر العدل منها ويصرخ الاسلام
ما اتانا بها كتاب ولا جاءت بها سنة ولا اعلام
اخذت ما لنا وارهقت الناس ومنها لم ينجهم اعدام
هي نار قد اضرمت يصطليها من له في اللواء هذا مقام
فينال الضعيف منها شواظ «وشولظ يصلى بها الايتام
واذا غاب ناب في الظلم عنه نائب فيه شانه الاقدام
كلفونا تسليم واجب دخن حنطة» قد تفنى به الارعام
وزكاة الشعير قد جعلوها «ذرة» و «الغليل» دخن يرام
وزكاة المعدوم قد كلفونا ويلهم يوم يبرز العلام
ولنا الويل قبلهم ان شكونا جورهم والنكال والايلام

انهم يامرون بالخرص قوما ما لهم رحمة ولا احلام
يضعون الزكاة تسعة اعشار و يبقى للناس عشر تمام
ويجرون السحت جهرا وكم قد ابهضتنا من اجلهم اغرام
واذا قدموا دفاترهم والحسن فيها لمقلمه الصمام
قد حوت وافر ولكنها دون الذي يبتغيه منها الحسام
ارجعوها لهم وقالوا لقد خنتم وحقتم فانتم الختام
تستحقون الحبس والقيد والضرب وفعيلا يكون هذا الكلام
فاذا اعلنوا دفاترهم حولا وظلما فقد عداهم ملام
واحالوا في الحال اجرتهم واستخدموهم لظلمنا ما اقاموا

ثم ضمو اربعا عن النقص في المكيال فامسى فوق الكلام ظلام
واذا قرروه جأوا بسعر لهم غير ما يستبط الانام
واضافوا ربعا لعشر لارشاد وقالوا كي يستفيد العوام
وبنوا مسعفا حقيرا وحازوا ما بنوه والشح داء عقام
ثم يأتي منهم لتحصيلها قوم لهم في عروضنا احتكام
نصف عشر بعد الريال حووه لم تفيدهم العهود الحسام
واذا لم تسرع اليهم بسحت حق امهالنا وفات الخطام
انفذوا من جنودهم كل فظ لم تزنه مروة واحتشام
ياخذ المال يهتك العرض لا يسلم منه النساء والارحام
من بني حاشد وهمدان جآوا ومن ارحب عتاة لئام
والعصيمات ما لنا من اذاهم قط في هذه البلاد اعتصام
قد غدا من بيوتنا لهم المأوى ومن اهلنا لهم خدام
فلهم في البلواء هذا انتشار ولهم في البيوت تلك ازدحام

خصصوا قومهم بقبض وتعداد وخرص ولم يفتهم مرام

وشبـاب اللـواء خال من الاعـا ل اضحـى بالخسف منهم يسـام
والطحين الطحين في نفس إب كم دموع منه لها انسجام
قد بذلنا السليط والقاز للطاحون لكن لم ينصف الاقوام
وصبر قد أغرق القوم في الظلم رلن يثني الجموع لجام
وشكونا منهم اليهم ولكن كل وال بظلمنا مستهام
وتراهم اذا شكونا اليهم ظلمهم جاءهم لذاك السام
ويقولون قد كذبتم وجئتم بشكاة تردها الافهام
كادت الروح ان تفيض وهم ما صدقونا ولم يرق الاسام
كل هذي الافعال يعرفها حقا فيبدو منه لها ابتسام
واذا منهم طلبنا حقوقا منعتنا الولاة والحكام
والى كل عالم وشريف لم ترعه في ربه اللوام
ترتمي هذه الا سيفة والظلم له في لوائها اضطرام
وتظل الوقوف ما بين ايديهم وتشكو ما لم يطقه الانام
وتجيد المقال قائلة السثم حمانا وانتم الاعلام
حجة الله انتم في البرايا وعليكم تلك العهود الجسام
لا تغرنكم صلاة ذي الزهد ولا رث هيئة وصيام
ان تلكم مظاهر نصب افخا خ صيد للمال فيها التهام
لا ولا حجهم فقد غار متهم زمزم لذ أتو وفر المقام
فسلوهم هل انفقوا فيه من اموالهم كي يقال قوم كرام
ام هموا اسرفوا باموال قوم ما لهم غير ذي الجلال عصام
والامام الامام قد صم اذنيه واعمى عينيه عنا الجسام
يتراي له بصورة ذي زهد ويمد المغامر الظلام
فاصدقوه في النصح منكم وقوا قم تفقد ما يشتكيه الانام
انصف الناس من بنيك والا انصفتهم من بعدك الايام
ان عشر السبعين عنك تولت ودنى مصرع وحان الحمام
ولكم في الذي كنزتم من المال عن الظلم عنية وقوام
فلماذا ترضى بظلم رعاياك ومنهم غدا يكون الخصام
يوم لا ينفع الشقيق شقيقا بفتيل والحاكم العلام
هذه صرخة أتت من لوا إ ب اليكم وكلها اقدام
املت نصركم وانتم لا يعتر يكم عن نصرها احجام
فاذا لم تنل من العدل ما تبغى واضحى لما نقاسي دوام
فعلى الدين والشريعة والعدل وهذا اللواء منا السلام

ثم اخرج الشهيد العلامة القاضي يحيى بن احمد السياغي رحمه الله قصيدته واملاها على الجميع وسلمها وهي :

قل لشعب تحت المذلة نائم في ظلام من الجهالة قاتم
قل له كيف تستمرء العيش بهون وتستسيغ المظالم
قل له كيف بت تخضع للفر د وحكم الافراد في الارض غاشم

انما الفرد مخنق للمعالي
وهو ضد النهى وضد المكارم
انما الفرد اية الخسف في الارض
له الرأي في الارادة حاكم

قل ليحيى وقد تطال كبرا
وطغى فوق شبعه بالمآثم
خنت عهدا اعطيته بادىء الامر
وخنت الاله اذ صرت حاكم
قمت تدعوا لورى الى الدين والد
ين مجاب والحق في الارض قائم
وقتلت الاتراك في كل صقع
وقتلت الاباء شيخا وعالم
ثم هدمته وفرقت شعبا
بزعا يستغيه كل طاعم

ناد اهل العراق ناد حجازا
ناد مصر الفتاة ناد الاعاظم
ناد فار وقنا الذي سمح الد
هر به وبه فم الدهر باسم
ناد قاض القضاة ناد زعيما
مصلحا للبلاد اثبت جازم
قل لهم اننا لفي ظلمات
بعضها فوق بعضها متراكم
ظلمات لا ينظر الحر فيها
كفه وهو كاسف البال واجم
قل لهم ينقذون شعبا غريقا
ظل في بحر جهله المتلاطم
قل لهم اننا نقاسي نظاما
فوضويا قد مهدته المزاعم

خدعونا بقولهم انهم آل علي
وانهم آل هاشم
واستحلوا اموالنا واستبدوا
واذلوا النفوس من كل ناقم
وغدا الداءُ في البلاد دويا
ماله من نطاسى ذي مراحم
واذا الداء قد تعفن فالقطع
له من بقائه خير حاسم
واذا المستبد قد اثقل
الشعب فما يتقى بغير الصوارم



القاضي العلامة الشهيد يحيى احمد السياغي في ساحة
الاعدام اثر فشل حركة ١٩٥٥م.

الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل آل عثمان

تأليف القاضي / عبد الصمد بن اسماعيل الموزعي .
تحقيق / عبد الله محمد الحبشي
عرض وملاحظات / محمد لطف غالب



اولا : عرض موجز لمحتوى الكتاب :-

صدر الكتاب في طبعته الاولى عن وزارة الاوقاف والارشاد ضمن عدد من الكتب التي اصدرتها الوزارة وهي خطوة تشكر عليها لاسهامها في اخراج الكتب التراثية الى النور . .
ويقع الكتاب في ٢٦٤ صفحة من القطع المتوسط ولم يذكر تاريخ او مكان اصدار هذه الطبعة من طبعات الكتاب . .
ويعد هذا الكتاب من الكتب التي كتبت من وجهة نظر مؤيدة للحكم العثماني ، كما اشار الى ذلك محقق الكتاب في مقدمته وهذا لايقلل من قيمته التاريخية كونه تناول فترة من فترات الحكم العثماني في اليمن في الغزو الاول . .
ويتناول حقبة من تاريخ اليمن الحديث تنيف على قرن خلال القرن العاشر الهجري ومطلع القرن الحادي عشر الهجري حتى ثلاثيناته وبالتحديد من عام ٩٢٣هـ ١٥١٧م الى عام ١٠٣١هـ - ١٦٢١م وهو عام فراغ المؤلف من تأليف كتابه هذا واشار المؤلف الى دخول جيش المماليك الى اليمن بقيادة حسين الكردي وتحالفه مع الائمة ضد السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري ومحاربته لبسط النفوذ المملوكي ثم تقاسم الغزاة والائمة السلطة بعد مقتل الملك عامر عام ٩٢٣هـ ١٥١٧م

ثم ايلولة سلطان المماليك الى السلطنة العثمانية وبسط السلطنة نفوذها على اليمن وماجر ذلك النفوذ المملوكي العثماني من ويلات وحروب على اليمن . .
وقد سرد الموزعي بايجاز حياة السلاطين آل عثمان منذ اسس جدهم عثمان خان السلطنة سنة ٦٩٩هـ ١٣٠٠م حتى تولى السلطنة السلطان عثمان خان بن احمد خان وهو السلطان السادس عشر في سلسلة السلاطين العثمانيين الاتراك والذي تولى السلطنة في ربيع الاولى سنة ١٠٢٧هـ ١٦٠٩م وعاصر تاليف هذا الكتاب . .
كما اضاف الى ذلك سرد حياة الولاة الاتراك الذين تولوا حكم اليمن ومدة حكم كل منهم منذ وصول سليمان باشا الى اليمن لاواخر العقد الثالث من القرن العاشر الهجري حتى ١٠٣١هـ وذكر مناقبهم وشمائلهم ورصد الاحداث والمعارك الحربية التي دارت خلال هذه الفترة وافاض في المعارك التي دارت بين الامير علي الشرجبي وولاة الترك في مناطق تعز . . والتي دارت اكثر من مرة وكانت آخرها سنة ١٠٢٥ واستمرت هذه سنتين انتهت بالصلح بين الشرجبي والامير سفر التركي على وقف الحرب وقبول الاول

مغادرة الحجرية الى تعز وانتهى به المقام في صنعاء هو واولاده وكبار حاشيته لايخرج من قصره . .

وجسدتُ هذه المعارك صورة من المقاومة والحروب التي خاضها اليمانون في اكثر من مكان تعبيرا عن رفضهم لسلطة العسكرة التركية على مدى فترة حكمها لليمن ، ذلك الرفض والمقاومة التي اراد الغزاة الاتراك اخمادها عن طريق المعارك وقلع الاشجار واتلاف الثمار والزروع وهدم المنازل ومضاعفة العقوبات من خلال فرض الرهائن مثلثة . . .

ولايخفى الجهد الذي بذله محقق الكتاب ، الاستاذ الباحث عبدالله الحبشي في تحقيق النص واخراج الكتاب الى النور . .

ولكن الاستعجال من المحقق في اخراجه جعله يقع في اخطاء وهفوات في التعليقات والهوامش ماكان سيقع فيها لو تحرى الدقة وراجع الكتاب بعد التحقيق وقد عهدنا منه الجودة في التحقيق والدقة في البحث فيما بين ايدينا من كتب محققة له ومؤلفات وابحاث منشورة واهمها سفره النفيس «مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن» . .

ثانيا : ملاحظات وتعقيب :-

واثناء قراءتي الكتاب لاحظت اخطاء وهفوات في التعليقات التي اضافها في هوامش صفحات الكتاب . .

وقد احببت ان انبه اليها واصحح ما امكنني ذلك بقصد اتمام الفائدة للقارئ وخدمة له . .

وصنفت هذه الهفوات فيما ياتي :-

١- حوادث تاريخية هامة وردت في النص ولم يعلق عليها . .

٢- اجتزاء غير موفق من عبارات سابقية . . او اختصار مخل في التعريف باسماء اماكن وردت في النص . .

٣- عدم الدقة في تفسير بعض المفردات . . والجزم خطأ في التعليق على بعض اسماء وردت في النص . .

٤- عدم الدقة في تحديد الاماكن او القبائل التي وردت في النص والتعريف بها او التعليق عليها

٥- عدم مراعاته التقسيمات الادارية للمناطق واعتماده على مصادر موثوقة ولكنها وضعت قبل حدوث التقسيم الاداري الجديد . .

. .

ونأتي الآن الى تفصيل الموضوع وايراد الملاحظات مرتبة بحسب بنودها الانفة الذكر ، واضعين هوامش المحقق بين قوسين ثم نعقب عليها بتصحيح وتوضيح اوتتميم . .

اولا : حوادث هامة وردت في النص ولم يعلق عليها ومنها :-

١- غدر الوالي التركي سليمان باشا بالسلطان عامر بن داود الطاهري والي عدن وآخر سلاطين الدولة الطاهرية ورد في النص ص ٢٥ ، ٢٦ حادثة غدر سليمان باشا وقتله عامر بن داود سنة ٩٤٥هـ فور «وصول عامر الى عند الوالي على المركب بالهدايا والتحف .» واكتفى المحقق بان علق على مفردة وردت في النص بهامش «٨٢» ص ٢٦ «اي عجب من فعل سليمان الغادر» . .

الاحسان ص ٢٦

وقد اورد صاحب البرق اليماني ما مؤداه ان عامر بن داود نزل الى سليمان باشا الى المركب حاملا اليه الهدايا والتحف وبقصد المفاوضة معه . . الا أن سليمان باشا لما رأى باب عدن قد فتح امر عسكره بدخول عدن واخذها «فلما وصل اليه عامر بن داود البسه ومن معه خلعا ثم امر بضلبهم على الساري في الغراب «مركب» الذي هو فيه ، ونهب العسكر داره وشرعوا في نهب البلد . .

ويضيف صاحب البرق اليماني «وشاع غدره اي سليمان باشا بصاحب عدن في اطراف البلاد واكناف العباد ، وسبقه خبر هذا الغدر الى بنادر الهند ونفرت خواطر الناس منه لذلك ، ولما بلغ اهل الهند فعله بعامر زاد نفورهم منه وكان ذلك سببا لعدم مساعدتهم له على الفرتقال» البرق اليماني ص ٨١

٢- غدر محمود باشا الوالي التركي بعلي بن عبدالرحمن النظاري . .

ورد في الاصل ص ٣٤ « . . ووجه همته العالية اي محمود باشا» على حصن حب فاخذه من يد النظاري قهر ابعد محاصرته له سبعة اشهر» . .

واكتفى المحقق بالتعليق على حصن حب بهامش «٤٧» ص ٣٤ : «حب حصن معروف في بعدان من اعمال إب» . .

وكان المطلوب ان يشير في الهامش الى صمود الامير علي بن عبدالرحمن النظاري في حصنه «حب» في وجه العسكرة التركية بقيادة محمود باشا ، مدة ثمانية اشهر . . ثم بعد مفاوضات جرت بين محمود باشا وعلي النظاري بواسطة شخص اسمه عبدالله الداعي ، سلم النظاري حصن «حب» طوعا ، بعد ان أقسم محمود باشا العهد بالا يمسه باذى ، ونزل منه وتوجه نحو محمود باشا ، وحين وصل النظاري وولده الى مقامه في مدينة إب جرت له مراسيم الاستقبال من قبل الوالي محمود باشا ، خان محمود العهد وامر بقتل النظاري وولده واحد اقاربه وصادر ممتلكاتهم سنة ٩٦٨هـ . .

وكانت تلك الفعلة وذلك الغدر ، كما يقول المؤرخ النهرواني :-

«خيانة قبيحة وغدرا فاحشا ، وصارت العرب لا تستأمن من الاتراك ولا تصدقها في ايمانها وعهودها ، وصاروا يسمون امثال هذا الغدر محموديا» البرق اليماني ص ٩٣٢ . .

ثانيا : الاجتزاء غير الموفق من عبارات سابقية . والاختصار المخل في التعريف بمواضع او سماء وردت في النص وعلق عليها في الهامش مثل .-

البكلربكية :-

وردت في النص وعلق عليها بهامش «١١» ص ١٤ بقوله :-

«لفظة تركية بمعنى الولاية او الامارة»

واشار الى مصدر الهامش «البرق اليماني» ولكنه اجتزأ نصف ما ورد في البرق اليماني بتحقيق الشيخ العالم حمد الجاسر ، وترك النصف الاخر ، فعبارة البرق كاملة هكذا:-

«والبكلربكية الولاية او الامارة ، وتصرف بكلربكي وبكلربكيون رئيس ورؤساء وبكلربكية وظيفة الرئيس» «البرق اليماني ص ٧٥»

وبالرجوع الى نص الموزعي مجردا من التعليق عليه في الهامش السابق يتضح ان المقصود بالبكلربكية الواردة في النص هم الولاة وليست الامارة والولاية فنص الموزعي هكذا :-

«وقد احب الفقير ان يجعل رسالة لطيفة تشتمل على ذكر من وصل من البكلربكية لمحافظة مملكة اليمن» «الاحسان ص ١٤»

سمارة :

وردت في الاصل وعلق عليها بهامش «١٢» ص ٣٠ بقوله :-

«قلعة في رأس جبل صيد في ناحية المخادر من اعمال إب» وذيل الهامش بمرجعه المنقول منه مجتزأ مجموع بلدان اليمن وقبائلها . . وكان الاولى به ان يضيف اليه بقية تعريف الحجري لها «واليها نسب نقيل سمارة المشهور بنقيل صيد» مجموع بلدان اليمن وقبائلها ج١ ص

وان يضيف ايضا . . ولا زالت قائمة حتى الان ، وتقع على يسار طريق السيارات النازل من صنعاء باتجاه إب وتعز

٣- القاهرة :-

وردت في الاصل وعلق عليها بهامش (٣٥) ص ٤٣ : «القاهرة قلعة في تعز»

ولم يحدد مكانها ، فيتبادر الى ذهن القارئ ، خاصة غير العارف لتعز ، هل المقصود بتعز المدينة ام تعز اللواء ولو كان قال : «القاهرة قلعة تعز» لكان اصاب . .

وهذا الهامش اخذه من مجموع الحجري رحمه الله ، ولكنه كان الاولى ان يضيف اليه تحديد مكان القاهرة حيث لم يحددها الهامش المشار اليه المنقول من مجموع الحجري ص وحدد مكانها الحجري في مجموعه في الجزء ص -

والمقصود بالقاهرة الواردة هنا القلعة الاثرية والحصن المنيع المطل على مدينة تعز القديمة من جهة جنوبها الشرقي . .

٤- جملونات :-

وردت في الاصل ص ٥٧ وعلق عليها بهامش (١٧) نصه :-

«عقود او اعمدة . وفي (شفاء الغليل) الجملون

عند عوام مصر سقف محدب» أهـ

ولم يشر الى ان الجمنون بالنون بدلا عن اللام يطلق في اللهجة الدارجة اليمنية .. على كل بناء محدب السقف مبني بالعقود وخصص في الفترة الاخيرة فاصبح خاصا بخزانات المياه المبنية بالاحجار (والقضاض) والمسقوفة بالاجر بشكل محدب . .

ومن هذا الاطلاق تسمية ماتبقى من مدينة الجوءة الاثرية والتاريخية (بالجمنون) ولأحد المؤرخين كتاب عنوانه (ضوء الشمعة في تاريخ الجمنون والقلعة) ذكره فضيلة العالم المؤرخ الوالد القاضي محمد بن علي الاكوع الحوالي في كتاب «صفة جزيرة العرب» في الهامش (٤) ص ١٤٢ ط مركز الدراسات والبحوث . .

ولا زال ذلك الكتاب (ضوء الشمعة في تاريخ الجمنون والقلعة) مخطوطا ونادر الوجود . واغلب الظن ان لدى الشيخ /منصور عبدالله عبدالجبار الشهاب نسخة منه . .

والجملول : بلامين في لهجة زبيد وبعض مناطق تهامة يطلق على احواض الماء الصغيرة في المساجد . .

٥ ـ يمين :ـ

ورد في النص ، وعلق عليه بهامش (٥٦) ص ٦٣ :ـ

«من العزاعز كما هو معروف» أهـ . . .

ولم يذكر موقعه في الشمال الغربي من تربة ذبحان مركز قضاء الحجرية ، كما لم يشر الى انه من الحصون الاثرية القديمة في مخلاف المعافر واحد الحصون المشهورة في عصور التاريخ القديم والاسلامي شهد فترات ازدهار عديدة ، ومنها فترة الدولة الرسولية حين صار من المعاقل المنيعة لابن السبئي ، وقد ورد ذكره مقرونا (بالدملوة) القلعة المشهورة ، وذلك في بيت من قصيدة طويلة للشاعر محمد بن حمير الوصابي مدح بها الملك المنصور عمر بن علي بن رسول مؤسس الدولة الرسولية واول ملوكها . .

مطلع القصيدة :ـ

ما شاق قلبي احداج وأوكار
ولاشجتني اعلام وآثار

ومنها :

أو قلت لاقصر الا قصر دملوة
قالوا براس يمين القصر والدار

ديوان بن حمير تحقيق الاكوع ص٩٤

٦ـ المقاطرة :

ورد ذكرها في النص وعلق عليها بهامش (٦١) صـ٦٤ـ

«هي الآن ناحية متسعة من جهة الحجرية» .

وكان الاولى ان يشير الى موقعها في الجنوب الشرقي من تربة ذبحان ، وانها احدى النواحي التابعة لقضاء الحجرية من لواء تعز ، وفيها من الحصون الاثرية قلعة المقاطرة المعروفة قديما بقلعة سودان ، وحصن منيف

معالم الآثار اليمنية والتعداد التعاوني محافظة تعز

٧ـ الموادم :

وردت في النص وعلق عليها بهامش (٣٤) صـ٨٥ـ نصه :

«هي الآن عزلة تابعة لناحية صبر قضاء تعز» .

ولم يضف ان عزلة الموادم كبرى العزل التي تكون في مجموعها ناحية الموادم احدى نواحي صبر التابعة لقضاء تعز لواء تعز

التعداد التعاوني محافظة تعز م١

٨ـ قبة سلمان الفارسي في الضباب :

وردت في النص صـ٣٦ ـ وعلق على الضباب بهامش (١٠) اسفل الصفحة نصه :

«عزلة متسعة تتبع الآن ناحية صبر من تعز» .

ولم يشر الى الشخص الذي نسبت اليه القبة فهو ليس بسلمان الفارسي انه الشيخ / سلمان بن إبراهيم أحد فضلاء القرن السابع الهجري ومن العلماء العارفين ، وهو معاصر للشيخ / أحمد بن علوان وصديقه وحبه وقد رثاه الشيخ / أحمد بن علوان بقصيدة رائعة مطلعها :

فني الخليل وكل حي فاني   سلمان بالله من سلمان

الفتوح جـ٤ مخطوط ..

وينسب الى سلمان هذا حبيل سلمان قرية من عزلة الضباب ناحية الموادم وفيها قبره وضريحه

وقبته المعروفة حتى يومنا هذا ، بقبة الشيخ سلمان .

التعداد التعاوني محافظة تعز

٩- جبلــة :

وردت في النص وعلق عليهـا بهامش (٦٧) صـ١٦٢- نصه :

«من أعمال إب» أهـ

ولم يضـف انها مدينـة تقـع الى الجنـوب الغــربي من مدينــة إب وشــمال حصن التعكـر المطل عليها من جهة الجنوب ، اختطها الأمير / عبـدالله بن محمـد الصليحي في منتصف القـرن الخـامس الهجـري . . ثم ازدهـرت كعـاصمـة للدولـة الصليحيـة في فترة حكم الملكـة السيـدة بنت أحمد الصليحي التي اتخذتها مقراً لكرسي ملكها .

ومن معـالم مدينة جبلة الأثرية جامعها الكبير الذى بنته السيدة بنت أحمد ، ودار العز وعدد من المساجد والمباني الأثرية .

وقـد اشتهـرت جبلة في عصـر ماقبـل الثـورة بمعهـدهـا العلمي الذي نشأته الملكة وأوقفت له الأوقـاف الكبيرة والذي كان يؤمه طلاب العلم من مختلف منـاطق ومدن اليمن لتلقي علوم الشريعة الاسلامية والادب والتاريخ . .

ومـدينة جبلة هي مركز ناحية جبلة من قضاء إب لواء إب .

■مجمـوع بلدان اليمن وقبـائلهـا : الـرسم البيـاني للنواحي والقضوات .

١٠- دمنة أم قريش :

وردت في النص ص١٥٧ وعلق عليها بهامش (٣٨) نصه :

«دمنة أم قريش من قرى خدير السلمي» .

وكـان الأولى أن يشـير الى أنهـا تعرف اليوم «بالدمنة وبدمنة خدير» وهي مركز ناحية خدير قضاء ماوية لواء تعز . . وفيها تمر طريق السيارات من تعـز متجهة جنوبا . ويقع بالقرب منها سوق العنب التجاري المشهور في تاريخ اليمن الذي كان محاطا تجاريا تتجمع فيه السلع المحلية ومنه تتوزع الاحمال الى عدن والمخا ومنها الى الخـــارج . ويعرف موقعه اليوم بـ «فوفلة» ، من سربيت اسفل سامع المواسط . .

وكانت فوفلة سوقا اسبوعيا حتى فترة قريبة . .

١١- السامعية :

وردت في الأصل ص١٠٨ وعلق عليها بهامش (٨٨) نصه :

«هي المعـروفـة بسامع عزلة من ناحية المواسط الحجرية» أ . هـ .

ويبـدو أن في النص سقطـا فربما تكون سقطت لفظـة البـلاد وبقيت السـامعية بدون مضاف إليه أو جاءت بهذا اللفظ لمراعاة السجع .

وقد أورد النص وصول «مشائخ سامع الى مقر الأمير سفر . . وورود لفظ مشائخ بالجمع دليل علـى تعـددهـم لاتـسـاع الـعـزلـة ولاحـتـمـال ان يكـون التقسيم القـائم اليوم قد وجد آنئذ وظل حتى الآن حيث تنقسم سامع الى اربعة ارباع هي :

١- ربع شريع . .
٢- ربع الجبال . .
٣- ربع حورة . .
٤- ربع بني عباس . .

وسـامـع جبـل الى الجنـوب من جبـل صبر وغـربي جبل الصلو وشمال شرقي قضاء الحجـريـة ، وتعـد سامـع ثاني عزلة من عزل ناحيـة المواسـط قضـاء الحجـريـة من حيث الكثافة السـكانية . .

التعداد التعاونى محافظة تعز .

وفي سامع عدد من الاماكن الاثرية لاتخلو من وجود اثار قديمة واسلامية .

وقد عثر مؤخرا على نقش بخط المسند اليمني القديم .

صحيفة الثورة الصادرة في ١٩٨٧/١١/٢١م

١٢- الشمايـا :

وردت في النص ص١٨٦ وعلق عليها بهامش(٢٠) نصه :

«هي الآن عزلـة تابعة لناحية الشمايتين

من قضاء الحجرية» .
واكتفى بهذا ولم يشر الى أن هذه العزلة هي إحدى الشمايتين المعروفتين بالشمايا الشرقية والشمايا الغربية وهما عزلتان تابعتان لناحية الشمايتين واليهما نسبت ناحية الشمايتين قضاء الحجرية لواء تعز .

التعداد التعاوني محافظة تعز .

١٣ـ موزع :

وردت في النص ص٢٢٢ وعلق عليها بهامش (٤٥) نصه :
«موزع بلدة من أعمال المخا اشتهرت بعلمائها العديدين» . .
ولم يشر الى أنها مدينة ومركز ناحية الآن عرفت بها . وتقع في الجنوب الغربي من مدينة تعز وتنسب الى موزع بن القفاعة بن عبد شمس بن وائل .
وازدهرت موزع المدينة ، في عصور التاريخ القديم كونها تشكل نقطة اتصال بين موانئ اليمن ومدنها الأخرى .

■صفة جزيرة العرب ص٩٥ .

ج ـ عدم الدقة في تفسير بعض المفردات . . أو الجزم خطأ في التعليق على بعض الأسماء الواردة في النص :

١ـ الضياح :

وردت في النص ص٣٦ وعلق عليها بهامش (٣٥) نصه :
«لعله جمع ضاحة ، وهو الجرف أو المنحدر» .
وكان الأولى أن يضيف الى التعليق بأن الضياح هي الشواهق الجبلية الوعرة . أو هي : المتلفة الحتوف،

٢ـ الحجرية :

ورد ذكرها في النص وعلق عليها ص٤٩ بهامش (٥٧) نصه :
«الحجرية بلاد واسعة شمال عدن وجنوب تعز ، وهي في الأصل بلاد المعافر» معجم الحجري جـ٢ ص٢٣٢» .
وهذا التعليق المنقول من مجموع الحجري سليم ولا غبار عليه ولكن اضافة المحقق جاز مابقوله «قلت لأول مرة يرد ذكرها في كتب التاريخ «بالحجرية» وكانت تذكر من قبل بالمعافر فيحقق» .
وكان الأولى أن يشير الى أن الاسم التاريخي الذي عرف به هذا القضاء هو مخلاف المعافر نسبة الى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث ، وهو الاسم الذي ذكره المؤرخون في العصرين القديم والإسلامي حتى أواخر القرن التاسع الهجري .
وليس صحيحاً ماجزم به المحقق في الهامش المشار اليه بأن « الحجرية » تذكر لأول مرة في هذا الكتاب فقد ورد ذكر الحجرية في كتاب الفضل المزيد لابن الديبع وهو أقدم من مؤرخنا الموزعي بما ينيف عن قرن

وتذكر المصادر قلعة «الحجرية» قرب يفرس ومن المعلوم ان يفرس ظلت فترة من الزمن مركزا لقضاء المعافر قبل الغزو التركي الاول لليمن . . وكانت القلعة «المعروفة بقلعة الحجرية» مقر المتصرف فاطلق اسم الحجرية على القضاء المشار اليه من باب التغليب .

■عبدالرحمن بن الديبع الفضل المزيد تحقيق صالحية ط١ ص٥٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨ .

كما لم يشر المحقق الى أن الحجرية اليوم تشكل أعمال قضاء من لواء تعز مركزه تربة ذبحان ومن أعماله سبع نواحي هي :
— ناحية المواسط — ناحية جبل حبشي .
— ناحية الشمايتين — ناحية المقاطرة .
— ناحية القبيطة — ناحية الصلو .
— ناحية الوازعية .

الرسم البياني للقضوات والنواحي التعداد التعاوني ١٩٨١م محافظة تعز .

٣/ العزاعز
ورد ذكرها في النص وعلق عليها ص٣٦ بهامش(٥٥) نصه :
«العزاعز ـ بفتح العين الأولى وكسر الثانية ـ هي الآن عزلة تدخل ضمن ناحية الشمايتين من قضاء الحجرية» .

وفي هذا الهـامش خلط من المحقق ، فالمقصـود في سيـاق النص هم بعض أبنـاء العزاعـز أو جماعة من سكان العزاعز ، وليس العزلـة أو المكـان القـاطن فيه السكان ، لأن السياق يؤدي هذا القصد حيث ورد في النص «إن الكتخـداسنـان باشـا حصـر العـزاعز في حصنهم المشهور «يمين» وتمكن من أخذه» .

■الاحسان ص٦٣، ٦٤ .

إذ كيف تحصـر العـزلـة بأكملها داخل الحصن يمـين؟ فكـان على المحقق أن يتثبت في تعليقاته وهوامشه .

٤ـ رتبـــة :

وردت في النص ص٦٤ وعلق عليهـا بهامش (٥٨) نصه :

«ثلة من العسكر للحراسة» أ. هـ.

والمعـروف أن الـرتبة مفردة يمنية تطلق على اقـامـة شخص أو أشخاص بالتناوب في حصن أو موقـع هام بقصـد الحراسة والمراقبة لحفـظ الأمن سواء قام بها شخص واحـد أو اثنـان أو أكثـر بحسب الحـاجـة التي تقتضيها أهميـة المكـان المرتب فيـه ، وليس بشـرط أن تكـون الـرتبـة ثلة من العسكـر ، فقـد تكـون الرتبة فردا أو اثنين وليس جمعا ، كما قد تكون من غير العسكر .

٥ـ شقـــاة :

وردت في النص ص٦٥ وعلق عليها بهامش (٦٦) نصه :

«أي صغـار البنـائين أو المسـاعدين «الفعلة»

أ. هـ والمتعـارف عليـه حتى الآن في كل المنـاطق **اليمنيـة أن الشقـاة جمـع شاقي ويـطلق هذا على صغـار العمـال بشكل عام سواء كانوا يعملون في البناء او الزراعة او الحرف اليدوية وغيرها.**

٦ـ عـرصـــة :

وردت في النص ص٨١ وعلق عليهـا بهامش أسفل الصفحة نصه :

«القطعة من الأرض» أ. هـ .

والمعـــروف أنـه ليس كل قطعـة من الأرض تسمى عرصة بشكل عام . فالعرصة هي القطعة من الأرض متى كانت معـدة للبناء عليهـا ، أو كان مبني عليها وخـرب البناء ، وهو ماحدده النص في الأصل المعلق عليه .

٧ـ الحــــرّ :

ورد في النص ص٩٥ وعلّق عليه بهامش (٨٤) نصه :

«مـوضـع في أسفـل البيت وغيره يخصص للحيوانات والأمتعة المهملة» أ. هـ .

وكان على الأخ الأستاذ/ عبدالله أن يتنبه الى أن الحراو الحزر هنا يختلف عن حر المنازل أو البيوت ، إذ من المعلوم أن المدلولات والمعاني لاتقاس قياسا . . فالحـر هنـا أو مايعـرف بالحـزر هو مايلحق بالمسـاجـد والجـوامـع من أبنيـة تضـاف الى مؤخـر الجـوامـع أو المسـاجـد وأروقة تكون مسقوفة وواسعة وغالبا ماتفتح أبـوابهـا ونـوافـذهـا الى مقـدم الجـامـع أو المسجد أو الشـماسي لتكـون مكـانـا يجلس فيه المصلون لانتظار دخول وقت الصلاة .

وسيـاق النص ينصـرف الى هذا المعنى وليس الى ماأورده المحقق في الهـامش المشـار اليه ـ فقد جاء في النص : أنـه بنى حراً في جنوب القبة وحَرا آخر قبالة بابها الشرقي بثلاث قباب» .

الاحســان ص٩٥ .

٨ـ سليـــط :

وردت في النص ص١١٤ وعلق عليها بهامش ٨٦ نصه :

«هو الزيت من عصير السمسم وغيره» .

والمعـروف في اللهجة اليمنية أن السليط يطلق على كل مايستصبـح به مَن زيت الخـردل والجـاز من مشتقـات النفـط وزيت السمـسـم (الجلجـلان) وهذا كان يستصبح به ويؤتدم به أيضا .

٩ـ الأسلوم «وزن أفعول» :

علق على صيغـة هذا الجمـع بهامش (٤٩) ص١٦٠ نصه :

«وهي صيغـة جمع في عاميـة المنـاطق الجنوبية (اليمن الأسفل) . . . الخ أ. هـ .

ومعلوم أن صيغـة هذا الجمـع ليست مقصورة على عامية المناطق الجنوبية فقط . . بل شاملة عاميـة كل المنـاطـق اليمنيـة شمالا وجنوبـا ومستخدمة فيها ولعلها من المفردات الخاصة باللهجة اليمنية . مثل أملوك . وأشمور .

وصيغـة هذا الجمـع بوزنها هذا وردت منـذ زمن طويـل في كتب الهمداني وغيره من

المؤرخين وكذا وردت في اللغة اليمنية القديمة ومازالت متداوله حتى الآن ومستخدمة كصيغة لهذا الجمع واسم له .

وللوالد القاضي العلامة المؤرخ/ إسماعيل بن علي الأكوع بحث في هذا الموضوع بعنوان «أفعول» جمع فيه الأسماء اليمنية الواردة بهذا الوزن من أسماء أعلام وجماعات وقبُل وأماكن وبلدان وقد نشره في مجلة الاكليل التراثية

■مجلة الاكليل العدد الثاني السنة الأولى صيف عام ١٩٨٠م .

٤ـ السَّبَار :

وردت في النص ص١٦٦ وعلق عليها بهامش (٩٦) نصه «أي المعتاد» :

والسَّبار بسين مشددة مفتوحة بعدها باء مفتوحة ثم ألف وراء في لهجة مناطق الحجرية وتعز هو الطعام ، وليس «المعتاد» وقد ورد لفظ السبار في النص مقرونا بالجزر والعلف «العليق في النص المطبوع» والجزر هو حيوانات الذبح ، فالسبار إذا الطعام ، والجزر اللحم ليكونا طعاما للجيش والعلق للخيل والبغال التابعة للجيش .

ومنه سبر يسبر أي صنع شيئا ما مثل الطعام ومنه المسبرة الطباخة .

٥ـ جُحْشَة :

وردد في النص ص١٨٨ وعلق عليها بهامش (٤٠) نصه :

«كذا والجحش هو الحمار الصغير» أ. هـ .

ولاندري ماهي العلاقة بين الحمار الصغير الجحش بفتح الجيم وسكون الحاء والمكان جُحْشَه بضم الجيم وسكون الحاء وفتح الشين بعدها هاء هل هي المشاكلة اللفظية أم ماذا ؟

فقد جاء في النص : «أن الأمير جهلان بن علي الشرجبي كان يذهب من التربة مقر الأمير سفر التركي الى منزله في «جحشة» ويقيم أكثر أيام الأسبوع ثم يأتي الى المخيم المنصور» .

■الاحسان ص١٨٨ .

ولازالت «جحشة» بهذا الاسم قائمة حتى اليوم وهي محلة تابعة لقرية «واسر» من عزلة «شرجب» ناحية الشمايتين قضاء الحجرية لواء تعز ، وفيها من الآثار بقايا برك وكرواف للمياه .

د ـ عدم الدقة في تحديد الأماكن والقبائل التى وردت في النص وعلّق عليها في الهوامش ومنها :

١ـ البويب

وردت في النص ص١٩٠ وعلق عليها بهامش (٥٥) نصه :

«هي الآن محلة من عزلة عومان ناحية وقضاء ماوية ، والبويب أيضا قرية من عزلة الكلائبة من ناحية المواسط قضاء الحجرية» .

وفي هذا الهامش من التطويل وعدم الدقة فقد كان يكفي أن يقول : «هي قرية من عزلة الكلائبة ناحية المواسط» . . إذ هي المكان المقصود في النص وكان المرور فيه من تعز الى المخا .

أما بويب عومان ناحية وقضاء ماوية فمستحيل أن تكون هي المقصودة في النص لبعدها عن الطريق من تعز الى المخا . . وكذا لوقوعها في اتجاه مغاير . . فبويب عومان تقع الى الشرق من مدينة تعز ، وتبعد عنها بحوالي ٤٠ ك.م تقريبا والمخاء في اتجاه الغرب من تعز ، وبويب الكلائبة في الجنوب الغربي من تعز وكانت تمر منها إحدى الطرق المسلوكة من تعز الى المخا .

٢ـ خدير .

ورد ذكرها في النص ص١٥٣ وعلق عليها بهامش (٩٨) نصه :

«خدير هنا هو خدير السلمي تنسب إليه العزلة والناحية من ماوية» .

والمعلوم أن عزلة خدير السلمي هي إحدى العزل الثلاث التى تتكون منها ناحية خدير من قضاء ماوية لواء تعز والعزل الثلاث هي :

— خدير السلمى .
— خدير البدو .
— الشويفه .
وليست عزلة خدير السلمى وحدها تكون ناحية خدير .

■التعداد التعاوني - محافظة تعز .

٣- القماعرة والأشمور :
وردتا في النص ص١٧٦ وعلق على القماعرة بهامش (٥٣) «**هي الآن عزلة تابعة لقضاء وناحية ماوية**» .
وهذا خطأ في تحديد المكان فالقماعرة المقصودة في النص هي العزلة من ناحية مقبنة قضاء المخا والمحاذية لجبل حبشي .
وكذا الأشمور وردت في النص ص١٧٦ وعلّق عليها بهامش(٥٤) نصه : «**نسبة الى قرية من عزلة اصرار ناحية ماوية**» .
وهذا خطأ أيضا فالأشمور هنا المقصود بهم أهل «شمير» المخلاف المشهور والمعروف اليوم من ناحية مقبنة من قضاء المخا لواء تعز .
فالقماعرة والأشمور هم قماعرة (مقبنة) وأشمور (مقبنة) أيضا وليس مقصود النص القماعرة والأشمور من ناحية ماوية قضاء ماويه لما يلي:

أ - سياق الكلام في نص الموزعي عن وصول عدد من مشائخ جبل حبشي الى مقر الأمير سفر التركي ومعهم مشائخ القماعرة ومن والاهم من الأشمور وهم الذين تضامنوا مع الأمير علي الشرجبي في حربه ضد الأتراك .
ب - الأشمور «الشمير» مخلاف محاذي لجبل حبشي ومجاور له ، والأشمور القرية من اصرار ماوية تبعد عن جبل حبشي بما يزيد عن خمسين ك.م .
بالاضافة الى أن قماعرة ماوية وأشمور اصرار ليستا مجاورتين لجبل حبشي بل بعيدتين عنه ويقع كل من جبل حبشي ، وماويه في اتجاهين مختلفين ، ماوية في الشرق من تعز ، وجبل حبشي في الجنوب الغربي منها .

جـ - سبب الحرب بين الأمير علي الشرجبي ومن انضم اليه من مشائخ الحجرية،ومن والاهم من شمير والقماعرة من جهة والأتراك من جهة أخرى كان نتيجة حزب الأمير الشرجبي لشيخ الأسلوم في خدير ، وخدير مجاور لماوية ، ولو اشترك قماعرة ماوية في الحرب لكانوا دخلوها الى جانب الأسلوم جيرانهم وليس الى جانب الشرجبي .

٤- الأعروق :
ورد ذكر الأعروق في النص ص١٨٠ وعلق عليها بهامش (٩١) نصه :
«**والنسبة اليهم عريقي . ينسب اليهم جماعة من العلماء ذكرنا بعضهم في مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، والأعروق الموضع : قرية من ناحية جبل حبشي قضاء الحجرية**» .
وإذا عدنا الى سياق النص في الكتاب لأدركنا أن الكلام عن وصول عدد من مشائخ عزل مخلاف المعافر «الحجرية» الى مقر الأمير ومنهم شيخ الأعروق .
والمقصود بالأعروق الواردة في النص هي العزلة المعروفة حتى الآن بنفس الاسم والبالغ تعداد سكانها حوالي ٢٠ ألف نسمة ، والتابعة لناحية القبيطة من قضاء الحجرية وليس القرية من جبل حبشي كما ورد في التعليق على النص الذى أضافه المحقق .
وقد حدود المؤلف موقع الأعروق ، الغزلة المعروفة في الجهة الشرقية من الحجرية ، وليست القرية من جبل حبشي على فرض وجودها آنذاك فهي تقع في الشمال الغربي من قضاء الحجرية .
ولذا نستبعد أن يكون المقصود بالأعروق الواردة في النص هي القرية من جبل حبشي لما سبق .

■الاحسان ص١٨٠ والتعداد التعاوني - محافظة تعز . .

٥- بـريـدات :

وردت في النص ص١٨٦ وعلق عليها بهامش (٥٥) نصه :

«لعلهـا المعـروفة الآن ببريدة قرية من عزلة السوا ناحية المواسط قضاء الحجرية» .

وكـان على المحقق أن يتأكـد من موقع بريـدات لا ان يحتمل ذلك احتمالا ، فبريدة غير بريدات فهما مختلفتان مكانا ومبنى .

فبريـدة السـوا ناحيـة المـواسـط مفردة وبـريـدات العـزاعـز ناحيـة الشمايتين بصيغة الجمع وبينهما مايزيد عن عشرين ك.م تقريبا .

وإن كان كل من بريـدة وبـريـدات مجاورة لحصن أثـري فبريـدة مجاورة لحصن السـوا «القُدَام» وبريدات مجاورة أوقريبة من حصن «يمـين» فهـذا لايشكل لبسا في تحديد مكـان بريـدات الواردة في النص . فقد حدد النص «بـريدات» بأنها تقع تحت حصن يمين ، وإن كانت لاتـعـرف الآن بهذا الاسـم أو استبدل اسمها باسم آخر فلا يستدعي ذلك الظن والتخمين مادامت حددت بقرب حصن يمين ويمين من العزاعز .

■**الاحسان ص١٨٦ والتعداد التعاوني - محافظة تعز .**

٦ - البنائيين .

وردت في النص ص١٨٦ وعلق عليها بهامش (٥٣) نصه :

«البنـايا قرية من عزلة العطاوية ناحية وقضاء الزيدية وهي غير المقصودة هنا» .

وهذا خطأ لأن سياق النص عن وصول عدد من مشـائـخ الحجريـة «المعافر» الى مقر الأمير ومنهم شيخ البنائيين .

ومـن خلال النص لايمكن أن تكـون من الـزيـديـة بل من النـاحيـة المعـروفة اليوم بالشمايتين من قضاء الحجرية لواء تعز بدليل دوران الأحـداث وذكـر عدد من مشائخ عزل **لازالت معروفـة في الشمايتين**

كما ان هناك اطلال قرية في عزلة ذبحان من الشمايتين يطلق عليها البنائيين . .

■**الاحســان ص١٨٦**

٧- قيفـــة :

ورد ذكـرهـا في النص ص٢٠٤ وعلق عليها بهامش نصه :

«قيفا بلد واسع من خولان بن عامر بن الحاف في صعدة» .

ومن سيـاق النص ورسم الكلمة يظهر أنها «قيفة» القبيلة المعروفة والمشهورة بهذا الاسم من قبل وحتى الآن ، وهي اليوم من ناحية رداع قضاء رداع لواء البيضاء .

٨- الصبيحـــة :

ورد ذكـرهـا في النص ص٢١٠ وعلق عليها بهامش(٨٨) :

«هم الأصابح السابق ذكرهم» .

وفي هذا الهـامش خلط وعـدم توضيح لأن الصبيحـة معـروفة وقد ورد اسم الأصابح العزلـة المعـروفـة في ناحيـة الشمايتين قضاء الحجـريـة وعلق على الأصـابـح ، أمـا الصبيحـة الـوارد ذكرهم هنـا فهم الصبيحة القبيلة المعـروفـة بهذا الاسم حتى الآن

والأصـابح فيما تعورف عليه إداريا هم غير الصـبيحـة ويقـع كل من الأصـابـح والصبيحة في ناحيتين ومحافظتين مختلفتين وإن كانـوا في الاصـل ينحـدرون من جد واحـد ، كما ذكـر صاحب هديـة الـزمـن ، ومن ولد أصبح بن عمرو بن الحارث بن أصبح بن مالـك بن زيـد بن الغـوث احتفـظ الأصـابح باسمهم القـديم وأطلقت صيغـة الجمـع الأخرى على الصبيحة .

■**هدية الزمن في أخبار لحج وعدن ص٣٧-٣٩ . .**

هـ - اعتـمـد في بعض التـعـليقـات للتعـريف بالأماكن على النقل ولم يراع التقسيم الاداري . .

١- خنـــوة :

ورد ذكـرهـا في الـنص ص٣٥ وعلق

عليها بهامش (٦٠) نصه :
«خنوة بلد مشهور من أعمال تعز» .
وكـان الأولى أن يراعي التقسيم الاداري . . والمعروف أن «خنوة» واد وبلد يقع الى الشمال الشرقي من مدينة تعز ، وهو اليوم من أعمال ناحية ذي السفال قضاء ذي السفال لواء إب .

■صفة جزيرة العرب هـ ص٤٢ . .

٢ـ شرعـــب .
ورد ذكرهـا في النص ص٤٧ وعلق عليها بهامش (٤٢) :
«ناحية معروفة من أعمال تعز مركزها قرية الرونة» . .
وكان الأفضل أن يورد التعريف كاملا والمعروف أن شرعب صقع كبير ويقع الى الشمال الغربي من تعز .

■صفة جزيرة العرب ص١٨٨ . .

ويشكل شرعب ناحيتين :
●الأولى: ناحية شرعب الرونة ومركزها الرونة .
●الثانية: ناحية شرعب السلام، ومركزها الشرف
وهما ناحيتان تابعتان لقضاء تعز لواء تعز

■التعداد التعاوني ـ محافظة تعز . .

٣ـ ريمـــة :
وردت في النص ص٨٩ وعلق عليها بهامش(٥٧) نصه :
«ريمة بلاد واسعة في الجهة الغربية من صنعاء على بعد أربع مراحل . . . . . الخ» .
وكـان الأولى أن يشير الى أن ريمة تشكل اليوم أعمال قضاء يتبع إداريا لواء صنعاء ، ويتكون من خمس نواحي هي :

١ـ ناحية الجبي .
٢ـ ناحية الجعفرية .
٣ـ ناحية كسمة .
٤ـ ناحية بلاد الطعام .
٥ـ ناحية السلفية .

■الرسم البياني للقضوات والنواحي التعداد التعاوني ـ لواء صنعاء . .

٤ـ العـــدين :
وردت في الأصـل ص٩٢ وعلق عليها بهامش(٧٥) نصه :
«بضم العين على صيغة التصغير صقع واسع في الجنوب الغربي من صنعاء على مسيرة نحو سبع مراحل . . . . الخ» .
وكان الأولى أن يضيف اليه أن العدين تشكل أعمال قضاء من لواء إب يتبعه اربع نواحي هي :

١ـ ناحية العدين .
٢ـ ناحية مذيخرة .
٣ـ ناحية الحزم .
٤ـ ناحية الفرع .

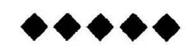
٦ـ الجـــوف :
ورد اسمها في الأصل ص٢٠٤ وعلق عليها بهامش(٢٢) نصه :
«ناحية معروفة في الشرق الشمالي من صنعاء على مسافة أربع مراحل منها وهو شمالي مارب» معجم الحجري جـ١ ص١٩٥ .
وكـان الأولى أن يشير إلى أن الجوف اليوم يشكل اعمال محافظة مركزها (الحزم) حزم الجوف ، ويتبعها اداريا إحدى عشر ناحية .

■التعداد التعاوني محافظة الجوف . .

**المـــراجـــع :

١ـ صفة جزيرة العرب : لأبي محمد الحسن الهمداني . تحقيق : القاضي/ محمد علي الأكوع .
٢ـ ديوان بن حمير: لمحمد بن حمير الوصابي . تحقيق: القاضي/ محمد علي الأكوع .
٣ـ مجموع بلدان اليمن وقبائلها : لمحمد الحجري . تحقيق: القاضي/ إسماعيل الأكوع .
٤ـ الفضل المزيد: لعبدالرحمن بن الديبع . تحقيق: الدكتور/ محمد عيسى صالحية .

٥ـ هدية الزمن في أخبار لحج وعدن ، لأحمد فضل العبدلي .
٦ـ البرق اليماني في الفتح العثماني . لقطب الدين محمد بن أحمد النهرواني . تقديم الشيخ/ حمد الجاسر .
٧ـ معالم الآثار اليمنية: القاضي/ حسين أحمد السياغي .
٨ـ الاحسان في دخول اليمن تحت ظل آل عثمان : لعبدالصمد الموزعي . تحقيق : عبدالله الحبشي .
٩ـ التعداد التعاوني ١٩٨١م .
١٠ـ مجلة الاكليل ـ العدد الثاني ـ السنة الأولى سنة ١٩٨٠م .
١١ـ الرسم البياني للقضوات والنواحي ـ وزارة الادارة المحلية ـ الجمهورية العربية اليمنية .
١٢ـ صحيفة «الثورة» مؤسسة سبأ العامة للصحافة والانباء ـ صنعاء



ملف : مشروع مدونة النقوش اليمنية

إعداد وإشراف د. يوسف محمد عبدالله

يمن ١٣

مكان العثور : في الجهة الغربية لجبل الخليقة ، في وادي قانية.

الأبعاد: ٦٤ x ٤٠ سم وطول الحرف ٦ سم.

الوصف : نقش على الصخر مكون من خمسة أسطر وبجانبه نقش آخر بخط دقيق طول الحرف فيه ٣ سم وطول النقش ٩٠ سم وعرضه ٥٠ سم ، وقد تآكلت بعض حروفه . اكتشفه أحمد شجاع في زيارة ميدانية بتكليف من هيئة الآثار العامة ، وصوره خالد المندى (٢٣ - ٢٥) يناير ١٩٨٨م.

النص:

حل المعنى :

وَتَر يَرْتَع من آل مَعَاهِر وذي خَوْلان ابن مَعْدِي كرب يُهَمْجِد ومَخطران أَشْأَر قَبْلَيْ رَدمان وخَولان - بَقَرَ (شق) وأَقْشَبَ (عمَّر) المأْتي (السَّاقيَــة) وكلَّ نَقْبَةٍ وحَرَّاتِهِ (مُدَرَّجات) - التي تُفْضِي الى جِرْبِ بني عُبَالٍ لِيَقْــي أعنابِه (كُرومه) ذي الأَخْدُود .

الحاشية :

وتر : ويأتي العلم ملحقاً بأداة التنكير وترم . ويرد في أول الاسم المركب (في اللغة اليمنية القديمة) أو آخره ، كقولهم وترم / يهنعم أو يثع أمر / وتر . ويمكن قراءة الاسم وَتَر ووَتار . والأرجح وَتار بفتح الواو . وفي الاكليل ج ١ ص ٧٣ : وتار بفتح الواو من ولد الهميسع بن حمير . وفي ص ٩ من الجزء نفسه بنو وتار بكسر الواو، وهم الوتاريون .

يرتع : تكملة الاسم الأول . وهي على وزن الفعل المضارع ، مثل العلم يَنْكَف ويَغْنَم . قال تعالى مُخبراً عن اخوة يوسف: "أَرسِلْهُ معنا غداً يَرْتَع ويلعب"، أي يلهو وينعم . وقيل معناه يسعى وينبسط (ا نظر اللسان مادة رتع) . وفي لغة النقوش اليمنية القديمة رتع بمعنى رتَّب أو وضع (جنداً أو حرساً ، أو بلغ أو وصل). والمعنى كما ورد في المعجم السبئي غامض بعض الشيء . ولعل المعنى سعى أقرب الى الصواب . ويجوز أن يقرأ الاسم يُرتع بضم الياء من الفعل المتعدّي أرتع وهي الصيغة المعهودة في التسميات اليمنية القديمة مثل يُهَصدق ويُهفرع ويُهابر، وربما ينعم ويحمد على زِنَة يخرج ، (أنظر الأعلام عند الهمداني حرف الياء) . والاسم يرتع يتكرر في نقشين آخرين للشخص نفسه . على أن الاسم غير شائع (أنظر ثبت هاردنج للأعلام العربية) . أما الاسم رتع ، راتع فيتكرر في النقوش اليمنية القديمة (انظر المصدر السابق نفسه مادة رتع). وفي أسماء نسب كندة يرد العلم مرتع (راجع الاكليل ج ١١ ص ٥). ويقابل ذلك في النقوش القتبانية العلم مرتعم (انظر : ثبت هاردنج المذكور ، والأعلام عند الهمداني " مادة مرتع).

معهر /وذ خولن : معاهر وذو خولان اتحاد قبلي كانت حاضرته مدينة وعلان في المعسال منطقة السوادية حاليا بين رداع والبيضاء . انظر : نقوش المعسال وقانية مثلاً ، مدونة النقوش اليمنية (١ ـ ١٣) ، مجلة ريدان ، عدد ٣ ، ١٩٨٠م ، ص ٩ ـ ٢٩ .

بن : الأولى تعني مِنْ وهذه هي ابن .

معد كرب / يهعجد: مَعدي كرب يُهَعْجِد التسمية معروفة (وانظر الأعلام عندالهمداني).

مخطرن : علم غير شائع . مخطر اسم مشتق غير معروف معناه في المعجم السبئي .
والمخطر في اللغة هو الذي يجعل من نفسه خطراً لقرنه فيبارزه ويقاتله .

أسأر : تكملة الاسم وهو مشتق من السُّؤر بمعنى البقية على وزن صيغة التفضيل أفعل . ويرد الاسم في تسمية الملك ذي نواس في النقوش يوسف/ أسأر / يثأر . (انظر نقش J1028) .

قيلي / ردمن / وخولن : قيلي (شيخي مشائخ) اتحاد قبيلتي ردمان وخولان .

بقر: شق انظر المعجم السبئي واللفظ شائع في النقوش

هقشب : فعل متعد من قشب والمعنى في تقديري ليس جدد فقط كما فسرته مرارا انظر المعجم السبئي . وانما قد تعني عمر أي بنى وأقام . أو كما يقال في الدارجة اليوم "صَلَّح " . والتقشيب والقُشب في الأرض معروف

مأتون ، نقبت ، حرت: ألفاظ شائعة وفسرت في أكثر من مكان (انظر مثلاً ، مدونة النقوش اليمنية (١ ـ ١٦) وانظر المعجم السبئي أيضا).

سون : ظرف مكان بمعنى صوب ، نحو (انظر المعجم السبئي) . وترد في المعجم أيضا سن بمعنى في اتجاه ، نحو ، أيضا ، وبسن بمعنى مع . وترد اللفظة أيضا مكتوبة بالسين الثالثة ✕ بالمعنى نفسه .

ومازالت اللفظة حية الاستعمال الى اليوم • يقال بلهجة عدن مثـــلا
" رايح سنا حقات " أي إني ذاهب باتجاه حُقّات (مكان)• ويقـــال
باللهجة نفسها "امشي ساني" أي سر على طول (نُغْرى) ، أي باتجــاه
واحد • مما يدل على أن جذر الكلمة الفعل الأجوف •وهي في اليمنيـــة
القديمة كذلك سون ، سن • ويقال في لهجة أهل اليمن بالمعنى نفســه
صلا ظرف مكان بمعنى صوب والفعل صالى ويصالي • وقد استعمل الهمدانــى
هذه الكلمة مرارا في كتبه " صفة جزيرة العرب " و " الاكليل" و"الدامغة"
انظر استعمالاته في كتاب " الألفاظ اليمنية للطلوي " مادة صــلا •
وانظر في المعجم السبئي صلوت بمعنى واجهة •

مذرأم : حقول مزروعة جمع مذرأت (انظر المعجم السبئي).ويقال في اللغـــة
ذرأنا الأرض أى بذرناها • (راجع لسان العرب مادة ذرأ) • والمذرأة
بهذا المعنى اسم مكان للأرض التي يبذر فيها الذرئ • وفي اللغـــة
أيضا الزرع أول ماتزرعه يسمى الذرئ• وفي لهجة اليمن اليوم تستعمل
بمعنى البذار والبذور ، ويتركون همزها ، كما تركت العرب همزهـا
في الذُّرية بمعنى النسل.وأصل الكلمة واحد وهو الفعل المهمـــوز
ذرأ • وفي التنزيل يذرؤكم فيه أي يكثركم فيه أي في الخلـــق •
(انظر المصدر السابق) • والميم في مذرأم أداة تنكير ولعـــل
قراءة اللفظ في حالة الجمع هو مذارئ ، وعندئذ يكتب بخط المسند
مذرأ ، مذرء ويلحق اللفظ بميم التنكير 𐩣𐩹𐩧𐩱𐩣 ،

بن عبل : بني عبال • الأرجح أن بن لاتعني " من " وانما هي " بني " واليـاء
في مثل هذه الحالة لاترسم بخط المسند • وعبل هي عبال اسم مكـــان
في المنطقة نفسها ، ذكرها لي أحمد شجاع الذى زار المنطقة كما ذكــرت
في صدر القول • والأرجح أن يكون بني عبال هو اسم للأراضي المزروعـة

وليس اسم مالكيها • ولربما كانت الأرض في الأصل ملكا لبني عبال ثم

غلبت التسمية على الأرض عبر الزمن •

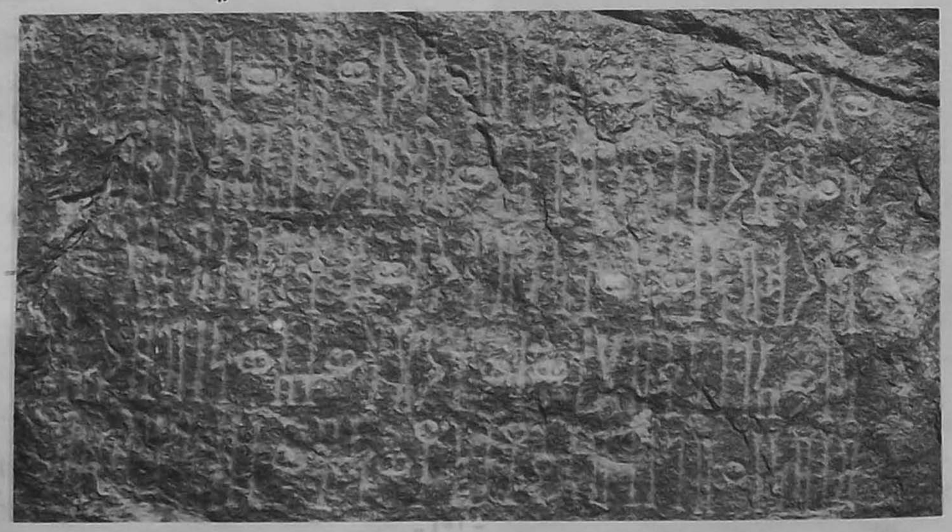
لمسقي : لسقي • اللام حرف جر ومسقي مصدر بمعنى سقي مشتق من الفعل سقي في اللغة اليمنية القديمة بمعنى روى وسقى • وهو شائع في لغة النقوش ، ومثال على ذلك نقش وادى رَمَضة في وادى قانية في المنطقة المذكورة نفسها : لمسقي / سرهـو / رمضو : لسقي واديه رمضاء (رَمَضَة حاليا)• (انظر: مدونة النقوش اليمنية القديمة نقش يمن ٧ = نقوبيات جبل قرن خرفان رقم ٢)•

أيونهو : كرومه ، أعنابه ، جمع وين بمعنى كرم عنب.ويجمع في لغة النقوش أوين وأبون • ويأتي مفرده أيضا يين • (انظر المعجم السبئي) ، وقد ناقشت هذا اللفظ في أكثر من مكان• (انظر مقال عن " القصيدة الحميرية " ، مجلة ريدان ١٩٨٨م)•

ذأحددن : ذو الأحدود على صيغة الأفعول الشائعة في أسماء الأماكن والقبائل في لغة النقوش • أفعلن = أفعولن = الأفعول • (راجع بهذا الخصوص كتاب " الأعلام عند الهمداني " ص١٢ وغيره)• ويبدو أن اسم الكروم هذا يمكن أن يقرأ أيضا ذو الأحديد على وزن الأفعيل على وزن الاكليل والاحليل والاقليم وغيرها • اذ أن اسم الوادى اليوم في المكان نفسه هو ذى حَدِيد،وقد سقطت أداة التعريف • ويقع المكان في أعلى وادي قانية • وفي" قوائم الاحصاء السكاني" ذى حديد محلّة (قرية صغيرة) في عُزْلة قانية من ناحية السوادية ، قضاء البيضاء في محافظة البيضاء • (التوزيع السكاني في محافظة البيضاء ص١٤)•

ويذكر الهمداني هذا الوادى في " صفة جزيرة العرب ص١٩٧:" البيضاء أودية منها ذو عرابل وحوران ورواف وقاينة (الأصح قانية) وذوحديد ورمضة وذو حلفان ... " ويضبط الاسم في الحاشية بكسر الحاء المهملة

وسكون الدال وياء مثناة من تحت ومفتوحة ثم دال أيضا . ويذكر أن فيها آثاراً حميرية وسداً أثريا . والصحيح ما أوردناه بكسر الدال. وقد سمعتها بنفسي عندما زرت المنطقة عام ١٩٧٧م . وأكدها لي الأستاذ أحمد شجاع تلميذي وأحد الأثريين الرواد في بلادنا عندما كتب تقريره عن المنطقة في يناير ١٩٨٨م . وذكر أنه في بداية وادي قانية من الجهة الشرقية يوجد تل مرتفع يطل على الوادي وتوجد عليه بقايا مبان أثرية قديمة نزعت بعض أحجارها حديثا . كما توجد بجانبها الشمالي الشرقي بقايا مبان لمساكن " بسيطة " . وتسمى هذه المنطقة ذي حديد حسب تسمية المواطنين . كما ورد هذا الاسم في نقش موجود في المنطقة ، حسب قوله . وفي الجهة الشمالية الغربية للتل الصخري الآنف الذكر يوجد سد ما زالت جدرانه قائمة ، إلا أن جزءاً من جانب هذا التل قد هدم من جراء السيول والعوامل الأخرى . والأجزاء الباقية مطمور أغلبها بالرسوبيات الطينية من الداخل ، ويسمى هذا السد بذي حديد . ويسميه المواطنون باسم آخر هو " سد العادي " .



المصادر

- الأعلام عند الهمداني =

Abdallah, Y : Die Personnennamen in al-Hamdānī's al-Iklīl und ihre Parallelen in den altsüdarabischen Inschriften, (Dissertation), Tübingen, (1975).

- الاكليل =

الهمداني ، الحسن بن أحمد : الاكليل ، الجزء الأول ، تحقيق محمد علي الأكوع ، القاهرة (١٩٦٣ م).

- الألفاظ اليمنية =

al-Ṣelwi, Ibrahim : Jemenitische Wörter in den Werken von al-Hamdānī und Našwān und ihre Parallelen in den semitischen Sprachen, Reimer, Berlin, (1987).

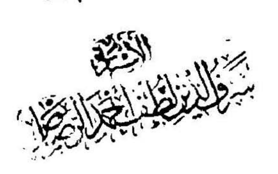
- التوزيع السكاني =

التوزيع السكاني في الجمهورية العربية اليمنية ، منشورات الجهاز المركزي للتخطيط ، صنعاء (١٩٧٨م).

- ثبت هاردنج =

Harding, G. L. : An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, Toronto, (1971).

- جام = نقوش البرت جام =



Jamme, Albert, : Sabaean and Hasaean Inscriptions from Saudi Arabia, Studi semitici 23, Roma, (1966).

ـ الصفة =

الهمداني ، الحسن بن أحمد : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد علي الأكوع ، الرياض (١٩٧٤م)٠

ـ مجلة ريدان =

ريدان ، العدد ٥ (١٩٨٨) : نقش " القصيدة الحميرية " ، أو صورة من الأدب الديني في اليمن القديم ، يوسف محمد عبد الله ٠

ـ مدونة النقوش اليمنية القديمة ، يوسف محمد عبد الله ، مجلة دراسات يمنية ، صنعاء (١٩٧٩م) ٠

ـ المعجم السبئي =

Beeston A. F. L. - M. A. al Ghul- Walter W. Müller - J. Ryckmans: Sabaic Dictionary, Louvin -la- Nneuve,(1982).

ـ اللسان = لسان العرب

ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة خياط ، بيروت ٠(بدون تاريخ)٠